
روايات مصرية للجيب
ملف المستقبل
سري جداً!!
٧٢
ابن الشيطان
Looloo
www.dvd4arab.com



نور الدين



سلوى



رمزى



محمود

١ ــ منذ الأزل ..

فى ركن مَنسِيٍّ مهمل ، من كتب الأساطير ..
فى جانب مظلم مُبهم ، فى عقول البشر ..
بحروف دقيقة مرتجفة ..
بدأت هذه الأسطورة ..
أسطورة (ابن الشيطان) ..
ومنذ الأزل ، راح البشر يردِّدونها فى خوف ..
ومنذ الأزل ، كانوا يرتجفون لذكر اسمه ..
(بعلزبول الصغير) .. (لوسيفر الابــن) .. (عين إبليس) .. كلها أسماء ترمز إليه(*) ..
وكلها تُعنى الشرّ ..
والجحيم ..
لا أحد يدرى متى بدأت تلك الأسطورة ..

(*) (بعلزبول) ، و (لوسيفر) ، و (إبليس) : كلها أسماء ترمز إلى الشيطان ، فى معظم لغات العالم .

لا أحد يدرى من كان أوَّل من ردَّدها ..

بل لا أحد يدرى — حتى بالنسبة للمتخصِّصين — أين نجد تفاصيلها ..

إنها كغيرها من الأساطير ..

نصف معروفة ..

نصف مجهولة ..

غامضة ..

مظلمة ..

مخيفة ..

وهى كغيرها من الأساطير ..

فيها قَبَس من الحقيقة ..

لمحة من النار ، وسط فيض من الدُّخان ..

لَمْحة مُرْعِبة ..

ومنشأ الأسطورة يعود إلى آلاف السِّنين ..

إلى بدايات الخلق الأولى ..

بعد أن انحسمت المعركة، وهبط (آدم) و(حواء) إلى الأرض..

وانتشر نسلهما ..

وساد البشر كوكبهم ..

وربح الشيطان معركة مع (قابيل) ، ودفعه إلى قتل شقيقه (هابيل) ، أوَّل شهيد فى التاريخ .

ونجح مع عشرات غيره ..

وانتصر فى عدة مواقع ، فى قلوب البشر ..

واندحر فى أضعاف أضعافها ..

وذات يوم ، من أيام القدر ، اختلى الشيطان بنفسه ، يسترجع تفاصيل معركته مع بنى (آدم) ، ويستعرض قوته وقوتهم ..

ويومها ، لاحظ الشيطان أنه الأضعف ..

ما زال يجهل الكثير عن بنى البشر ..

صحيح أنهم يستجيبون لوسوساته ، وقد يدفعهم إلى الرَّذيلة والمعصية ..

ولكنَّ شيئًا ما فى أعماقهم كان يقاومه ..

وأحيانًا يهزمه ..

هم أنفسهم يجهلون طبيعة هذا الشىء ..

أحيانًا يطلقون عليه اسم (الضمير) ..

وأحيانًا أخرى يسمُّونه (المبادئ) ..

وأحيانًا يقولون إنه (الأخلاق)، أو (حسن المنشأ)..

ولكنه فى كل الأحيان مجهول ..

كل علماء البشر لم يجدوا له أثرًا ، طوال دراستهم للجسم البشرىّ ..

لم يجدوا له قانونًا ..

ولكنه ــ للعجب ــ أقوى أسلحتهم ..

وفى اهتمام شديد ، راح الشيطان يفكّر ويبحث عن وسيلة ؛ لمعرفة ذلك السلاح ، وكشف سِرّه ..

وفجأة ، تفتّق عقله عن خُطّة مخيفة ..

خُطّة شيطانية ..

وعلى الفور ، ودون إضاعة لحظة واحدة ، على الرغم من عمره الممتد إلى ما لانهاية ، شرع فى تنفيذ خُطّته ..

وانتقى الشيطان ، من بين بنى البشر ، حسناء فاتنة ..

وفى أبهَى حُلّة ، وأحسن صورة ، التقى بها ..

وأحبّته ..

وتزوّجها ..

ولم تدرك المسكينة أنها قد تزوّجت شيطانًا ..

لم تدرك غرابة الأمر ، إلّا عندما لم يستغرق حملها منه سوى شهر واحد .

وبعدها أنجبت ابنه ..

(ابن الشيطان) ..

وأدركت البشرية المسكينة هول الموقف ، وفداحة المأساة ..

وراحت تذبل وتنهار ..

وراح (ابن الشيطان) ينمو وينمو ..

ولم يمض عام واحد ، حتى صار (بعلزبول الصغير) شابًا وسيمًا ، جميل الطلعة ..

كان له جمال أفعى سامّة ..

وكانت له عينان من نار ..

وذات يوم ، رأت ابنة البشر ابنها ، وهو يركع أمام أبيه ..

ورأت ، وهى ترتعد رُعبًا ومرارة ، الشيطان يدفع يده فى صدر ابنه ، وينتزع قلبه ، ثم يغسله فى مزيج مخيف ..

مزيج من الظلام والخيانة ، والخديعة ، والقسوة ، والشرّ ، والبغضاء ..

مزيج الشرّ ..

وشهقت الأم المُلتاعة ..

وكانت شهقتها الأخيرة ..

ماتت المسكينة ، وهى تستغفر ربها ، وتبكى ذنبًا لم ترتكبه ، ولم تدركه ..

وارتاح الشيطان إلى أن مهمّته على الأرض قد انتهت ..

وعاد إلى أرضه ..

وترك لنا ابنه على أرضنا ..

ونشأت الأسطورة ..

وعلى الرغم من كون (ابن الشيطان) شبه خالد ..

وعلى الرغم من عمره غير المحدود ..

كانت له نقطة ضعف ..

نقطة واحدة ..

وعَبْرَ الأجيال والعصور ، ظلَّ (ابن الشيطان) شابًا وسيمًا قويًا ، يبذر الشرّ ، ويحصد الدماء والمرارة من حوله ..

وعَبْرَ الزمن تصدَّى له المؤمنون ..

وهزموه ..

ولكنه كان كالعنقاء(*)

(*) العنقاء : طائر خرافى ، قال عنه العرب قديمًا إنه أضخم الطيور المعروفة على وجه البسيطة ، وأشرسها ، وأنه خالد أبد الدهر ، لاتقتله إلا النيران ، وحتى بعد موته ، يمكنه أن ينهض من رماده ، ويعود حيًا

لايلبث أن ينهض من وسط رماده ..

ويعاود القتال ..

هكذا تقول الأسطورة ..

وهكذا تبدأ قِصَّتنا ..

* * *



٢ — عودة الشّيطان ..

دار العمل على قدم وَساق ، فى تلك المنطقة الصحراوية ، المتاخمة لـ(القاهرة) الجديدة ، لإنشاء موقع جديد ، من مواقع البحث عن خام البترول ، وهتف مهندس المَوْقع ، وهو يبتسم فى سعادة :

— رائع يا رجال .. سينتهى العمل هنا ، قبل مَوْعِده المقرَّر بأسبوع كامل

تهلَّلت أسارير الرجال ، وغمغم أحدهم :

— لا تنس أنك تدفعنا للعمل بأضعاف طاقتنا يا سيِّدى .

ربَّت مهندس الموقع على ظهره ، وهو يضحك قائلًا فى مرح :

— اطمئنّ .. ستتناسب مكافأة الإنتاج مع ذلك .

ابتسم الرجل ، وهزَّ رأسه ، وهو ينصرف مبتعدًا ، على حين اقترب عامل آخر من المهندس ، وناوله قرصًا معدنيًّا صغيرًا ، وهو يقول :

— سيِّدى .. لقد عثرنا على هذا ، فى أثناء الحفر .

تناول المهندس القرص الصغير ، وقلَّبه بين أصابعه يفحصه فى دهشة واهتمام ، قبل أن يغمغم فى حَيْرة :

— ما هذا ؟

قال العامل فى بلادة :

— يبدو أنها عملة أثرية ، أو شىء من هذا القبيل يا سيِّدى ، فتلك النقوش عليها عجيبة

تطلَّع المهندس إلى تلك النقوش العجيبة فى حَيْرة ..

كانت متشابكة ، ومعقَّدة إلى أقصى حدّ .

ومخيفة ..

شىء ما فيها ، أو فى ذلك القرص ، جعلها تبدو مخيفة .

ولسبب ما ، لم يدرِ كُنْهه ، بدت له تلك النقوش مألوفة .

كان واثقًا من أنه لم يَرَ شبيهًا لها من قبل ..

ولكنها بدت مألوفة ..

تناقض عجيب ، ضاعف من طاقة الخوف فى أعماقه ..

خوف مُبْهَم عجيب ..

خوف جعل كل خلية من خلاياه ترتجف ..

وبحركة حادَّة ، أشاح بوجهه عن القرص ، وكأنه يخشى رؤيته ، وقال فى توتُّر :

ــ لو أنها عملة أثرية ، فمن الأفضل أن نخفى أمرها تمامًا ، وإلَّا سعى رجال الآثار جاهدين ، لإيقاف العمل فى الموقع ، بحجَّة حماية الآثار ، على حين قد تكون تلك العملة مجرَّد قرش سقط من ثقب صغير ، فى جيب أحد الأقدمين ..

ضحك العامل ، وهو يقول :

ــ نعم يا سيِّدى .. أنت على حقّ .

قالها العامل فى بساطة ، وانصرف ..

وبقى المهندس (يحيى) وحده ..

مع القُرص ..

ومرَّة أخرى راح يتطلَّع إلى النقوش ..

ومرَّة أخرى ارتجف ..

ارتجف من قمة رأسه ، حتى أخمص قدميه ..

ودسَّ القرص فى جيبه ، وهو يتمتم فى توتُّر :

ــ لست أدرى ما أنت ، ولكنك شىء بشع .. بشع حتمًا ..

وعاد يواصل عمله فى انهماك ..

أو هو تظاهر بذلك ..

* * *

نسىَ المهندس (يحيى) أمر القرص حقًّا ..

مع انهماكه فى العمل ، وشغفه بوضع اللَّمسات الأخيرة له ، غاب عن ذهنه أمر القرص تمامًا ..

والدليل على ذلك هو أنه كان شديد المَرَح ، وهو يغادر الموقع فى المساء ، ويستقلّ سيارته الصاروخية إلى منزله ..

وهناك ، فى منزله ، تذكَّر القرص مرَّة أخرى ..

كان يفرغ جيوبه من محتوياتها ، عندما رآه ..

وبتوتُّر بالغ ، أمسك (يحيى) القرص ، وعاد يتأمَّله فى دهشة وحَيْرة ..

كانت تلك النقوش تبدو له الآن أشدّ وضوحًا ..

وتساءل فى صوت مسموع :

ــ ما تلك النقوش ؟.. تُرَى أهى رسم قديم ؟.. أم رمز بدائىّ ؟.. أهى شعار ملكى ، أم شعار دينى ؟.. أم ...... ؟

بتر عبارته ، عند النقطة الأخيرة ، وهتف فى حِدَّة :

ــ أم لغة قديمة .

اتسعت عيناه فى انفعال ، وهو يحدِّق فى النقوش ..
نعم .. إنها كلمات ..
كلمات بدائية قديمة ..
كلمات بلغة تعود إلى بدء الخليقة ..
إلى ما قبل اللغة المِسْمارية(*) ..
إلى الأزل ..
وفجأة ، وبلا مقدمات ، بدت له تلك الكلمات معروفة ، مقروءة ..
ودون أن يشعر ، أحاط به ظلام دامس ..
ظلام مخيف ..
مرعب ..
وانطلقت من حوله ضحكة مخيفة ..
ضحكة لم يسمعها ..
ودون وعي ، وفى حالة أشبه بالغيبوبة ، أو بالتنويم المغناطيسى ، قرأ (يحيى) النقوش الشيطانية ..

(*) اللغة المسمارية : لغة قديمة ، يعدّها العلماء من أقدم لغات العالم ، هى واللغة السنسكريتية ، وفى المسمارية كانت كل الحروف والكلمات أشبه بمسامير متراصة ، ومن هنا جاء اسمها .

نطقها على نحو لا شبيه له ..
وانتفضت الدنيا ..
وانتفض هو ..
وارتجف كل شىء من حوله ..
ثم ظهر أمامه ذلك الشىء ..
كتلة من جحيم لا يوصف ..
ظلام ورُعب وآلام وكراهية ..
كل شرور الدنيا تجسَّدت فى كتلة واحدة ..
ثم تحوَّلت إلى شاب وسيم ..
شاب بالغ الوسامة والأناقة ..
شاب يبتسم ..
والتصق (يحيى) بالحائط فى رُعب ، وراح يحدِّق فى وجه الشاب ..
وفى ابتسامته رأى الموت ..
وفى عينيه بدا الجحيم ..
وبصَوْت عميق مُخيف ، ولهجة أشبه بصدى الزَّمن ، قال الشاب :

كل شرور الدنيا تجسَّدت فى كتلة واحدة .. ثم تحوَّلت إلى شاب وسيم

ـ لقد عُدْت ..

ودوَّى قصف الرعد فى السماء ..

لقد عاد ..

عاد (ابن الشيطان) ..

* * *



٣ ـ الأجيـال ..

تطلَّع (نور) فى حَيْرة ، إلى ذلك الممرّ الممتد أمامه ، فى منزل جَدّه القديم ، فى ذلك الحىّ الشعبىّ من أحياء (القاهرة) القديمة ..

كان الممرّ مظلمًا ، مخيفًا ، ولكن كان عليه حتمًا أن يَعْبُره ..

لم يَدرِ لماذا ، ولا ما الذى ينتظره فى نهايته ، ولكنه كان مُوقنًا ، لسبب ما ، من أن عبور ذلك الممرّ أمر حَتمِىّ ..

وعَبَرَه (نور) ..

وخُيِّل إليه ـ وهو يَعْبُرُه ـ أنه يطير ، فلا يمسّ الأرض ..

أو أنه يسير فوق مخمل حريرىّ ناعم ..

وفى نهاية الممرّ ، رأى حجرة مغلقة ..

وفتحها ..

فتحها فى لهفة ، وكأنما ينتظره داخلها مجد الدنيا كله ..

وكانت الحجرة خالية ، إلّا من لوحة صغيرة فوق الجدار المواجه للباب ..

وبآليّة تامّة ..

وبقيادة عامل مجهول ، اتجه (نور) نحو اللّوحة ، ورفعها من مكانها ، والتقط من خلفها ورقة مطويَّة ..

وفجأة ، دوّى ذلك الصوت ..

صوت هادئ ، عميق ، حنون ، قال :

ـ خُذها يا ولدى .

التفت (نور) إلى مصدر الصَّوْت فى دهشة ، وحدّق فى وجه صاحبه الكهل ، الذى استطرد فى عمق :

ـ خُذها يا ولدى .. ففيها خلاصك .

تراجع (نور) فى دهشة ، وهو يهتف :

ـ ولكن هذا مستحيل !!.. مستحيل !!.. لا يمكنك أن تلتقى بى فى هذا العالم .

ابتسم الكهل ، وهو يقول فى حنان :

ـ لسنا فى عالمك الآن يا (نور) .. أنت وأنا الآن فى عالَمِى .

هتف (نور) فى توتُّر :

ـ كلّا .. عالمك يختلف عن هذا العالَم .. عالمك أبدىّ ، وهذا مُؤَقَّت .

أجاب الكهل فى هدوء :

ـ هذا العالم فجوة بين عالمك وعالمى يا ولدى .. فجوة دائمة ..

هتف (نور) :

ـ ولكن هذا مستحيل .. مستحيل !!

سأله الكهل فى حنان :

ـ لماذا يا ولدى ؟.. لماذا ؟

اختنقت الكلمة فى حلق (نور) لحظات ، قبل أن يهتف بأقصى ما يملك من قوّة :

ـ لأنك ميّت يا جَدّى .. ميّت .. ميّت .. ميّت ..

شعر بيد تدفعه فى قوّة ، وسط الظلام الذى يحيط به ، ورأى جده ينظر إليه ويبتسم ، وسمع من يردّد اسمه من بعيد ، فواصل فى هياج :

ـ أنت ميّت .. ميّت ..

وفجأة ، دوّى اسمه فى أذنيه :

ـ (نور) .. (نور) .. استيقِظْ .

واستيقظ ..

كان كابوسًا عجيبًا ، استيقظ منه ، ليجد زوجته (سلوى) إلى جواره ، تتطلّع إليه فى قلق ، وهى تسأله فى حنان :

ـ ماذا هناك ؟ أهو كابوس ؟

تطلّع إليها لحظات فى حَيْرة ، ثم زفر فى عُمْق ، واعتدل جالسًا على طرف الفراش ، وغمغم فى توتُّر :

ـ نعم .. كابوس عجيب .. لقد رأيت نفسى فى منزل جَدّى القديم ، وقوّة مجهولة تدفعنى إلى حجرة مكتبه ، التى بدت لى خالية ، بخلاف المعتاد ، ورأيت جَدّى يدفعنى للحصول على ورقة مطويّة ، تختفى خلف إطار صورة أنيقة ..

قاطعته هاتفة فى دهشة :

ـ رأيت جَدّك الرّاحل ؟!

أومأ برأسه إيجابًا ، وغمغم فى توتُّر :

ـ نعم .. رأيت جَدّى الرّاحل .

ارتجفت فى خوف ، وغمغمت :

ـ (نور) .. ما الذى جعلك تتذكّر جَدّك الرّاحل الآن ؟

هزّ رأسه فى حَيْرة ، وهو يغمغم :

ـــ لست أدرى .. لقد بدت لى صورته واضحة تمامًا ، كما بدت لى من قبل ، عندما كنّا نواجه حارس الأرواح المحتال (*) .

سَرَت فى جسدها ارتجافة قويّة ، وهى تغمغم :

ـــ يا إلهى !!

تطلّع إليها بنظرة خاوية ، لم تستشف منها شيئًا ، ثم نهض من فراشه ، ووقف أمام النافذة لحظات فى صمت ، قبل أن يقول :

ـــ أتعلمين يا (سلوى) ؟!.

غمغمت فى قلق :

ـــ ماذا أعلم ؟

صمت لحظات قصاوًا ، ثم قال :

ـــ أظن ما رأيته لم يكن حُلمًا .

جعلها قوله تنتفض خوفًا ، وهى تسأله فى خفوت :

ـــ ما هو إذن ؟

التفت إليها ، وهو يقول فى حزم :

(*) راجع قصة (حارس الأرواح) .. المغامرة رقم (٣٣) .

ـــ رسالة .

شحُب وجهها ، وهى تغمغم :

ـــ رسالة من جدّك .

أومأ برأسه إيجابًا ، وهو يقول :

ـــ نعم .. من روح جدّى .

ثم اعتدل ، وأضاف فى حزم :

ـــ رسالة تطلب منّى الذهاب إلى هناك .. إلى منزله القديم .

ازدردت لُعابها فى صعوبة ، وغمغمت فى توتُّر :

ـــ (نور) .. أنت تعلم أن أحدًا لم يذهب إلى منزل جدّك ، منذ ثلاثة أعوام على الأقل .. ثم إنه من غير المنطقىّ أن تؤمن بما تقول .. إنه مجرّد كابوس .

شرد ببصره لحظات ، قبل أن يقول فى عمق :

ـــ هناك أشياء كثيرة ، لم أكن أومن بها من قبل يا (سلوى) ، ثم أثبتت لنا حياتنا المعقّدة أنها حقائق .

ازدردت لُعابها مرّة أخرى فى صعوبة ، قبل أن تسأله :

ـــ وماذا تنوى أن تفعل ؟

التفت إليها ، وهو يقول فى حزم :

ــ سأذهب إلى هناك .

ثم عاد يتطلع من النافذة ، مردفًا :

ــ إلى حيث ترك لى جَدّى رسالته ..

* * *

توقفت سيارة (نور) الصاروخية ، مع الضوء الأوّل لشروق الشمس ، أمام منزل قديم من طابقين ، يبدو شديد التهالك والعراقة ، ببوّابته المعدنية التى أكلها الصدأ ، وذلك الفناء الزّرِىّ ، الذى كان فيما مضى حديقة غنّاء ..

وكان المنزل ينهض وحده ، على حَافَة طَرِيق أسفلتى قديم ، دون أن تجاوره أيّة منازل أخرى ، حتى أنه بدا لـ (سلوى) مخيفًا ، مع ظلال الشروق الممتدة ، فغمغمت فى توتُّر :

ــ لست أدرى لماذا أصررت على قُدومنا إلى هنا ، فى مثل هذا الوقت المبكّر يا (نور) !!.. أما زلت تؤمن بقضايا الأرواح هذه ؟

سألها فى هدوء :

ــ أما زلت لا تؤمنين بها يا عزيزتى ؟

هزّت كتفيها ، وزفرت فى قوّة ، وهى تتبعه إلى خارج السيّارة مستسلمة ، ثم تلتصق به فى خوف ، وهما يتجهان إلى المنزل القديم ..

وارتجف جسدها الضئيل ، وسرَت فى أوصالها ارتجافة قويّة ، مع ذلك الصّرير المخيف ، الذى انبعث من مُفصّلات الباب القديم ، وعادت تغمغم فى مزيد من التوتُّر :

ــ يا له من إصرار ؟

أضاء (نور) رَدْهَةَ المنزل ، وقادها نحو ذلك السُّلَّم ، الذى يصعد إلى الطابق العلوىّ ، وهو يقول فى هدوء :

ــ لن يستغرق الأمر طويلًا يا عزيزتى .. سنحصل على تلك الورقة ، ونعود أدراجنا على الفور .

غمغمت فى حَنَق :

ــ أتعشَّم ذلك .

صعدا معًا إلى الطابق العلوىّ ، وأشار (نور) إلى الممرّ الممتد أمامه ، قائلًا فى انفعال واضح :

ــ ها هو ذا الممرّ .. سنجد الحجرة المنشودة فى نهايته ، كما جاء فى الحُلْم .

تمتمت فى حِدَّة :

ــ هُرَاء .

تابعا سيرهما عَبْرَ الممرّ المظلم ، حتى بلغا الحجرة ، فدفع (نور) بابها ، وهو يقول :

ـ المفروض أن نجدها خالية ، إلا من لوحة واحدة ، على الجدار المقابل .

ولكن الباب لم يُفتح ، على الرغم من قوّة دفع (نور) ، فتراجع خطوة إلى الخلف ، وقال لـ (سلوى) فى حزم :

ـ لا تجزعى .

ودفع كتفه فى منتصف الباب بكل قواه ، فانفتح فى عنف ، وارتطم بالحائط المثبّت فيه ، على حين شهقت (سلوى) فى دهشة ، وهى تهتف :

ـ يا إلٰهى !!.. الحُلم ؟!

وقف (نور) مبهُورًا مشدوهًا ، يحدّق فى الحجرة الخالية العارية ، إلّا من تلك اللّوحة ، المعلّقة على الجدار المواجه تمامًا ، وأدهشه فى شدّة أن تلك الحجرة كانت نظيفة إلى حدّ ملفت للنظر ، لا أثر فيها لذرّة غُبار واحدة ، على الرغم من أكوام الغبار ، التى تغطّى كل ركن آخر فى المنزل ..

وهتفت (سلوى) فى توتُّر :

ـ كيف بقيت تلك الحجرة هكذا ؟

أشار (نور) إلى النوافذ المغلقة فى إحكام ، وغمغم :

ـ يبدو أن هذا يعود إلى إحكام إغلاقها ، أو .....

لم يجد تفسيرًا آخر ، فاكتفى بهذا القول ، وتعلّق بصره بركن محترق ، فى نفس اللحظة ، التى هتفت فيها (سلوى) :

ـ ماذا أصاب ذلك الركن ؟

اقترب (نور) منه ، وتحسّسه فى اهتمام ، ثم تطلّع إلى أصابعه فى حَيْرة ، وهو يغمغم :

ـ لقد احترق لسبب ما .. أو بسبب ما .

ثم أدار عينيه إلى اللوحة فى حركة حادّة ، مستطردًا :

ـ أو هى الرسالة .

لم تفهم (سلوى) ما يَعْنيه ..

ولم تسأله عنه ..

الواقع أنه لم يمنحها الوقت لذلك ، لقد أسرع نحو اللّوحة ، وأزاح إطارها فى حركة حادّة ، فسقطت من خلفه ورقة مطوِيّة ، أسرع (نور) يلتقطها فى انفعال ، ثم أدار عينيه إلى (سلوى) ، التى وقفت شاحبة ممتقعة ، وهتف فى انفعال شديد :

ـ أما زلت لا تؤمنين يا (سلوى) ؟

تمتمت فى خوف :

فسقطت من خلفه ورقة مطويَّة ، أسرع (نور) يلتقطها فى انفعال

ـ إنما هو حُلْم .

هتف فى ثقة :

ـ بل رسالة .. رسالة من عالَم الأرواح ..

وأدار عينيه فيما حوله ، قبل أن يستطرد فى حزم :

ـ رسالة عَبْرَ الأجيال ..

* * *



٤ — الرِّسالة ..

تنهّدت (سلوى) فى ارتياح ، وهى تُعِدّ لزوجها (نور) قدحًا من الشاى ، فى مطبخ منزلهما ، وراحت تتطلّع إلى الجدران النظيفة المألوفة فى سعادة وامتنان ، وكأنما كانت تتصوّر أنهما لن يعودا إلى منزلهما أبدًا ..

وعندما حملت القدح إلى (نور) ، استوقفها مظهره ، وهو يغوص فى مقعد هوائى وثير ، محدّقًا فى ذلك القرص ذى النقوش العجيبة ، المرسوم وسط الورقة ، وأسفله تلك العبارة الغامضة : « النار وحدها تغسل الشرور » ..

ولم تكد تضع القدح أمامه ، حتى رفع (نور) عينيه إليها ، وغمغم فى شرود :

— شكرًا .

هزّت رأسها تفهّمًا ، وجلست أمامه ، وهى تغمغم فى قلق :

— إنه مجرّد نقش .. أليس كذلك ؟

هزّ كتفيه فى حَيْرة ، وعاد يتطلّع إلى رسم القرص ، متمتمًا :

— ربّما .

ثم اعتدل فى مجلسه ، وعقد حاجبيه فى اهتمام ، وهو يستطرد :

— ولكن ما الذى تعنيه تلك النقوش ؟

تنهّدت فى عمق ، وألقت نظرة سريعة على تلك النقوش ، التى تثير فى أعماقها قُشَعْرِيرَة مُبْهَمة ، ثم أشاحت بوجهها ، وهى تجيب :

— لست أدرى .. لعلها رمْزٌ لديانة بائدة ، أو شعار لإمبراطورية قديمة ، أو .....

قاطعها مكملًا :

— أو لُغة .

تطلّعت إليه فى دهشة ، وهى تغمغم :

— لُغة ؟!.. أى استنتاج هذا ؟

هزّ كتفيه ، وهو يقول :

— إنه مجرّد افتراض .

وجدت نفسها مشدودة إلى النقش ، وهى تغمغم فى قلق :

ـ لغة ؟!

ثم رفعت عينيها إلى (نور) ، مستطردة فى توتُّر :

ـ أتريد رأيى ؟

أجابها فى هدوء وجِدِّيَّة :

ـ بالتأكيد .

لوَّحت بكفِّها ، هاتفة :

ألقِ هذا الرسم بعيدًا .. أحرق الورقة كلها ، ودَعنا نعِشْ فى سلام .

هتف فى استنكار :

ـ أحرقها ؟!

ثم لوَّح بالورقة فى وجهها ، مستطردًا :

ـ إنها ليست مجرَّد ورقة يا (سلوى) .. إنها رسالة بالغة الأهمية ، قد تكون فيها نجاتنا من خطر قادم .

صاحت فى حِدَّة :

ـ أى خطر ؟!.. إن هذا مجرَّد حُلم يا (نور) .. لن تقنعنى أبدًا بأنها رسالة من عالم الأرواح .

سألها فى هدوء :

ـ ولكننا وجدنا الرسالة فى نفس المكان .. أليس كذلك ؟

هبَّت واقفة ، وهى تهتف :

ـ ربَّما رأيت جدَّك يضعها هناك ، وأنت بعدُ طفل صغير ، وانطبع ذلك فى عقلك الباطن .

مطَّ شفتيه ، قائلًا :

ـ ربما ، ولكن لماذا أتذكَّرها الآن ؟.. أتعلمين متى تُوُفِّى جدِّى ، (رحمه الله) ؟

صاحت متوتِّرة :

ـ ربَّما استثار شىء ما عقلك .. مشهد مشابه، أو قول.. أو فعل .

هزَّ كتفيه ، مغمغمًا :

ـ ربَّما .

ثم نهض ، مستطردًا فى حزم :

ـ ولكن الأمر يحتاج إلى استشارة شخص أكثر خبرة ، وأكثر اهتمامًا بالظواهر الخارقة ، وفوق الطبيعية .

هتفت فى توتُّر :

ـ إلى أين ؟.. ألن تتناول الشاى ؟

أجابها فى حزم :

ــ فيما بعد يا عزيزى .. فيما بعد .. أمّا الآن ، فسأذهب إلى ذلك الخبير .

واتجه نحو الباب ، وهو يستطرد فى حسم :

ــ إلى الدكتور (محمد حجازى) ..

* * *

قفز الصحفىّ الشابّ (صفوت) درجات السُّلَّم القصيرة ، فى مدخل الفندق الفاخر ، فى قلب (القاهرة) ، وعَبَرَ بابه البلّورىّ فى خطوات حماسية رشيقة ، وتوقّف أمام مائدة زجاجية مستديرة ، فى مدخل الفندق ، وابتسم ابتسامة صفراء ، فى وجه الجالس أمامها ، وهو يقول :

ــ صباح الخير يا (مراد) بك .

غمغم الرجل فى هدوء :

ــ صباح الخير يا أستاذ (صفوت) .

جلس (صفوت) على المائدة فى حسم ، وأخرج من جيبه مكعّبًا صغيرًا ، ضغط طرفيه ، وهو يقول فى تخابث :

ــ مَعْذِرَةً .. إننى أكره وسائل التصنُّت .

غمغم (مراد) فى هدوء :

ــ لا بأس .

مال (صفوت) نحوه ، وقال فى مَرَح ساخر :

ــ قُلْ لى .. هل أحضرت المبلغ ؟

أشار (مراد) إلى حقيبة مجاورة ، وهو يقول :

ــ كله .. ولكن ينبغى أن تُوقف تلك الحملة الصحفية على الفور .

هتف (صفوت) فى مرح :

ــ بالطبع ..

حمل (مراد) الحقيبة ، وناولها لـ(صفوت) ، قائلًا فى حزم :

ــ خُذْ .. مليون جنيه .. كلها لك .

تألّقت عينا (صفوت) فى جشعٍ واضح ، واحتضن الحقيبة فى لهفة ، وهو يهتف :

ــ ستتوقّف الحملة على الفور ، و .....

قاطعه صوت صارم يقول :

ــ وماذا أيها الحقير ؟

امتقع وجه (صفوت) ، والتفت إلى مصدر الصوت فى حِدّة ، فرأى أمامه رجل شرطة ، يصحبه عدد من محرّرى جريدة (أنباء الفيديو) ، وعلى رأسهم (مشيرة محفوظ) ، التى هتفت فى ازدراء :

ـ يالَكَ من حقير !! المرتشون أمثالك لا يستحقون العمل فى مجال شريف كالصَّحافة .

امتقع وجه (صفوت) فى شدَّة ، وهو يقول :

ـ أى مُرْتَشِين ؟.. لقد كنت أخدعه ، لأُثبت أنه غير أمين ، و .....

قاطعه فى حِدَّة :

ـ وماذا ؟.. لا فائدة من الكذب أيها الحقير .. لقد سجَّلنا كل شىء بالصوت والصورة .

هتف فى حِدَّة :

ـ مستحيل !.. ذلك المكعَّب ..

تنبه فجأة إلى أن اعتراضه سيحوى اعترافًا ضمنيًا بجرمه ، فأطبق شفتيه دفعة واحدة ، على حين أكملت (مشيرة) فى غضب :

ـ إنه يحيطك بمجال كهرومغناطيسى خفىّ .. أليس كذلك ؟.. إننا نعلم ذلك أيها الوغد .. وكنَّا نتوقَّع أن تلجأ إليه ؛ لذا فقد زوَّدنا المائدة بمجال عكسىّ ، وبهذه الوسيلة التقطنا لك فيلمًا كاملًا ، بإذن النيابة ، يثبت جُرمك ، وسَيَعْنى هذا فصلك من الجريدة .

انكمش فى مقعده فى توتُّر ، على حين أضاف رجل الشرطة فى صرامة :

ـ والسجن لخمس سنوات على الأقل ، بتهمة تقاضى رشوة ، و .....

قبل أن يتمَّ عبارته ، قفز (صفوت) من مقعده صارخًا :

ـ كلَّا .. لن يحدث هذا أبدًا .

وفجأة ، هَوَى على فكِّ رجل الشرطة بِلَكْمَة قويَّة ، أزاحت الرجل بعيدًا ، ودفع أحد رفاق جريدته عن طريقه ، صارخًا :

ـ اتركونى .

ثم اندفع نحو باب الفندق البلَّورىّ ، وقفز محطِّمًا واجهته السميكة ، ومتجاوزًا إيَّاها إلى الخارج ، وسط صراخ روَّاد الفندق ، وانطلق يعدُو مبتعدًا ، ورجل الشرطة يهتف من خلفه :

ـ أمسكوا هذا الرجل .. أوقفوه .

ولكن (صفوت) عَبَرَ الحاجز القصير ، الذى يفصله عن الطريق ، وانطلق مبتعدًا ، وانحرف فى طريق جانبىّ ، وهو يلهث فى خوف وتعب وتوتُّر ..

وفجأة ، تسمَّرت قدماه ، وخفق قلبه فى قوّة وتوتُّر ..

لقد وجد أمامه فجأة شابًّا وسيمًا ..

وكان الشاب أنيقاً ، جميل المحيّا ، ولكن شيئًا ما فى هيئته ، أثار رُعب (صفوت) وتوتُّره ..

ومضت لحظات صامتة تمامًا ، و (صفوت) يحدّق فى عينى الشاب الناريّتين فى رُعب .. قبل أن يغمغم فى صوت مختنق ، تجاوَزَ حلقه فى صعوبة بالغة :

ـ ابتعد .. ابتعد عن طريقى .

سأله الشاب فى صوت هادئ ، أثار فى نفسه رُعْبًا لاحُدود له :

ـ إلى أين ؟

ارتجف فى شِدّة ، وبات على شفا لحظة واحدة ، من الانفجار ببكاء حارّ ، وهو يتمتم :

ـ لابدّ أن .. لابدّ أن .....

لم يستطع إتمام عبارته أبدًا ..

كانت عينا الشاب الناريّتان تتسلّلان إلى أعمق أعماقه ، وتحطِّمان إرادته تحطيمًا ..

وبصوت بدا وكأنه يأتى من أعمق أعماق الجحيم ، تحدَّث الشاب ..

وفى هدوء مثير مخيف ، قال :

ـ إنك لن تذهب إلى أى مكان .. لن تذهب .

لحظتها أيقن (صفوت) ـ دون أن يدرى سببًا لذلك ـ أنه لن يذهب حقًّا ..

لن يذهب أبدًا ..

* * *

استقبل الدكتور (حجازى) (نور) بابتسامة واسعة ، وربَّت على كفِّه فى حرارة ، وهو يقول :

ـ مرحبًا يا (نور) .. مرحبًا ياوَلَدِى .. كم يُسعدنى دوْمًا أن أراك ، وأن أجالسك .

ابتسم (نور) ، وهو يقول :

ـ أنا أيضًا يُسعدنى دوْمًا أن أراك وأن أجالسك ياسيِّدى .

مضت بضع دقائق ، وهما يتبادلان التحية والحديث الحار ، قبل أن يعتدل الدكتور (حجازى) فى مجلسه ، ويقول :

ـ والآن يا (نور) ، ما الذى دفعك لزيارتى ، فى مثل هذا الوقت ؟

ابتسم (نور) فى خجل ، وقال :

ـ الواقع هو أننى ، إلى جوار رغبتى فى مجالستك ، أحتاج إلى خبرتك الواسعة ، وتعمُّقك فى دراسات ما فوق الطبيعيات يا دكتور (حجازى) .

بدا وكأن هذا قد جذب انتباه الدكتور (حجازى) فى شِدَّة ، فلقد عقد حاجبيه ، وانتبه فى مجلسه ، وهو يقول فى انتباه بالغ :

ـ لماذا يا (نور) ؟

قصَّ عليه (نور) القصة كلها ، منذ راوده ذلك الحُلْم فى منامه ، وحتى عثوره على الرسم ، فازداد انعقاد حاجبى الدكتور (حجازى) ، وهو يقول :

ـ قصة عجيبة حقًّا يا (نور) ، ولكنَّ جدَّك (رحمه الله) كان رجلًا صالحًا مؤمنًا ، إلى الحدّ الذى يجعلنى أميل إلى تصديق رسالته الرُّوحية لك ، وإلى أهميتها وخطورتها بلا شك .

ثم مدّ يده إلى (نور) ، مستطردًا :

ـ هل لى أن أرى ذلك النقش ؟

أجابه (نور) فى حماس ، وهو يُخرج الرسم من جيبه :

ـ بالطبع .

تناول الدكتور (حجازى) الورقة المطوِيَّة ، وفضّها فى سرعة واهتمام ، ولم يكد يلقى نظرة على الرسم ، حتى خُيِّل لـ (نور) أن حاجبى الطبيب الشرعىّ الأشهر سيقفزان إلى السقف ، وأن عينيه ستفرَّان من محجريهما ، من شدة جحوظهما ، وأن رأسه كلها قد وثبت بغتة إلى الأمام ، وكادت ترتطم بالرسم ، فهتف فى توتُّر وانفعال :

ـ ماذا حدث ؟

حدَّق الدكتور (حجازى) فى وجهه لحظة ، بملامح أقرب إلى الرُّعب ، ثم اعتدل فى مجلسه ، وتمتم فى توتُّر :

ـ يا إلهى !

عاد (نور) يكرِّر سؤاله فى مزيد من الانفعال :

ـ ماذا حدث يا دكتور (حجازى) ؟

لم يجب الدكتور (حجازى) على الفور ، وإنما تراجع فى مقعده ، وهو يحدِّق فى وجه (نور) ، قبل أن يزفر فى عمق ، ويلتقط نفسًا عميقًا ، ويقول :

ـــ هل تعلم يا (نور)؟.. لقد انتهيت ، قبيل لحظات من وصولك ، من فحص جثة قتيل شاب .

سأله (نور) فى دهشة :

ـــ وما شأن هذا بالنقش ؟

واصل الدكتور (حجازى) ، وكأنما لم يسمع السؤال :

ـــ وهذا القتيل قد انتحر ، كما أكّدت فحوص وتحرّيات الشرطة ، فقد وجدته خطيبته مشنوقًا فى منزله ، الذى يقيم فيه وحيدًا ، وكانت كل النوافذ مغلقة من الداخل ، بأقفال إليكترونية ، والباب كذلك ، مما يؤكّد استحالة أن يغادر قاتله المنزل ، لو أنه مات قتيلًا ، ولكن العجيب فى الأمر هو أن ذلك القتيل الشاب مهندس ناجح ، انتهى فى اليوم السابق لانتحاره ، من إعداد موقع جديد ، من مواقع البحث عن البترول ، وكان يتوقّع ترقية ، أو مكافأة سخيّة ، وكان يمرُّ بحالة تفاهم تام مع أسرته ، وخطيبته ، وشديد المرح ، و .....

صمت لحظة ، وكأنما لم يجد داعيًا للاستطراد ، ثم لم يلبث أن أردف فى توتُّر :

ـــ باختصار ، لم يكن هناك سبب واحد للانتحار .

استمع إليه (نور) ، حتى انتهى من روايته ، ثم غمغم فى حيْرة :

ـــ وما صلة ذلك بالنقش ؟

التفت إليه الدكتور (حجازى) بحركة حادّة ، وهو يقول :

ـــ صلة وثيقة .

ثم مال نحوه ، مستطردًا فى توتُّر بالغ :

ـــ لقد كان هناك نقش محفور على صدر المهندس (يحيى) المنتحر .

وأدار الورقة فى حِدّة ، ليواجه النقش وجه (نور) ، متابعًا فى عصبيّة :

ـــ هذا النقش تمامًا ..

* * *



٥ ـ الخــوف ..

اندفع الصحفىّ (صفوت) داخل منزله ، وأغلق الباب خلفه فى إحكام ، ثم التفت إلى ذلك الشابّ الوسيم ، الذى جلس هادئًا ، يبتسم ابتسامة مخيفة ، وهتف بلهجة رجل مَبْهُور :

ـ لقد كنت على حقّ .. كنت على حقٍّ تمامًا .. كل شىء سار كما أخبرتنى .. وعلى نحو أصاب الجميع بالذُّهول .

اكتفــى الشابّ بابتسامتــه الواثقــة ، على حين راح (صفوت) يلوّح بذراعيه فى الهواء ، مستطردًا فى انفعال :

ـ لقد عُدت إليهم كما أمرتنى ، وتظاهرت بالدّهشة ، وهم يتّهموننى بتقاضى رشوة ، ولمّا عرضوا ذلك الفيلم الهولوجرافى ، الذى يديننى ، أصابهم ذُهول شديد ، فقد كان المشهد عاديًا ، إلّا من تفصيل واحد .. أنا .. لم تكن صورتى هناك على الإطلاق ، كأنما كنت رجلًا خفيًا .. حتى الصوت امّحى تمامًا ، وكأن لم يكن .. وعندما التقطوا البَصَمات ،

ورفعوا توزيع المسامّ عن المائدة ، كانت مختلفة عن بَصَماتى وتوزيع مسامّى العَرَقِيَّة تمامًا ..

غمغم الشابّ فى هدوء :

ـ بالطبع .

اقترب منه (صفوت) ، وكاد يجثُو على ركبتيه أمامه ، وهو يهتف فى خوف :

ـ ولكن كيف فعلت ذلك ؟.. لقد تجاوزت حتى تكنولوچيا القرن الحادى والعشرين المتطوِّرة .

برقت عينا الشابّ ببريق مخيف ، جمَّد الدَّمَ فى عروق (صفوت) ، قبل أن يقول فى لهجة مُرْعِبَة :

ـ ما من تكنولوچيا تفُوق قُدراتى .. أنا وَحْدِى أفُوق كلّ العُصُور .

ارتجف (صفوت) من قمّة رأسه ، حتى أخمص قدمَيْه ، وهو يغمغم :

ـ ولكن من أنت ؟.. من ؟.

خُيِّل إليه أنّ جُدران منزله قد ارتجفت ، وارتعدت ، وأن قلبه قد انتفض بين ضلوعه فى رُعْب هائل ، حينما أجاب ذلك الجالس أمامه ، فى صوت بدا وكأنه يأتى من أعمق أعماق الأرض :



اقترب منه (صفوت) ، وكاد يجثو على ركبتيه ، أمامه ، وهو يهتف فى خوف

ـ فلتنادِنى باسم (بعلزبول) .. (بعلزبول الصغير) .

امتقع وجه (صفوت) ، وتراجع فى رُعْب هائل ، حتى التصق بالجدار ، وهو يردِّد فى هلَع :

ـ ولكن اسم (بعلزبول) هذا يَعْنى .. يَعْنى .....

قاطعه الشاب فى صوت كالموت :

ـ يَعْنى الشيطان .. نعم .. أنا ابنه .. (ابن الشيطان) ..

* * *

سَرَتْ قُشَعْرِيرَة باردة وغامضة ومُخِيفة ، فى جسد (نور) ، وهو يتحسَّس ذلك النقش البارز ، على صدر جثة المهندس (يحيى) ، وارتجفت أصابعه ، على الرغم منه ، وهو يقارنه بذلك المرسوم على تلك الورقة ، التى وجدها فى منزل جدّه ، ثم لم يلبث أن غمغم فى انفعال بالغ :

ـ عجبًا !!

كان من حقِّه أن يشعر بدهشة بالغة ، فلقد كان النقشان مُنطَبِقَيْن تمامًا ، حتى فى مساحتهما ، كما لو أن خاتمًا واحدًا صنعهما معًا ..

وفى توتُّر ، سأل (نور) الدكتور (حجازى) :

ـ كيف حدث ذلك النقش على صدره ؟

هزَّ الدكتور (حجازى) رأسه ، وقال :

ـــ إنه شىء عجيب حقًّا ، فدراستى للأنسجة تؤكِّد أنَّ عمر هذا النقش لا يزيد على يوم واحد ، على حين يبدو ظاهريًّا وكأنه قد انحفر على الجلد منذ مولد هذا الرجل ، وهذا التناقض يَعْنى أن النقش قد وضع هنا بضغط هائل ، من العجيب أن تحمله الضلوع ، وتبقى سليمة .

سأله (نور) فى دهشة :

ـــ ماذا يَعْنى هذا ؟

عاد الدكتور (حجازى) يهزُّ رأسه ، قائلًا :

ـــ يَعْنى أننا لا نواجه أمرًا علميًّا يا (نور) ، بل أفعالًا شيطانية عجيبة .

وصمت لحظة ، ثم ارتجف صوته ، وهو يستطرد :

ـــ والحقُّ أننى أشعر بخوف مُبْهَم .. خوفٍ شديد .

ردَّد (نور) مَشْدُوهًا :

ـــ خوف ؟!

كان ما يقلقه ، فى هذه المرَّة ، هو أنــه أيضًا يشعــر بالخوف ..

خوف مُبهم عجيب ..

أو أنه كان يشعر بالخطر ..

كان هناك شعور عجيب يَسْرِى فى عُروقه ، منذ وقع بصره على ذلك النقش لأوَّل مرَّة ..

شعور يشبه ذلك الذى ينتابه ، كلما كان مُقْدِمًا على مخاطرة شديدة ، أو على مهمَّة جديدة ..

ومن العجيب أن ذلك النقش كان يبدو له أحيانًا مفهومًا ، مألوفًا ، على الرغم من ثقته الشديدة فى أنه لم يَرَهُ مرَّة واحدة ، فى حياته كلها ..

ولكنه حتمًا مُقْدِم على معركة ..

معركة شيطانية ..

* * *

التصق (صفوت) بالجدار فى رُعْب هائل ، وهو يحدِّق فى وجه (بعلزبول الصغير) ، الجالس أمامه ، وراح قلبه يَنْبض فى سرعة مخيفة ، وهو يردِّد فى ارتياع وهَلَع :

ـــ (ابن الشيطان) ؟!.. أنت ابنه ؟!.. ابنه ؟!

صاح به (بعلزبول) فى صوت هادر مخيف :

ـــ اصمت .

انتفض جسد (صفوت) كله ، وتهاوَى أرضًا ، ورأى

(ابن الشيطان) ينهض واقفًا ، وقد بدا له أشبه بمارد هائل ، وهو يقول بلهجته المخيفة :

ــ اصمت أيها البشرىُّ الأحمق .. كيف ترتعد هكذا ، بعد أن أنقذتك من سقطتك ؟.. ألم تفهم بعدُ أيُّها الغبىُّ ؟

ارتعد (صفوت) وهو يقول فى أمل :

ــ لقد فهمت .. فهمت يا سيِّدى .. إننا صديقان .. أليس كذلك ؟

صرخ (ابن الشيطان) فى غضب واستنكار :

ــ صديقان ؟!.. أىُّ هُراء هذا أيُّها البشرىُّ .. (لوسيفر الابن) ليس له أصدقاء .. ما من بشرىّ يرتفع إلى مستوى صداقته .

التصق (صفوت) بالأرض ، وانكمش فيها ، ووَدَّ لو أنها قد انشقَّت وابتلعته فى هذه اللحظة ، من فَرْط رُعْبه ، وخاصَّةً حينما أشار إليه (ابن الشيطان) ، مستطردًا فى قوَّة وحزم :

ــ إنما أنت تابعى .

تجمَّدت الدماء فى عروق (صفوت) ، وهو يقول فى هَلَع :

ــ تابعك ؟!

لوَّح (بعلزبول) بذراعيه فى عظمة ، وهو يقول :

ــ نعم .. تابعى .. كل العظماء لهم أتباع .

ثم أدار نحوه عينيه الناريَّتين ، مستطردًا :

ــ كما أننى أحتاج حتمًا إلى تابع بشرىّ .

غمغم (صفوت) فى رُعْب :

ــ أنت ؟!.. أنت تحتاج إلى تابع ؟!

قال (ابن الشيطان) فى صرامة :

ــ اصمت .

ثم اعتدل ، مستطردًا ، وكأنه يسترجع تاريخًا قديمًا :

ــ لقد خسرت عدة معارك مع بنى البشر ، عَبْرَ تاريخكم الطويل ، لمجرَّد أننى كنت أقاتل وحدى ، دون معاون بشرىّ .

غمغم (صفوت) فى ذُهُول :

ــ عَبْرَ تاريخنا ؟!

ابتسم (بعلزبول) فى سُخرية ، وهو يقول :

ــ بالطبع أيُّها البشرىّ الأحمق .. ألم تقرأ تاريخكم ؟!.. ألم تقرأ عن (ست) ؟!

اتسعت عينا (صفوت) فى مزيد من الذُهول ، وهو يهتف :

— أنت ؟!.. أنت كنت (ست) ، إله الشرّ(*) .

أطلق (بعلزبول) ضحكة مخيفة ، بدا وكأنها تأتى من أعمق أعماق الجحيم ، قبل أن يقول :

— بالطبع .. كنت أنا هو ، وغيره .. وغيره .. كنت رمز الشرّ فى كل العصور والأساطير .

قالها وعاد يضحك مِلْء فيه ، على نحو جعل (صفوت) يزداد رُعبًا وانكماشا وهلَعًا ، وقد بدت له الجدران كلها ترتجف على صدى الضحكات ، قبل أن يتوقّف (بعلزبول) بغتة ، وتبرق عيناه ببريق نارِىّ مخيف ، وهو يقول فى حِدّة وكراهية :

(*) تتحدث القصص والأساطير المصريّة القديمة عن أسطورة (إيزيس) و (أوزيريس) ، وشقيقهما (ست) ، عندما أراد (ست) أن يزيح (أوزيريس) عن طريقه ، فخدعه فى أثناء حفل خاصّ ، وأقنعه بأن يرقد داخل تابوت خاصّ ، ثم أغلق التابوت عليه ، وألقاه فى النيل ، وراحت (إيزيس) تبحث عن زوجها طيلة عمرها ، حتى عثرت عليه ، وأعادت إليه ملكه ، بعد أن هُزم (ست) ، ومنذ ذلك الحين أصبحت (إيزيس) إلهة الزراعة والخصوبة ، وأصبح (أوزيريس) إله الموتى ، على حين صار (ست) دوْمًا إله الشرّ ، ورمزًا للشيطان .

— ولكن كان هناك دوْمًا رمز للخير .

قالها فى بُغض هائل ، ثم اعتدل ، ليبدو مرّة أخرى كالمارد ، قبل أن يستطرد فى غضب :

— منذ عهد (أوزيريس) ، راح كل نسله يطاردنى عَبْرَ العُصور .. كل من يحملون دماءه أعداء لى ، ولقد تقاتلنا عَبْرَ الأجيال ، وتصارعنا بكل ما فى الكون من صلابة وشراسة وعناد .

وصمت لحظة ، ثم تقاطر مزيج من البُغض والمرارة مع كلماته ، وهو يُرْدِف :

— وفى كل مرّة كانوا ينتصرون .

صمت لحظة أخرى ، وكأنه يحاول أن يبتلع مرارته ، قبل أن يتابع فى غضب :

— ومع عودتى هذه المرّة ، قرّرت أن أضع حدًّا للصراع إلى الأبد .

وتحوّل صوته إلى صرخة هادرة مُرْعبة ، وهو يكرّر :

— إلى الأبد .

كاد (صفوت) يبكى ، وهو يقول :

— أوامرك يا سيّدى .

أشار إليه (ابن الشيطان) بكفّه فى ازدراء ، وقال :

ــ كلّا .. دورك لم يَحِنْ بَعْد .

ثم عادت عيناه تبرقان فى غضب شيطانىّ ، وهو يستطرد :

ــ لقد بَقِىَ اثنان فى هذا العالم أجمع ، يحملان دم (أوزيريس) ، أحدهما صار كهلًا ، لا خوف منه ، والآخر شابٌّ ، يحمل مع عمره الخطر .. كل الخطر .

غمغم (صفوت) فى خوف :

ــ هل أقتلهما ؟

ابتسم (ابن الشيطان) فى سُخرية ، وهو يقول :

ــ تقتلهما ؟!.. يالك من مغرور !

ثم ضمّ قبضته أمام وجهه ، مستطردًا فى صرامة وغضب :

ــ إنهما لى .

ثم أشار إلى لامكان ، مردفًا فى حِدَّة :

ــ وسأبدأ بأقواهما .

وبرقت عيناه كجمرتين من نار ، وهو يتابع :

ــ سأبدأ بالرائد (نور الدين) .. آخر نسل (أوزيريس) ..

* * *

٦ ــ الآن .. بدأ الصِّراع ..

أطلقت (نشوى) صيحة مَرَح ، وهى تعبُر باب حديقة المنزلْ بسيَّارتها الصغيرة ، عند عودتها من عملها بمركز الكمبيوتر الرئيسىّ ، وأوقفت السيَّارة وسط أحواض الزُّهور ، ثم قفزت منها فى رشاقة ، واندفعت نحو أُمّها ، التى تقف أمام باب المنزل ، واحتضنتها هاتفة فى مَرَح :

ــ أمَّاه .. كم أوحشتنى !!

ابتسمت (سلوى) فى حنان ، وربَّتت على كتف ابنتها ، وقالت :

ــ أنت أوحشتنى أكثر يا (نشوى) ، ولكن كُفّى عن مخاطبتى بلقب أُمّى ؛ بهذا الصوت المرتفع ، فهذا يجعلنى أبدو عجوزًا .

ضحكت (نشوى) ، وهى تقول :

ــ أنت على حقّ ، فلقد تضاعف عمرى بغتة ، بسبب ذلك العقَّار العجيب ، الذى تناولته مرغمة ، فى أعماق

المحيط الأطلنطى(*) . حتى أننا نبدو أنا وأنت كشقيقتين .

ضحكت (سلوى) بدوْرِها ، وهى تقول :

— إننى أفضِّل هذا .

ثم عادت تسألها فى جِدِّيَّة :

— ولكن ما الذى يَعْنيه كل هذا المَرَح ، هل قمت بزيارة خطيبك (رمزى) ، قبل أن تأتى إلى هنا ؟

ضحكت (نشوى) فى حياء ، وهى تقول :

— من الواضح أن أبى قد نجح فى تدريبك على فنِّ الاستنتاج .. نعم .. لقد زرت (رمزى) .

سألتها (سلوى) مبتسمة :

— كيف حاله ؟

أجابتها فى مَرَح :

— فى خير حال .. لقد عُوفِىَ تمامًا تقريبًا ، بعد إصابته السابقة ، فى أثناء قتالنا مع تلك الشياطين الصغيرة(**) .

اتسعت ابتسامة (سلوى) ، وهى تقول :

(*) راجع قصة (سادة الأعماق) .. المغامرة رقم (٦٢) .

(**) راجع قصة (الستار الأسود) .. المغامرة رقم (٧٠)

— كم يُسعدنى هذا !!

سألتها (نشوى) ، وهى تندفع داخل المنزل :

— أين أبى ؟

أجابتها (سلوى) ، وهى تتجه معها إلى المطبخ :

— إنه فى زيارة للدكتور (حجازى) ، وسيعود بعد قليل .

قالت (نشوى) ضاحكة :

— أراهنك أنه قد ذهب إليه لسبب ما ، فأبى ليس اجتماعيًّا ، فيما لا يخصّ العمل .

رمقتها (سلوى) بنظرة عِتاب ، وهى تقول :

— والدك رجل عظيم يا (نشوى) ، ولو أنه ليس اجتماعيًّا ، فهذا يعود إلى أن عمله يلتهم جُلَّ وقته ، و .....

قاطعتها (نشوى) فى مرح :

— حسنًا يا أمَّاه .. حسنًا .. إننى لم أكن أقصد ذلك ، ولكننى جائعة للغاية ، وأتمنَّى أن يعود أبى سريعًا ؛ لنتناول الطعام معًا .

قالت هذا ، وهى تندفع نحو صنبور المياه ، وتلتقط كوبًا ، ثم تفتح الصُّنْبُور ..

وفجأة ، اتسعت عيناها فى رُعب ، وتراجعت كالمَصْعُوقة ، وصرخت فى ذُعْر :

ـــ أمَّاه !

التفتت إليها (سلوى) فى حِدَّة ، ولم تكد تنظر إلى ما تنظر إليه ابنتها ، حتى اتسعت عيناها فى رُعْب مشابه ، وهى تهتف :

ـــ ربَّاه !!

فأمام عينيها كان الصُّنْبُور المفتوح لا يُلْقِى الماء ..

بل الدّم ..

الدّم فقط ..

* * *

مضت لحظات من الصَّمْت والذُّهول ، و (سلوى) و (نشوى) تحدّقان فى ذلك الدّم ، الذى ملأ حَوْض المطبخ بلونه الأحمر القانى ، قبل أن تغمغم (نشوى) فى رُعْب :

ـــ ما هذا ؟

أجابتها (سلوى) فى صوت مُرْتَجِف :

ـــ لست أدرى .

ثم أضافت فى توتُّر :

ـــ ولكنه ليس دَوْمًا بالتأكيد .. لعلَّه نوع من الطَّمْي ، تسرَّب إلى مواسير المياه ، أو .....

لم يَبْدُ حديثها منطقيًّا ، حتى بالنسبة إليها ، فلقد كانت تعلم أنَّ أسلوب توزيع المياه الحديث ، لا يسمح بتسرُّب ذرَّة واحدة من الشوائب إلى المياه ، فكيف بتلك الكمية المخيفة من الطَّمْي الأحمر ..

وفى حزم ، وأمام رُعب ابنتها ، قالت (سلوى) :

ـــ سأُغلِق الصُّنْبُور .

انتزعت نفسها من مكانها ، واتجهت نحو الصُّنْبُور ، وتردَّدت لحظة فى خوف ، ثم مدَّت يدها لتُغْلِق الصُّنْبُور ..

وفجأة .. وعندما أمسكت يدها الصُّنْبُور ، توقَّف انهمار الدّم ، وعادت المياه تسيل لتغسل بقايا الدّم من جُدران الحَوْض ، فتراجعت يد (سلوى) فى ذُعْر ، وقفز جسدها كله إلى الخلف ، وهى تهتف :

ـــ يا إلهى !!

صاحت (نشوى) فى رُعْب :

ـــ ماذا يحدث هنا يا أُمّاه ؟

أجابتها (سلوى) فى رُعْب لا يقلُّ عن رُعْبها :

ـــ لست أدرى يا (نشوى) .. لست أدرى .

ثم مدَّت يدها مرَّة أخرى فى تردُّد ، وأغلقت الصُّنْبُور ، ثم تراجعت فى حركة حادَّة ، وكأنها تتوقَّع أن يحدث شىء ..

ومضت لحظات دون أية ردود أفعال ، فغمغمت (نشوى) :

ـ أكان هذا وهمًا ؟

مالت (سلوى) برأسها ، وتطلَّعت إلى بقايا الدم فى الحوض ، وغمغمت :

ـ بل حقيقة .

زفرت (نشوى) فى توتُّر بالغ ، وألقت جسدها فوق مقعد كبير ذى مسندين جانبيين ، وهى تهتف :

ـ مستحيل !!

وفجأة ، ارتجف جسدها ، وجسد أمِّها ، وتجمَّدت الدِّماء فى عروقهما ، فقد انبعثت فجأة ضحكة شيطانية مخيفة ، من مكان مجهول ، وردَّدت كل الجدران صداها ، فصرخت (سلوى) :

ـ ماذا يحدث هنا ؟

أمَّا (نشوى) فقد تجمَّدت فى رُعب ؛ إذ خُيِّل إليها أنَّ ظهرَ مقعدها يرتجف ، أو ينبض ..

وفى بطء ورُعب ، التفتت تتطلَّع إلى ظهر المقعـــد ، ثم لم تلبث أن أطلقت صرخة تموج بالرُّعب ..

لقد رأت ظهْر المقعد أشبه بوجه ضخم ، يحدِّق بعينين مخيفتين ، ثم يكشِّر عن أسنان حادَّة مُرْعبة ..

وقبل أن تقفز (نشوى) مبتعدة ، أحاط مسندا المقعد الجانبيَّان بجسدها ، كما لو كانا ذراعَىْ جسد حَىّ ..

وصرخت (نشوى) فى رُعب هائل ..

وصرخت (سلوى) فى فَزَع رهيب ..

لقد رأت مقعدها يضم ابنتها إليه ، ويفتح أسنانه ليلتهمها ..

نعم .. ليلتهمها ..

* * *

انطلق (نور) بسيَّارته الصاروخية ، بسرعة بطيئة نسبيًّا ، عَبْرَ شوارع المدينة ، وهو يفكِّر فى عمق ..

كان أمر ذلك النقش الغامض يقلقه ، ويثير دهشته ..

بل ـ والحقُّ يُقال ـ كان يخيفه ..

لم يكن يدرك معناه ، أو مغزاه ، ولكنه يخشاه ..

وكان يشعر نحوه بخوف مُبْهَم ..

وعبثًا حاول أن يدرك أو يفهم صلة ذلك النقش برسالة جَدِّه الرُّوحانيَّة ..



لقد رأت ظهر المقعد أشبه بوجه ضخم ، يحدِّق بعينين مخيفتين

لماذا حاولت روح جدّه تحذيره ؟..

لماذا قادته إلى ذلك النقش ؟..

وما الذى تعْنيه تلك العبارة الغامضة : « النار وحدها تغسل الشرور » ؟!..

لماذا يبدو كل شىء غامضًا مُخيفًا هذه المرَّة ؟!..

لماذا ؟.. لماذا ؟.. لماذا ؟!..

عشرات التساؤلات ملأت رأسه ، وأحاطت بتفكيره فى قُوَّة ..

وفجأة ، وبينما كان ينحنى فى مُنْحَنَى حادّ ، يحتاج — حتى ممن يجيدون القيادة تمامًا — إلى حَذَر وانتباه شديدين ، هاجمته كل مخاوفه ..

هاجمته على هيئة ظل شيطانىّ مخيف ، لا شكل له ، انقضَّ على سيَّارته فجأة ، فأحال النهار أمامه إلى ظلام مُرْعِب ..

كان الموقف يبدو كما لو أن الليل قد انقضَّ فجأة على سيَّارة (نور) ، دون ما عداها ..

وحده رأى الظلام يحيط به تمامًا ، فى وَضَح النهار ..

وكردِّ فعل طبيعىّ للمفاجأة والخوف ، فقد (نور) سيطرته على أزرار القيادة ..

وانحرفت سيّارته فى شِدّة ..
وارتطمت بحاجز الطريق الجانبىّ ..
ودارت حول نفسها فى عنف ..
ثم انقلبت رأسًا على عقِب ، واشتعلت النيران فى أحد أطرافها ..
وداخلها رقد (نور) ، شبه فاقد الوعي ..
وفى أذنيه تردّدت ضحكة مخيفة ..
ضحكة شيطان ظافر ..

* * *



٧ ــ عالَم الأوْهام ..

انتفض جسد (سلوى) كله ، وهى تصرخ ..
وامتزجت صَرَخات الرُّعب ، المتقافزة من صدرها ، مع صراخ (نشوى) ، وهى تقاوم ذلك المقعد الحىّ ، الذى يحاول التهامها ..
كان المشهد كله أشبه بحُلْم مخيف ..
بكابوس ..
ومع مشاعر الأُمُومة فى عروقها ، انتزعت (سلوى) نفسها من خوفها ، والتقطت سكّينًا ضخمًا ، من وسط أدوات المطبخ ، وصرخت :
ــ اترك ابنتى أيها الوحش .
واندفعت نحو المقعد صارخة ..
وفجأة ، أمسك شيء ما بقدمها ، فتعثّرت وسقطت على وجهها ..
وعندما التفتت ؛ لترى ذلك الشيء ، صرخت كل خليّة من خلاياها فى رُعب ..

لقد كان المَوْقِد ..

المَوْقِد الضخم أمسك بقدمها ..

هو أيضًا دبَّت فيه الحياة ..

وفى رُعب رأت (سلوى) باب فُرنه يُفتَح ، وزِرّ الإشعال ينضغط ، فتضاء كل مصابيح الأشعة دون الحمراء ، المخصَّصة لِشَىِّ الأطعمة ..

وفى قوة راح الموقد يجذبها نحو الفُرن ..

وصرخت هى فى رُعب ..

لقد أدركت غرض ذلك المَوْقد الشيطانىّ الحىّ ..

إنه سيشويها ..

سيشويها حيَّة ..

* * *

شعر (نور) بخوف عجيب ، عندما دوَّت فى أذنيه تلك الضحكة الشيطانية مجهولة المصدر ، وحاول أن يقاوم تلك الغيبوبة ، التى تحيط برأسه ، وتنتزع منه الوعْىَ تدريجيًّا ، وتناهت إلى مسامعه أصوات من أحاطوا بسيَّارته المحطَّمة ، وهم يهتفون فى ذُعر ، وينادون بطلب طوَّافة إسعاف ..

ولكنه كان منهكًا تمامًا ..

شىء ما راح يدفعه للاستسلام ..

كان يعلم أنه سيلقَى حتفه حرْقًا ، ولكنه كان ــ لسبب ما ــ عاجزًا عن المقاومة ..

وفجأة ، خُيِّل إليه أنه قد انتُزِعَ من عالمه تمامًا ..

ربما سقط فى غَيْبوبة ..

أو انتقل عقله إلى عالَم آخر ..

إلى بَرْزَخ نادر مجهول ..

بَرْزَخ يصل ما بين عالمنا ، وعالم الحياة الأبدية ..

وبدا له وجه جَدِّه واضحًا ، وسمعه يقول فى حزم :

ــ انهض يا ولدى .. لاتسمح له بالانتصار .. لاتجعله يهزمك .

حاول أن يهتف :

ــ إننى أعْجَزُ من أن أفعل يا جَدِّى .

ولكنه لم يستطع ..

فقط استمع إلى جَدِّه ، وهو يهتف :

ــ أنت الأمل الوحيد الباقِ يا ولدى .. لاتترك مبعوث الجحيم هذا يُشيع الشَّرّ حيثما ذهب .. قاوِمْه .. واقتله .. من أجل البشرية .

هتف (نور) فى مرارة :

ـ لا أستطيع .. أنا ضعيف .. ضعيف .

صاح الجَدُّ فى غضب :

ـ انهض ، من أجل وطنك وعالَمك .

صاح (نور) :

ـ لقد حاولت ، وفشِلْت .

عقد الجَدُّ حاجبيه فى قوّة ، وهو يقول :

ـ انهض إذن من أجل ابنتك وزوجتك ..

ابنته ؟!..

زوجته ؟!..

وفجأة ، خرج (نور) من البَرْزَخ ..

عاد إلى عالَمه ..

ورأى النيران تقترب منه ..

وشعر بالقوْم من حوله يجاهدون لإخراجه من بَيْنِ الحُطام ..

وهنا فقط ، دبَّ الحماس والحزم فى قلبه وجسده ..

وراح يقاوم من أجل الخلاص ..

وَكانت النار تقترب .. وتقترب .. وتقترب ..

وهو يقاوم .. ويقاوم .. ويقاوم ..

ولم يكن يدرى بعد من سينتصر .. هو ، أم (ابن الشيطان) ؟.

* * *

كان الموقف ، فى مطبخ منزل (نور) رهيبًا مخيفًا ..

كانت (نشوى) تقاوم ذلك المقعد الحىّ فى رُعْب ..

والمَوْقِد الشيطانى يَجذب (سلوى) إليه ..

مشهد شيطانىّ مخيف ..

مشهد أبدعته قريحه مخرج ، جاء من أعماق الجحيم ..

مخرج شيطانىّ ..

وكان كل شىء يدعو إلى اليأس ..

وفى غمرة المرارة والرُّعب ، واليأس ، صرخت (سلوى) :

ـ رحماك يا إلٰهى !!

وفجأة ، ارتجف كل شىء ..

ارتجفت الجدران ..

ارتجف الأثاث ..

كل حجر وزاوية وركن فى المنزل كله راح يرتجف ، كما

لو أن زلزالًا عنيفًا قد انتقاه ، من دون بقاع الأرض ، وانقضّ عليه بكل قواه ..

كل أبواب أصونة المطبخ انفتحت دفعة واحدة ..

كل محتوياتها انهالت على رأس (سلوى) و (نشوى) ، اللتين تعالى صراخهما ، وهما تحميان وجهيهما بأذرعتهما وكُفوفهما ..

وشهقت (سلوى) فى رُعب هائل ، عندما رأت سكينًا ضخمًا يهوى نحو عنقها ، وأدارت رأسها فى حركة حادّة ، فانغرس نصل السكّين فى الأرض ، على قيد سنتيمتر واحد من وريدها العنقى ..

ثم هدأ كل شىء فجأة ..

هدأت العاصفة الشيطانية كما بدأت ..

وعاد المقعد الحىّ مقعدًا عاديًا ، وكذلك المَوْقِد ..

وفى ذُهول ، أدارت (سلوى) عينيها فيما حولها ..

وفى رُعب ، قفزت (نشوى) من مقعدها ، وراحت تحدّق فيه فى هَلَع ، قبل أن تصرخ :

ـــ أمّاه .. دَعِينا نخرج من هنا .. دَعِينا نغادر ذلك المكان .

صرخت بها (سلوى) ، وهى تنهض :

ـــ إنه منزلنا .

صاحت (نشوى) ، فى لهجة أقرب إلى الانهيار :

ـــ إنه لم يَعُد كذلك .. لم يَعُد كذلك .

ثم صرخت فى انهيار :

ـــ إنه الجحيم بعينه .

مرّة أخرى تجمّدت الدماء فى عروقهما ، عندما تردّد فى المكان صدى تلك الضحكة الشيطانية المخيفة ..

وصاحت (نشوى) :

ـــ هيّا .. لن أبقَى فى ذلك المنزل لحظة واحدة .

انطلقتا تَعْدُوَان فى رُعب ، نحو باب المنزل ، وخُيِّل إليهما أن كل أثاثات المكان تتمايل فى سُخرية ، وتطلق ضحكات مشابهة لتلك الضحكة ، أو أنها تردّد صداها ..

وصرخت (سلوى) فى رُعب :

ـــ أىّ عذاب هذا ؟!.. أىّ عذاب ؟

ثم فتحت باب المنزل فى حِدّة ..

ولكن إحداهما لم تغادره ..

لقد تراجعتا فى رُعب هائل ..

كانت أمامهما حديقة المنزل ، وقد استحالت إلى هشيم ذابل محترق ..

وخلفها لم يكن هناك شيء ..
فقط فراغ ..
فراغ هائل مخيف ..

* * *

قاوم (نور) فى شدة ؛ لينتزع نفسه من وسط حطام السيّارة ، وجاهد ؛ ليدفع جسده إلى الأمام ، وسمع المحيطين بالسيّارة ، وهم يتجادلون فى توتُّر وقلق ، ويحاولون إطفاء النار ، التى راحت تزحف نحوه فى سرعة مخيفة ..

وفجأة ، أمسكت يد قوية بمعصمه ، وانتزعته فى عنف من بين الحُطام ..

ووجد نفسه يقف أمام بقايا سيّارته المحترقة ..

وفى آلية ، هتف :

ـ يا إلٰهى !!.. لقد نجوت .. حمدًا لله .

ثم التفت إلى المحيطين به ، مستطردًا فى انفعال :

ـ شكرًا لتعاونكم أيها السادة ، ومزيد من الشكر ، لذلك الذى جذبنى من بين الحُطام .

هتف أحدهم فى دهشة :

ـ جذبك ؟!.. ولكن أحدًا لم يجذبك .. لقد قفزت وحدك من بين الحطام ، وهى معجزة والحقُّ يُقال .

تطلّع إلى الرجل مشدوهًا ، وهتف :

ـ وحْدى ؟!

ثم أشار إلى مِعْصمه ، مستطردًا :

ـ ولكننى ما زلت أشعر بـ......

بتر عبارته بغتة ، وقد بدا له من غير المُجْدى أن يشرح ما حدث ..

لقد بدأ الأمر برسالة من عالم الأرواح ، وأمر يبدأ هكذا ، لا ينبغى أن ينتظر منه المرء خطوات منطقيّة أو مفهومة ..

وفجأة ، برزت فى رأسه صُورَة زوجته وابنته ، فهتف :

ـ يا إلٰهى !!

ثم اندفع فجأة ، أمام الجمع المشدوه ، مخترقًا الطريق ، فى سبيله إلى منزله ..

وفى أعماقه راح يهتف :

ـ ربّاه !! عاونى يا إلٰهى !! حتى أصل قبل أن يصيبهما شىء .. عاونِّى يا إلٰهى !..

* * *

تراجعت (سلوى) فى رُعب وانهيار ، وهى تهتف :

ـ لا يوجد شىء يا (نشوى) .. لقد انتقل المنزل كله إلى عالَم من العدم .

صرخت (نشوى) :

ـ مستحيل !!.. لا يوجد عالَم من العدم .. العدم هو ألَّا يكون هناك شئ .

ثم توقَّف بصرها عند نقطة ما ، وهتفت مستطردة :

ـ انظرى يا أُمَّاه .. هناك .

ارتجفت (سلوى) ، وهى تهتف :

ـ ماذا هناك يا (نشوى) ؟.. ماذا هناك ؟

صاحت فى انفعال :

ـ سيَّارتى يا أُمَّاه .. إنها هناك .. وسط كل هذا الحُطام .. ما زالت تقف سليمة .

صاحت بها (سلوى) فى مرارة ويأس :

ـ وفِيمَ تفيد سيَّارتك يا (نشوى) ؟.. إنها لن تنطلق وسط العَدَم .

جذبتها (نشوى) من معصمها ، وهى تهتف :

ـ مَنْ يَدْرى ؟.. المهمُّ أن نحاول .

انطلقتا تعْدُوَان نحو السيَّارة ، وما إن بلغتاها حتى فتحت (نشوى) بابها ، وقفزت داخلها ، وصرخت بأمِّها :

ـ بسرعة يا أُمَّاه .. بسرعة .

قفزت (سلوى) على المقعد المجاور لها ، وأسرعت هى تضغط أزرار إشعال المحرِّك ، على حين هتفت (سلوى) :

ـ إلى أين سنذهب ؟.. إلى أين ؟

صرخت (نشوى) :

ـ لست أدرى .. المهم أن نبتعد عن هنا .. هذا هو المهم .

انطلقت بالسيَّارة فى توتُّر وخوف بالغَيْن ، وهى تغمغم فى أعماقها :

ـ المهم أن نبتعد .. وأن نبتعد كثيرًا ..

وفجأة ، برز شئ ما من الأرض ..

كيان أسود هائل مخيف ..

أبشع شئ رأته فى حياتها ..

وصرخت (سلوى) ، وتجمَّدت يد (نشوى) على عجلة القيادة ..

وانحرفت السيَّارة ..

وهوَت ..

هوَت فى فراغ بلا نهاية ..

* * *



وفجأة ، برز شيء ما من الأرض .. كيان أسود هائل مخيف

٨ ــ لعبة أرواح ..

هوَت السيَّارة ..

أحاط بها فراغ مُظلم ، من كل الاتجاهات ..

وتردَّد صدى صرخة (سلوى) في عقلها ..

وراح الصوت يخفُت ويخفت .. ويخفُت ..

والظلام يشتد .. ويشتد .. ويشتد ..

ثم انقشع فجأة ..

كل شيء انتهى في لحظة واحدة ..

واستيقظت (سلوى) ..

استيقظت لتجد نفسها راقدة على سرير صغير ، داخل مستشفى أنيق ، وإلى جوارها جلس (نور) ، يتطلَّع إليها في حنان وإشفاق ..

وهتفت :

ــ أين أنا ؟.. أين (نشوى) ؟.. ماذا حدث ؟

ربَّت (نور) على كتفها في حنان ، وقال :

ــ حمدًا لله على سلامتك يا عزيزتى .. لقد نجوت بأعجوبة ، فقد انطلقت (نشوى) بالسيَّارة فى سرعة مفاجئة ، فارتطمت بحاجز الحديقة ، وتحطَّمت مقدِّمتها .

هتفت فى دهشة :

ــ الحديقة ؟!.. أما زالت هناك حديقة ؟

أجابها فى حَيْرة :

ــ بالطبع يا عزيزتى .. إنها هناك دوْمًا .

أغلقت عينها فى ألم ، وهى تغمغم :

ــ كلَّا .. آخر مرَّة رأيتها لم تكن هناك .. أو لم تكن حديقة .. كانت مجرَّد هباء منثور .

عقد حاجبيه فى دهشة ، وهو يقول :

ــ ماذا ؟..الحديقة كما هى يا (سلوى).. لقد نقلتكما منها إلى هنا ، بعد الحادث ..

هتفت بغتة :

ــ أين (نشوى) ؟

ربَّت على كتفها ، مغمغمًا :

ــ اطمئنى .. إنها بخير .. لقد أصيبت بكسر فى إحدى أضلاعها ، وتم علاجها ، وهى تنام الآن فى الحجرة المجاورة .

تنهَّدت فى ارتياح ، واسترخت فى سريرها ، فمال نحوها ، وهو يقول فى قلق :

ــ ماذا حدث يا (سلوى) ؟.. أخبرينى بالله عليك .. ماذا حدث ؟

زفرت فى توتُّر ، وقالت :

ــ سأخبرك يا (نور) .. سأخبرك بكل شىء .

* * *

استمع الدكتور (حجازى) ، فى مزيج من القلق والاهتمام ، إلى (نور) ، وهو يروى له كل ما سمعه من زوجته بالتفصيل ، ثم عقد حاجبيه فى توتُّر ، وهو يتراجع فى مقعده ، قائلًا :

ــ أأنت واثق من كل ما رويته الآن يا (نور) ؟

أجابه (نور) فى توتُّر :

ــ تمام الثقة يا سيِّدى .

ثم قلَّب كفَّيه فى حَيْرة ، مستطردًا :

ــ ولكن ما يثير دهشتى حقًّا ، هو أن شيئًا لم يتغيَّر فى المنزل .. لقد عُدت إليه ، بعد أن قصَّت علىَّ (سلوى) القصة ، فوجدت كل شىء فيه على ما يرام .. والمطبخ مرتَّب نظيف ، وكل قطعة فى موضعها .

قال الدكتور (حجازى) فى اهتمام :

ــ إذن فكل ما حدث مهما كان مجرَّد وَهْمٌ .

تمتم (نور) :

ــ يبدو أن هذا صحيح .

مطَّ الدكتور (حجازى) شفتيه ، وعقد حاجبيه فى شدَّة ، وراح يفكِّر فى عُمق ، قبل أن يقول فى قلق :

ــ أتعلم ما الذى يَعْنيه ذلك يا (نور) ؟

سأله (نور) فى توتُّر :

ــ ماذا ؟

اعتدل ، وهو يجيبه فى صوت متوتِّر :

ــ يَعْنى أن بيتك قد سكنته الأرواح الشرِّيرة .

تراجع (نور) ، وهو يهتف فى دهشة :

ــ ماذا ؟!

ثم عقد حاجبيه بدوْره ، وهو يستطرد فى حِدَّة .

ــ ماذا تقول يا دكتور (حجازى) ؟!.. إننى رجل علم .

أومأ الدكتور (حجازى) برأسه موافقًا ، وقال :

ــ ماذا تقول أنت يا (نور)؟.. كلانا رجل علم يا ولدى ،

ولكن ليس كل ما يحويه كَوْننا معروفًا ومعلومًا .. كوكبنا نفسه يحوى من الألغاز ما يفوق قُدرتنا على تفسيره ، مثل خفايا الهرم الأكبر ، ومثلث برمودا ، وغيرها .. وهذا لا يَعْنى أنها أمور مخالفة للعلم ، ولكن يَعْنى أن علومنا لم تبلغ بعد الحدَّ الكافى لفهمها .

زفر (نور) فى قوَّة ، وغمغم :

ــ ولكن مسألة الأرواح الشريرة هذه .....

قاطعه الدكتور (حجازى) فى حزم :

ــ هذا هو التفسير الذى أملكه يا (نور) .

تنهَّد (نور) مرَّة أخرى ، وقال :

ــ حسنًا .. هذا أفضل منِّى ولا شك ، فلست أملك تفسيرًا واحدًا .

ثم نهض من مقعده ، واتجه نحو نافذة حجرة مكتب الدكتور (حجازى) ، وتطلَّع منها إلى الطريق لحظات ، ثم زفر مرَّة ثالثة ، وقال :

ــ يبدو أن هذا الأمر يفوق إدراكى .

غمغم الدكتور (حجازى) فى إشفاق :

ــ لا بأس .. دَعْ لى الأمر كله .

التفت إليه ، وسأله فى اهتمام :

ــ ماذا ستفعل ؟

أجابه فى هدوء حازم :

ــ سأستعين بزميل لى ، ونقيم الليلة جلسة لتحضير الأرواح .. فى منزلك ..

* * *

لم تكد عقارب الساعة تُعلن تمام العاشرة مساءً ، حتى رأى (نور) سيَّارة الدكتور (حجازى) تعبُر بوَّابة حديقة منزله ، ورآه يهبط منها ، بصحبة رجل طويل القامة ، عريض المنكِبَيْن ، وقف يتلفَّت حوله فى هدوء ، ثم مطَّ شفته ، وتبع الدكتور (حجازى) إلى منزل (نور) ، الذى أسرع يستقبلهما عند الباب ، فقدَّم إليه الدكتور (حجازى) زميله ، قائلًا :

ــ الدكتور (عبد الجليل) ، أشهر وسيط رُوحانى فى الشرق الأوسط .

صافح (نور) الرجل ، وهو يقول :

ــ كم تُسعدنى مقابلتك يا دكتور (عبد الجليل) .

تلفَّت الدكتور (عبد الجليل) حوله، وهو يصافح (نور) ، ثم غمغم فى لهجة تشفُّ عن خبْرة حقيقية :

ــ عجبًا !!.. المنزل يبدو لى نظيفًا للغاية .

غمغم (نور) مستفهمًا :

ــ نظيفًا ؟!

أجابه الدكتور (حجازى) ، مفسِّرًا :

ــ هذا يَعْنى أنه خالٍ من الأرواح .

حدَّق (نور) ، فى وجه الدكتور (عبد الجليل) ، هاتفًا فى دهشة :

ــ هكذا ؟!.. بهذه البساطة ؟!

التفت إليه الدكتور (عبد الجليل) فى حركة حادَّة ، وقال :

ــ من الواضح أنك لا تفهم شيئًا عن عالَم الأرواح يا فتى .

غمغم (نور) :

ــ فى الواقع أننى ......

قاطعه فى صرامة :

ــ هل يمكننى ، أنا وأنت ، أن نرى الأشياء الدقيقة بنفس الوضوح ؟

هزَّ (نور) كتفيْه ، وقال :

ــ كلَّا بالطبع .. فقد ......

قاطعه مرَّة أخرى :

ـ هذا ينطبق أيضًا على عالم الأرواح ، فما أراه أنا فى وضوح ، قد لا يمكنك رؤيته أبدًا ، أما ما أشعر به ، فقد لا تشعر أنت به مدى الحياة .

زفر (نور) فى توتُّر ، وقال :

ـ حسنًا .. إننى أعترف بأننى أجهل أمور عالَم الأرواح تمامًا .

ابتسم الدكتور (حجازى) ابتسامة متوتِّرة ، وهو يقول ، محاولًا تخفيف الموقف :

ـ لا بأس .. ما رأيكما أن نبدأ على الفور ؟

غمغم (نور) فى ضيق :

ـ إننى أوافق بالطبع ، فأنا أحب أن أُنهِىَ هذا الأمر بأقصى سرعة .

قال الدكتور (حجازى) :

ـ كلنا هذا الرجل .

ثم التفت إلى (نور) ، يسأله :

ـ أحدث شىء ، بعد عودتك يا (نور) ؟

هزَّ رأسه نفيًا ، وقال :

ـ لا شىء مطلقًا .

اتجه (عبد الجليل) نحو مقعد يتوسَّط رَدْهَة المنزل ، وجذبه ليجلس فوقه ، وهو يقول :

ـ حسنًا .. فلنبدأ .

جلس الدكتور (حجازى) و (نور) على جانبيه ، ووجهاهما إليه ، وأغلق هو عينيه ، وراح يتمتم بكلمات مُبهمة غريبة ، ثم قال الدكتور (حجازى) فى صوت عميق :

ـ نَمْ .. نَمْ وانتقل إلى عالَم اللاوَعْى .. اترك عقلك لهم .

واصل (عبد الجليل) تمتمته المُبْهمة ، على حين ارتفع صوت الدكتور (حجازى) ، وهو يقول فى حزم وقوَّة :

ـ هيَّا .. أقْدِموا .. سنستضيفكم هنا .. فى عقله .. هيَّا .

وفجأة ، تحوَّلت تمتمة (عبد الجليل) المُبْهمة إلى أنين ، وراح يعتصر أجفانه فى قوَّة ، فعقد الدكتور (حجازى) حاجبيه ، وغمغم فى توتُّر :

ـ ما هذا ؟!.. ماذا يحدث ؟

هبَّ (نور) من مقعده ، وهو يهتف فى توتُّر :

ـ ماذا ؟!.. أتعنى أن هذا ليس أمرًا طبيعيًّا ، فى جلسات تحضير الأرواح ؟

راح الدكتور (عبد الجليـــل) ، فى هذه اللحظة ، يتأوَّه فى قوَّة ، ويتلوَّى فى آلام رهيبة ، فهتف الدكتور (حجازى) :

ـ كلَّا .. ليس طبيعيًّا على الإطلاق .

ثم أخذ يهزُّ (عبد الجليل) فى قوَّة ، وهو يهتف :

ـ استيقظ يا (عبد الجليل) .. استيقظ .. عُدْ إلى وَعيك .

صرخ (عبد الجليل) فى ألم ، وراح يتلوَّى ، ويهتف بعبارات متضرِّعة ، فصرخ (نور) ..

ـ ماذا يحدث ؟!

لم يكد يُتِمُّ عبارته ، حتى راحت كل أثاثات الرَّدهة تهتز فى قوَّة ، فشَحُب وجه الدكتور (حجازى) ، وهو يغمغم :

ـ يا إلهى !

ثم عاد يهزُّ (عبد الجليل) فى عُنف ، صارخًا :

ـ عُدْ إلى وعيك يا (عبد الجليل) .. عُدْ بالله عليك .

وفجأة ، راحت كل الأثاثات ترتفع ، وتهوى أرضًا ، وقفزت لوحات الحائط من أماكنها ، وتحطَّمت أرضًا ، وهتف (نور) :

ـ يا إلهى !!.. أيَّة أفاعيل شيطانية هذه ؟

صاح الدكتور (حجازى) :

ـ إنها الأرواح .. الأرواح الشرِّيرة .. لقد سيطرت على المكان ، وعلى جسد (عبد الجليل) المسكين .

وهنا انطلقت صرخة هائلة ، من حَنجرة (عبد الجليل) ، فالتفت إليه (نور) والدكتور (حجازى) ، ولكن ما رأياه جعلهما ، على الرغم من شجاعتهما ، يرتجفان رُعبًا ..

وكان الرُّعب هائلًا ..

هائلًا للغاية ..

* * *



٩ ــ عين الشيطان ..

توقَّفت سيَّارة صاروخية أنيقة ، تحمل شعار الأطباء ، داخل موقف السيَّارات الخاص ، بفناء مستشفى (القاهرة) المركزىّ ، وهبط منها شابٌّ وسيم ، يرتدى معطف الأطباء المميَّز ، الذى يحمل شعار المستشفى ، وعَبَرَ بوَّابتها الضخمة فى هدوء ، واتجه إلى ممرَّات قسم الطوارئ والإنعاش ، حيث أخرج من جيبه بطاقة صغيرة ، لا تشبه بأى حال من الأحوال ، تلك البطاقة ، التى يحملها أطباء المستشفى ، إلا أنه ، وعلى الرغم من ذلك ، لم يكد يدسّها فى ذلك الفراغ الدقيق ، بجوار رتاج باب الممرّ ، حتى استجاب له فى يُسْر ، وانفتح فى هدوء ، فعبره الشابّ ، وهو يحمل على شفتيه ابتسامة خبيثة ، ويغمغم فى سُخرية :

ــ رائع .. كل الأبواب تخضع .

واتجه نحو غرفة جانبيَّة ، وهو يستطرد :

ــ رائع هو هذا الشيطان .. لا شىء يهزمه أبدا .

دفع باب الحجرة فى هدوء ، وتطلَّع إلى (نشوى) ، التى ترقد فى هدوء ، وقد استسلمت لنوم عميق ، وأنبوب دقيق يغُوص فى شريانها ، وغمغم فى سُخرية :

ــ نومًا هنيئًا يا صغيرتى .

ثم أخرج من جيبه محقنًا ، دفع إبرته فى الأنبوب ، ودفع داخل الأنبوب سائلًا أحمر اللون ، أشبه بالدَّم ، وهو يستطرد فى صوت أشدُّ سُخرية :

ــ مع تحيات الشيطان نفسه .

وعندما انطلقت ضحكة ، من بين شفتيه ، كانت كبيرة الشَّبه بضحكة سيِّده ..

(ابن الشيطان) ..

* * *

تراجع (نور) والدكتور (حجازى) فى رُعْب شديد ، وهما يحدِّقان فيما يحدث لـ (عبد الجليل) ..

كانت عيناه جاحظتين ، على نحو لم يحدث لبشر من قبل ، حتى لقد بَدَتا وكأنهما خارج وجهه ، على حين تدلَّى لسانه على نحو بَشِع ، والتَوت أطرافه فى شدَّة ، كما لو كانت مصنوعة من المطَّاط ..



يد عملاقة ، زرقاء مخيفة ، ذات مخالب حادَّة رهيبة ، برزت من أرض الرَّدهَة

ولكن كل هذا لم يكن سبب رُعبهما ..

لقد هاجمهما الرُّعب بسبب يد ..

يد عملاقة ، زرقاء ، مخيفة ، ذات مخالب حادَّة رهيبة ، برزت من أرض الرَّدهَة ، وقبضت على وسط الدكتور (عبد الجليل) ، تعتصره فى قوَّة ..

وصرخ الدكتور (حجازى) :

ــ ما هذا ؟.. ما هذا يا (نور) ؟

هتف (نور) :

ــ أتسألنى أنا ؟!.. سبق أن أكَّدت أننى لا أفقه شيئًا فى تلك الأمور .

ازداد توتُّرهما ورُعبهما ، عندما اندلعت فجأة ألسنة اللهب ، من ذلك الشقِّ الضخم ، الذى برزت منه اليد الماردة ، وصاح الدكتور (حجازى) ، وهو يتراجع فى حِدَّة :

ــ أىَّ جحيم هذا ؟.. أىَّ جحيم ؟

وهنا صرخ الدكتور (عبد الجليل) فى ضراعة :

ــ الرَّحمة .. أنقِذونى .. إننى أموت .. أموت .

انتزعت هذه العبارة (نور) من مخاوفه ، فانعقد حاجباه فى شدَّة ، وهو يهتف :

ـــ لن نتخلّى عنك .. لن نتركك .

ثم انتزع مسدسه الليزرىّ فى عُنف ، وأطلق أشعّته نحو اليد العملاقة ، ولكن اليد لم تتأثر مطلقًا ..

وصاح الدكتور (حجازى) :

ـــ لا فائدة يا (نور) لا فائدة .

صرخ (نور) :

ـــ مستحيل !!

وهتف الدكتور (عبد الجليل) فى ألم :

ـــ أنقذونى .. أرجوكم .

وفجأة ، برزت من الأرض يد ماردة أخرى ، وقبضت على وسط الدكتور (حجازى) ، الذى صرخ فى هلَع :

ـــ النَّجدة يا (نور) !! النَّجدة !!

التفت إليه (نور) ، وهو يصرخ فى يأس :

ـــ ولكن ماذا أفعل ؟.. أخبرانى بالله عليكما .. ماذا أفعل ؟

وفجأة ، برزت يد بشعة ثالثة .. ورابعة .. وخامسة .. غابة من الأيدى الماردة المخيفة برزت فجأة ، وسط صرخة (نور) :

ـــ ماذا أفعل ؟..

حقًّا ..

ماذا يفعل ؟!..

* * *

أوقف (صفوت) سيّارته أمام منزله ، وهبط منها فى هدوء ، ثم نزع عنه ذلك المعطف الأبيض ، الذى يحمل شعار مستشفى (القاهرة) المركزىّ ، والذى كان يرتديه عندما انتحل شخصية الطبيب ، وألقاه داخل السيّارة ، ثم اعتدل فى مَهابة ، واتجه نحو المنزل ، ودفع بابه ، وارتجف فى خوف وتوتُّر ، عندما انبعث فى الظلام صوت صارم يقول :

ـــ هل نجحت ؟

لم يجرؤ (صفوت) على التطلُّع إلى العينين الناريّتين ، وهو يقول :

ـــ بالطبع يا سيِّدى .. لا أحد يفشل ، عندما ترعاه أنت .

ابتسم (ابن الشيطان) فى زهْوٍ ، وهو يقول :

ـــ صدقت .

ثم جلس صامتًا ، وراحت عيناه تتألقان ببريق شيطانى مخيف ، كما لو أن لهبًا يندلع فى محجريهما ، فغمغم (صفوت) فى خوْف :

ـــ ماذا هناك يا سيِّدى ؟

أجابه فى صرامة مخيفة :

ـ اصمت .

وكان هذا يكفى ..

وصمت (صفوت) ..

* * *

لأوّل مرّة يشعر (نور) أنه عاجز تمامًا ..

كانت عشرات الأيدى تبرز من الأرض ، فى أبشع مشهد رآه فى حياته ، وقد اعتصرت إحداها الدكتور (عبد الجليل) فى قبضتها ، واعتصرت الأخرى الدكتور (حجازى) ..

وهو وحده يجهل كل شىء عن عالَم الأرواح ، الخيّرة منها أو الشرّيرة ..

وسلاحه الوحيد لا يؤثّر فيها أبدًا ..

وفجأة ، امتدّت يد بشعة نحوه ..

أطلق أشعة مسدّسه نحوها مرّة ، وأخرى .. وأخرى .. ولكنها واصلت تقدّمها نحوه ..

ثم أحاطت به تلك الأصابع البشعة ، ذات المخالب الرّهيبة ..

واعتصرته الأصابع ..

وبدا أن الشيطان الابن سينتصر فى معركته ..

سينتصر حتمًا ..

* * *

١٠ ـ لَمْحة أَمَل ..

فجأة ، استيقظت (نشوى) من نومها ..

وفجأة ، نهضت جالسة على سريرها ..

وبآلية تامة ، نهضت واقفة ..

ثم صرخت ..

أطلقت صرخة مدوّية ، جلجلت فى ممرّ المستشفى كله ، ثم انتزعت الأنبوب الدقيق من ذراعها ، وألقت به بعيدًا ، واندفعت نحو باب الحجرة ، وفتحته فى قوة ، ثم قفزت إلى الممرّ ..

وأسرع ممرضو المستشفى نحوها ، وهم يتساءلون عمّا أصابها ، أمّا هى ، فقد وقفت تنتظرهم فى هدوء ، وعيناها تتألقان ببريق مخيف ..

بريق أشبه ببريق عينى (ابن الشيطان) ..

وتوقّف الرجال الثلاثة فى خوف ، قبل أن يصلوا إليها ..

شىء ما فى نظراتها سمّرهم فى خوف ..

ثم تمالك أحدهم جأشه ، واتجه نحوها ، مغمغمًا :

ــ رُوَيْدك يا آنسة .. رُوَيْدك .. لا شيء هنا يستحق كل هذا .

أطلقت من بين أسنانها زمجرة مخيفة ، جعلت الرجل يتراجع على نحو حادّ ، وهو يحدّق فيها بعينين ذاهلتين جاحظتين ..

وفجأة ، انقضت عليهم (نشوى) ..

انقضّت كأنثى نمر شرسة ..

وبلكمة كالقنبلة ، أطاحت بالرجل الأوّل بعيدًا ، ثم استدارت إلى الثانى ، وحطّمت فكّه بلكمة ثانية ..

وتراجع الثالث ، هاتفًا فى رُعب :

ــ الرّحمة يا آنستى !! الرّحمة !! إننى لم أفعل لك شيئًا .

اقتربت منه فى شراسة ، وعيناها تبرقان فى وحشية ، فانهار هاتفًا :

ــ الرّحمة !!

وهنا برز أحد رجال أمن المستشفى ، وألقى نظرة ذاهلة على الرجلين الملقيين أرضًا ، ثم رفع عينيه إلى (نشوى) والرجل الثالث ، قبل أن يغمغم فى ذُهُول :

ــ ماذا يحدث هنا ؟

لم يكد الممرّض الثالث يسمع صوت رجل الأمن ، حتى التفت إليه ، وهتف فى ضراعة :

ــ النّجدة !! النّجدة !!

لم يفهم رجل الأمن كيف يرتعد رجل ضخم كهذا ، أمام فتاة رقيقة مثل (نشوى) ، إلّا أن نظرة أخرى على الرجلين الفاقدى الوعى ، جعلته يحسم أمره فى سرعة ، وينتزع مسدّسه اللّيزرىّ ، ويصوّبه إلى (نشوى) ، هاتفًا فى صرامة :

ــ توقّفى يا سيّدتى .. توقّفى أو أطلق النار .

ولكن (نشوى) لم تلتفت إليه ، بل جذبت إليها الممرّض المسكين ، الذى صرخ فى رُعب :

ــ الرّحمة !!

ثم هوَت قبضتها على فكّه ، فهشّمت أسنانه الأمامية كلها ، وتدفّق نهر من الدماء فى فمه ..

وهنا صرخ رجل الأمن :

ــ توقّفى يا سيّدتى .. هذا هو الإنذار الأخير .

ولكنها رفعت قبضتها مرّة أخرى ، لتهوىَ بها على فكّ الرجل ، فصرخ رجل الأمن :

ـ إنك لم تتركي لي خيارًا يا سيِّدتي .

وأطلق أشعته اللّيزريَّة ..

* * *

لم يكن هناك ما يمكن أن يفعله (نور) ..

لقد انهزم في معركته ..

اندحر ..

تحطَّم ..

ولكن ما آلمه حقًّا هو أنه لم يعلم بعد مَنْ غريمه ، أو ما الذى يقاتله ..

ولكنه ، على الرغم من الآلام التى يعانيها ، من اعتصار اليد الماردة له ، لم يكن قد صدَّق بعد ما يحدث ..

كان الأمر برُمَّته يبدو له أشبه بكابوس رهيب ..

نعم .. كابوس ..

برزت الفكرة فى رأسه بغتة ، فصرخ فى قوَّة :

ـ كابوس ..

لم يفهم الدكتور (حجازى) ما الذى يَعْنيه (نور) ، الذى كرَّر فى قوة :

ـ كل هذا مجرَّد كابوس .. وَهْم .. خيال .. هذا وَهْم .. وَهْم .

وفجأة ، ومع آخر حروف كلماته تلاشى كل شيء ..

اختفت الأيدى العملاقة ..

انتهى الخوف ..

عاد الزمن كله إلى الوراء بقفزة واحدة ..

فجأة ، وجد الثلاثة أنفسهم يجلسون كما كانوا ..

الدكتور (عبد الجليل) فى المنتصف ، و (نور) والدكتور (حجازى) على جانبيه ، ووجهاهما إليه ..

وانتفض الثلاثة انتفاضة واحدة ، كما لو كانوا يستيقظون من حُلْمَ بَشِع ، وحدَّق بعضهم فى وجه البعض فى ذُهُول ، ثم هَبَّ (نور) واقفًا ، وتطلَّع إلى المنزل الهادئ المنظم من حوله ، وهتف :

ـ ما هذا ؟.. أكُنَّا نَحْلُم ؟

صاح الدكتور (عبد الجليل) ، وهو ينهض فى ذُعْر :

ـ مستحيل !! لا يوجد حُلْم بكل هذا الوضوح .

وغمغم الدكتور (حجازى) فى شُحُوب :

ـ حتمًا لم يكن حُلْمًا .

هتف الدكتور (عبد الجليل) فى خوف :

ـ إننى لم أَرَ أبدًا شيئًا كهذا .. صدِّقنى يا فتى ، تلك

الروح الشرّيرة ، التى تقطن منزلك ، من أشدّ الأرواح شرًّا فى هذا العالم .. صدّقنى .

ثم اندفع نحو الباب ، مستطردًا فى صوت مرتجف :

ــ ولن يمكننى التصدّى لها يا ولدى .. لست كفؤًا لذلك .

هتف به (نور) :

ــ انتظر يا سيّدى .. إننى أحتاج إلى تعاونك .

صاح الرجل فى رُعب :

ــ لن يمكننى ذلك .. لن أستطيع .

وفجأة ، انطلقت من بين شفتيه صرخة رُعب هائلة ، فور أن فتح الباب ، وتراجع صارخًا :

ــ كلّا .. كلّا ..

وفى بطء ، عَبَرَ ذلك الشىء البشع باب المنزل خلفه ..

كيان مرعب رهيب ، هو جزء من أشد بقاع الليل سوادًا ..

كيان بلا ملامح ..

فقط كتلة سوداء رهيبة ، ذات أطراف ضخمة قصيرة ، وعينين فى لون الدم ..

وبصوت أشبه بقبر يُفتح ، برزت فى منتصف ذلك الكيان البشع أنياب هائلة ..

وسقط الدكتور (عبد الجليل) أرضًا ، وهو يصرخ :

ــ كلّا .. ليس أنا .. ليس أنا .

وهتف الدكتور (حجازى) فى رُعب :

ــ مستحيل !! إنه الجحيم !! الجحيم بعينه !!

أما (نور) ، فقد راح يردّد فى عصبيّة :

ــ إنه وَهْمٌ .. كل هذا مجرَّد وَهْمٌ .

ولكن ذلك الكيان البشع لم يكن وَهْمًا ..

وخاصّةً عندما مال نحو الدكتور (عبد الجليل) ، الذى راح يصرخ فى رُعب هائل ، و.....

والتهمه ..

نعم ..

ابتلعه دفعة واحدة ، وأغلق أنيابه خلفه ، وتلاشت صرخة المسكين فى جوف الكيان البشع ، وسمع (نور) والدكتور (حجازى) فى وضوح ، صوت عظامه تتهشّم ، فى أعماق الكيان ..



مال نحو الدكتور (عبد الجليل) ، الذى راح يصرخ فى رُعب هائل ، و ...... والتهمه .

وانهار الدكتور (حجازى) ، وهو يردِّد :

ــ مستحيل !! .. مستحيل !!

أما (نور) ، فقد اتسعت عيناه فى ذُعر ، وهو يواصل تَرْدِيدَهُ :

ــ هذا وَهْمٌ .. وَهْمٌ .

ولكن شيئًا ما فى أعماقه صرخ :

ــ بل حقيقة .. حقيقة يا (نور) .

وهنا وجد نفسه يغمغم ، وهو يراقب اقتراب ذلك الكيان البشع منه ، ومن الدكتور (حجازى) :

ــ إذن فهو حقيقة .

ثم انتزع مسدَّسه اللّيزرىّ من حزامه ، وهو يصرخ بغتة :

ــ والحقائق لا تواجهها سوى الحقائق ..

وأطلق أشعة المسدَّس اللّيزرية على الكيانِ البشع ..

* * *

انطلقت أشعة مسدَّس رجل أمن المستشفى نحو (نشوى) ، ولكن الخيط اللّيزرىّ القاتل لم يُصِبْها ..

ليس لأن رجل الأمن لا يجيد التصويب ..

وليس لأنه كان مرتبكًا ..

ولكن لأن (نشوى) نفسها ، لم تكن حيث هبطت أشعة اللّيزر ..

لقد قفزت بسرعة مُذهلة جانبًا ، وتفادت الأشعة القاتلة على نحو شيطانى مخيف ، ثم اندفعت نحو رجل الأمن ، الذى تراجع فى ذُهُول ، وانتزعت مسدّسه اللّيزرىّ من قبضته ، ثم اعتصرته بقبضتها ..

واتسعت عينا رجل الأمن فى رُعب وذُهول ، وهو يرى مسدّسه يتحوّل إلى كتلة غير واضحة المعالم ، من المعدن المحطَّم ، فى قبضة (نشوى) ، التى زمجرت فى وجهه فى شراسة ووحشية ، ثم ضمَّت قبضتها ، ورفعتها لتهوِىَ بها على فكّه ..

وأغلق رجل الأمن أسنانه فى رُعب ، وهو يتوقّع أن تقتله اللكمة ، من تلك القبضة ، التى حطّمت مسدّسًا قويًّا باعتصارة واحدة ..

ولكن القبضة لم تسقط على فكّه أبدًا ..

لقد تراخت بغتة ، وسقطت إلى جوار (نشوى) ، التى تلاشت الشراسة منها دفعة واحدة ، وهى تقول فى ألم :

ـ صداع رهيب .. رهيب .

ثم سقطت فجأة ، بين ذراعى رجل الأمن ، فاقدة الوعى ..

ومضت لحظات توقّف فيها الزمن ، ورجل الأمن يحدّق فى تلك الفتاة ، الفاقدة الوعى بين ذراعيه ، فى ذُهول ، قبل أن يهتف فجأة :

ـ النّجدة !! هناك أمر غريب هنا .

وعاد يحدّق فيها ، قبل أن يستطرد :

ـ أمر شيطانىّ ..

* * *

أصابت أشعة مسدّس (نور) اللّيزرىّ ذلك الكيان البشع ، بين عينيه تمامًا ، والدكتور (حجازى) يصرخ :

ـ لا فائدة .. لا فائدة ..

ولكن الكيان الأسود البشع توقّف بغتة ، وارتجّ فى قوة ، ثم تدفّقت من بين عينيه حُمَم ملتهبة ، ثقبت أرض المنزل إلى عمق كبير ..

وهَوَى الكيان ..

هوَى صريعًا ..

وأمام عيون الدكتور (حجازى) و (نور) ، راح الكيان البشع يتلاشى ويذوب فى سرعة ، كما لو أنه كان يتكوّن كله من تلك الحُمَم ..

وأخيرًا تلاشى كله ..

لم يَعُد باقيًا منه سوى كُرَة صغيرة ، فى حجم قبضة اليد ، فى فراغ عجيب ، أو مادة أشبه بالفراغ ..

وهتف الدكتور (حجازى) فى انفعال :

ــ يا إلٰهى !! .. لقد نجحت يا (نور) .. لقد نجحت .

أشار (نور) إلى الكيان ، مغمغمًا :

ــ أتظن ذلك الشىء هو المسئول عن كل ما حدث ؟

هتف الدكتور (حجازى) :

ــ بالتأكيد .. إننى لم أرَ ما هو أبشع منه .

هزّ (نور) رأسه نفيًا ، وقال :

ــ كلّا .. من المستحيل أن يُنْهِىَ ما فعل كل هذا ، بمثل هذه البساطة .

والتفت إلى الدكتور (حجازى) ، مستطردًا فى حزم :

ــ هذا الشىء مجرّد تابع لما نحاربه ، أو لمن نحاربه يا سيّدى .

حدّق الدكتور (حجازى) فى بقايا ذلك الشىء البشع ، وهو يغمغم :

ــ يا إلٰهى !

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى عادت جدران المنزل ترتج فى قوّة ، فالتصق بالحائط ، هاتفًا :

ــ لا .. ليس مرّة ثانية .. ليس مرّة ثانية .

وفجأة ، انشقّ الحائط من خلفه ، وفقد توازنه ، ووجد نفسه يَهْوِى فى هُوَّة عميقة ، فصرخ فى رُعْب :

ــ النّجدة يا (نور) !!

قفز (نور) نحوه ، وأمسك معصمه فى سرعة ، ولكن الدكتور (حجازى) كان ممتلئ الجسم ، يفُوق (نور) وزنًا ؛ لذا فبدلًا من أن ينقذه (نور) ، جذبه هو معه ، وسقط الاثنان فى الهُوَّة ..

ومرّة أخرى انتصر الشيطان ..

وانتصر ابنه ..

ابن إبليس ..

* * *



١١ ـ انتصار الشيطان ..

اعتدل رئيس قسم الطوارئ ، فى مستشفى (القاهرة) المركزىّ ، بعد أن انتهى من فحص (نشوى) ، التى سقطت فى غيبوبة عميقة ، وتطلّع إليها فى دهشة بالغة ، ثم هزّ رأسه فى حَيْرة ، مغمغمًا :

ـ عجبًا !! لقد بذلت تلك الفتاة الرقيقة الهَشّة ، التى يبلغ وزنها خمسة وخمسين كيلوجرامًا ، مجهودًا رهيبًا ، يفُوق مجهود فرقة انتحارية كاملة ، وأبدت قوّة مخيفة ، تتفوّق بها على أبطال الألعاب الأوليمبية ، ثم فجأة انهارت تمامًا ، حتى باتت عاجزة عن فتح عينيها ، وكل هذا فى أقل من نصف الساعة .

غمغم طبيب شاب :

ـ ربما تناولت بعض المنشّطات يا سيّدى .

التفت إليه رئيس القسم ، وهو يقول :

ـ منشّطات ؟!.. أخبرنى بالله عليك يا فتى ، أى نوع هذا من المنشّطات ، الذى يجعل فتاة رقيقة قادرة على تحطيم مسدّس ليزرىّ قوىّ ، بضغطة واحدة من قبضتها .

هزّ الطبيب الشابّ كتفيه ، وقال :

ـ لا يوجد أىّ منشّط معروف بهذه القوّة بالطبع ، ولكننا لم نرَ ما حدث .

صاح به رجل الأمن فى خشونة وحِدّة :

ـ ماذا تعْنى ؟

لوّح الطبيب الشابُّ بكفّه ، قائلًا :

ـ لست أُعْنى شيئًا .

قال رئيس القسم فى حزم :

ـ ولا يمكنك أن تعْنى شيئًا ، قبل أن نحصل على نتائج تحليل الدم .

وأشار إلى (نشوى) ، مستطردًا :

ـ خُذْ عيّنة من دمها على الفور ، واطلب من الكمبيوتر سرعة تحليلها ، ووافنى بالنتائج على الفورْ .

انحنى الطبيب الشابّ ، وراح يحصل على عيّنة الدّم من عروق (نشوى) ، وهو يغمغم :

ـ لن يستغرق ذلك سوى دقيقة واحدة ، باستخدام كمبيوتر التحليلات الخاصّ .

حمل العيّنة داخل محقنه ، ووضعها داخل جهاز الكمبيوتر

الصغير ، وضغط أزراره فى سرعة ، ومضت لحظات من الصمت ، قبل أن تبرز على شاشة الكمبيوتر عبارة مخيفة :

ـ عامل مجهول .. لايشبه أيًا من العوامل المعروفة .. نسبة الشوائب ستون فى المائة .

اتسعت عينا رئيس القسم فى ذُهُول ، وهو يهتف :

ـ ستون فى المائة ؟!.. يا إلٰهى !!.. يالها من نسبة !!.. وأيضًا عامل مجهول ؟!

ثم التفت إلى (نشوى) ، واستطرد فى انفعال :

ـ كنت واثقًا من ذلك .. كنت واثقًا منه .

ورفعْ عينيه إلى رجل الأمن ، مردفًا فى قوّة :

ـ هذه الحالة لاشبيه لها .. لاشبيه لها قطُّ ..

* * *

لم تكن تلك الهُوَّة عميقة ، كما توقَّع (نور) والدكتور (حجازى) ..

كانت مجرَّد حفرة عمقها متر واحد ..

وعندما ارتطم الاثنان بالأرض ، ألجمهما الذُّهُول ..

لقد رأيا نفسيهما داخل كهف ضخم ، يمتدُّ أمامهما إلى ما لانهاية ..

وهتف الدكتور (حجازى) ، وهو ينتزع نفسه من ذُهُوله :

ـ مستحيل !!

ثم التفت إلى (نور) ، مستطردًا فى توتُّر :

ـ أهو هنا منذ شيَّدت منزلك يا (نور) ؟

هتف (نور) ، وهو يتطلَّع إلى الكهف :

ـ مستحيل !.. لو أنه هنا لرآه من حفر أساسات المنزل .

سأله الدكتور (حجازى) فى خوف :

ـ إلى أين يمتد ؟

هبَّ (نور) واقفًا ، وهو يقول :

ـ لو أننى فى موضعك ، ما حاولت البحث عن الجواب .

قال الدكتور (حجازى) فى حزم :

ـ أنت فى موضعى بالفعل .

قال (نور) فى حِدَّة :

ـ إذن دَعْنا نَعُد معًا .

استدار ليعودا إلى ذلك الشَّق فى الحائط ، ولكن (نور) هتف فى دهشة :

ـ يا إلٰهى !!.. إننا لم نسقط بعيدًا إلى هذا الحدّ .

كان الأمر يدعو للدهشة بالفعل ، فخلفهما كان يمتد كهف آخر ، لمسافة مائة متر على الأقل ، وفى نهاية ذلك الشق ..

ودون أن يُضيعَ وقتا ، فى محاولة فهم الأمور ومَنْطَقَتِها ، هتف (نور) فى حزم :

ــ هيَّا يا دكتور (حجازى) .. سنعود من حيث أتينا .

انطلقا يَعْدُوَان عَبْرَ الكهف ، نحو الشَّق ، وعندما أصبحت المسافة التى تفصلهما عنه عشرة أمتار تقريبًا ، بدأ الشَّق يلتحم فى بطء ، فهتف (نور) :

ــ أسرع يا سيِّدى .. أسرع وإلا بقينا هنا إلى الأبد .

زادا من سرعتيهما ، ولكن الشَّق راح يلتحم فى سرعة أكبر .. وأكبر .. وأكبر ..

وفجأة ، التحم تمامًا ..

وتسمَّر الدكتور (حجازى) و (نور) فى مكانيهما ، وأحاط بهما الظلام ، قبل أن يصرخ الدكتور (حجازى) فى انهيار :

ــ لقد انتهينا يا (نور) .. لقد ضِعْنا .



زادا من سرعتيهما ، ولكن الشَّق راح يلتحم فى سرعة أكبر .. وأكبر

حاول (نور) أن يقاوم حالة اليأس ، التى أنشبت مخالبها فى قلبه ، إلّا أنه لم يلبث أن استسلم لها ، وهو يغمغم :

— نعم يا دكتور (حجازى) .. لقد ضِعْنا .

* * *

برقت عينا الشيطان الصغير فى ظَفَر ، والتهبتا بنيران الفَوْز ، وهو يسترخِى فى مقعده ، فهتف (صفوت) :

— لقد انتصرنا يا سيِّدى .. أليس كذلك ؟

لم يجب (بعلزبول الصغير) ، وإن شفَّ لهيب عينيه عن الإيجاب ، قبل أن يقول :

— هل تعلم أيها البشرىّ ؟.. لقد كان جَدُّ هذا الرائد من أشرس وأقوى خصومى ، عَبْرَ تاريخكم البشرىّ .. إنه الوحيد الذى كشف نقطة ضعفى ، وقتلنى .

اتسعت عينا (صفوت) ، وهو يغمغم فى ذُعْر :

— قتلك ؟!

برقت عينا الشيطان الابن ، وهو يقول فى شراسة :

— هذا يَعْنِى أنه قد أجبرنى على الذهاب إلى حيث أبى ، ولمدة طويلة ، استغرقت سبعين عامًا من زمنكم .

وضمَّ قبضته فى غضب ، وهو يستطرد :

— وفى كل ثانية منها ، كنت أحلُم بالعَوْدة ، والانتقام .

تردَّد (صفوت) لحظة ، قبل أن يسأله :

— ولكن يا سيِّدى ، لماذا تبدو لى بشريًّا مثلنا ؟

أجابه فى صوت هادر :

— لأننى نصف بشرىّ .. أنتم تروننى بشريًّا ، وقوم أبى يروننى على هيئتهم .. كتلة من النار .

هتف (صفوت) فى رُعب :

— النار ؟

أجابه (ابن الشيطان) فى سُخرية :

— نعم أيها البشرىّ الأحمق .. إن نصفى من نار .

ثم نهض ، هاتفًا فى قوّة :

— ولقد انتصر هذا النصف .

غمغم (صفوت) :

— إذن فقد انتصرنا يا سيِّدى .

لوَّح (ابن الشيطان) بكفِّه ، وهو يهتف فى زَهْو :

— ماذا تسمِّى هذا إذن ؟

وعادت عيناه تبرقان فى ظَفَر ، وهو يستطرد :

ـ ذلك الرائد ، حفيد (أوزيريس) ، مع زميله ، داخل كهف من كهوف العديدة ، تحت سطح الأرض ، لا يجدان لهما مخرجًا ، وابنته ، آخر من يحمل دم (أوزيريس) ، تلوَّث دمها بدمى ، فصارت تحمل جزءًا منّى ، ورُوحًا من قوم أبى ، ولا يملك دفع ذلك عنها سواى ، وسوى ترياق الخاصّ ، ماذا تسمى هذا إذن ، لو لم يكن انتصارًا ؟.

وانطلقت من حنجرته الناريَّة ضحكة شيطانية مخيفة ، قبل أن يستطرد بعينين متوهجتين :

ـ انتصارًا ساحقًا .

غمغم (صفوت) فى هَيْبة وخوف :

ـ سيِّدى .. تقبَّل تهنئاتى ، و .....

قاطعه فى صرامة مخيفة :

ـ ليس الآن .

وازدادت عيناه توهُّجًا ، وهو يستطرد :

ـ عندما ينتهى الأمر تمامًا ، وأحوز السيطرة الكاملة على هذا العالم .

هتف (صفوت) فى لهفة :

ـ متى يا سيِّدى ؟.. متى ؟

ابتسم (ابن الشيطان) ابتسامة أشبه بالموت ، وهو يقول :

ـ قريبًا أيُّها البشرىّ .. قريبًا جدًّا .

وأطلق الشيطان الأكبر ضحكة ظافرة ..

لقد لاح له النصر ..

النصر التامّ ..

* * *

(انتهى الجزء الأول ويليه الجزء الثانى)

[مبعوث الجحيم]

رقم الإيداع ٣٢١٥

المؤلف



د. نبيل فاروق

ابن الشيطان

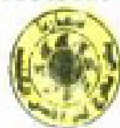
- ماذا تقول الأساطير القديمة، عن (ابن الشيطان)؟
- من هو (بعلزبول)، و (لوسيفر)؟..
- ترى.. لمن يكون النصر هذه المرة، والصراع يدور بين (نور) البشرى، ونصف شيطان؟
- اقرأ التفاصيل المثيرة، وقاتل مع (نور)، من أجل البشرية كلها هذه المرة..



الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

العدد القادم : مبعوث الجحيم

روايات
مصرية للجيب



ملف المستقبل

٧٣

مبعوث الجحيم


نور الدين


سلوى


رمزى


محمود

١ ــ انتصار الشيطــان ..

بدت (سلوى) ، زوجة الرائد (نور الدين محمود) ، وعضو فريقه العلمى البوليسىّ ، شديدة التوتُّر ، فى تلك الدقائق التى تلَتْ منتصف الليل ، فى مستشفى (القاهرة) المركزىّ ، أكبر مجمَّع طبّىّ علاجىّ فى الشرق الأوسط كله ، وانطلق توتُّرها ملحوظًا فى نبرات صوتها ، وهى تسأل رئيس أقسام الطوارئ بالمستشفى ، فى عصبيَّة :

ــ كيف يمكن أن يحدث هذا ؟!.. كيف يمكن أن يحدث بالله عليكم ؟!.. لقد تركت ابنتى فى حالة جيِّدة نِسْبيًّا ، وسط مستشفى مركزىّ ضخم ، من المفروض أن تلقى فيه خير رعاية ، فكيف يصيبها ما أصابها ؟!

كانت تهتف بهذه الكلمات ، ودموعها تسيــل على وجنتيها ، فغمغم رئيس أقسام الطوارئ ، فى لهجة تجمع ما بين الحزم والحَيْرة ، والعطف والإشفاق :

ــ صدِّقينى يا سيِّدتى .. كلنا هنا نبحث عن جواب ذلك

السؤال ، فلقد أكَّدت كل الفحوص والاختبارات ، التى أجريت لابنتك ، بعد حادث سيارتكما ، أنها فى حال جيِّدة نسْبيًا . ولقد استغرقت فى نوم هادئ طبيعىّ ، ويُتوقَّع لها الجميع أن تستيقظ فى خير حال . إلَّا أن مسًّا شيطانيًا قد أصابها بغتة ، فتحوَّلت إلى أنثى نمر مفترسة ، غادرت حجرتها ، وأطاحت بكل من اعترض طريقها ، فى قوّة فوق مستوى البشر ، قبل أن تنهار على هذا النحو ، وتسقط فى تلك الغيبوبة العميقة ، التى نجهل أسلوب انتزاعها منها ، على الرغم من كل تقدُّمنا العلمىّ .

عقدت (سلوى) حاجبيها فى توتُّر ، وهى تغمغم فى عصبيَّة :

ـ أتريد منّى أن أصدّق حرفًا واحدًا من هذا ؟

هزَّ كتفيه ، قائلًا فى حزم :

ـ هذا شأنك .

ثم ضغط زرًّا على سطح مكتبه ، فانفتحت فى المكتب فجوة ، التقط منها قطعة معدنية غير منتظمة ، وضعها أمام (سلوى) ، مستطردًا :

ـ ولكن عليك أن تفسِّرى لى ما هذا ؟

تطلَّعت فى حَيْرة إلى القطعة المعدنية ، قبل أن تغمغم فى توتُّر :

ـ ما هذا ؟

أشار إلى القطعة المعدنية ، قائلًا فى حِدَّة ، جعلته يبدو كما لو أنه قد فقد سيطرته على أعصابه أخيرًا :

ـ لقد كان هذا الشىء ، منذ ساعة واحدة ، أو ما يزيد قليلًا ، مسدَّسًا ليزريًا حديثًا .

جعلتها عبارته تنتبه إلى شكل المعدن المُلتوى ، إلَّا أنَّ ذلك لم يزدها سوى حَيْرة ، جعلتها تقول فى عصبيَّة متضاعفة :

ـ وما شأنى بذلك ؟

هتف فى حَنَق :

ـ ابنتك هى التى حوَّلت المسدَّس الليزرىّ ، إلى تلك الكُومَة السخيفة .

ثم ضمَّ قبضته أمام وجهه ، مستطردًا فى حِدَّة :

ـ وبقبضتها العارية .

اتسعت عينا (سلوى) ذُهُولًا ، وحدَّقت فى الكُومَة المعدنية لحظة ، ثم عادت ترفع عينيها إلى رئيس الأقسام ، وكأنما تتمنَّى أن يكذِّب ما تراه ، ثم لم تلبث أن أدركت أنه جادٌّ تمامًا ، فاغرورقت عيناها بالدموع ، وهى تُتمْتِم :

— يا إلهى !!.. كيف حدث هذا ؟

تنهَّد فى عمق ، ولان صوته مرَّة أخرى ، وقد أدرك استسلامها للأمر ، وقال فى صوت يحمل رنَّة المشاركة :

— صدِّقينى ياسيِّدتى ، هذا السؤال يُقلقنى أكثر مما يُقلقك .. خاصَّة وأن تحليل دم ابنتك قد أشار إلى وجود أجسام غريبة فيه ، نجهل كُنهها تمامًا ، وترتفع إلى نسبة ستين فى المائة .

انهارت فوق المقعد المواجه لمكتبه ، وتعثَّر صوتها فى حلقها ، قبل أن يغادره أجشَّ متلعثمًا ، وهى تغمغم :

— أثمَّةَ أمل ؟

تنهَّد على نحو لايبشِّر بالخير أبدًا ، وهو يغمغم :

— إننا لانفقد الأمل أبدًا .

تركت العِنان لدموعها ، التى تفجَّرت من عينيها ، وسالت على وجنتيها ، وهى تسترجع البداية ..

لقد بدأ الموقف كله بِحُلم ..

حُلم رأى (نور) فيه جَدَّه الراحل ، يقوده إلى رسالة عجيبة ، خلف إطار قديم ، فى حجرة مكتبه ، فى منزله الريفىّ المنعزل ..

وأصرَّ (نور) على اتباع الرسالة ، واصطحب (سلوى) إلى المنزل الريفىّ المنعزل ، حيث وجد الرسالة فى نفس الموضع تمامًا ..

كانت رسالة تحوى نقشًا عجيبًا ، وسط قرص أعجب ، وتحوى جملة عربية واحدة غامضة ، تقول : « النار وحدها تغسل الشرور » .

وحار (نور) فى فهم العبارة ، وفى إدراك كُنْهَ القرص المنقوش ، المرسوم أعلاها ، حتى ذهب إلى الدكتور (محمد حجازى) ، أستاذه ، وكبير الأطباء الشرعيِّين ، والمهتم بعلوم ما وراء الطبيعة ..

وكانت دهشة الدكتور (حجازى) عارِمَة ، عندما رأى القرص والنقوش ، واصطحب (نور) إلى مَعْمَلِه ، حيث كان يُجْرِى الصفة التشريحية لمهندس منتحر ، فوجد (نور) نفس النقش محفورًا على صدر المهندس ، فى موضع القلب تمامًا ..

وازداد الأمر غموضًا ورَهبة ..

وفى نفس الوقت ، كانت مَلْحمة الرُّعب تدور فى منزل (نور) ، وترتجف لها زوجته وابنته ..

صنابير المياه تُطلق دمًا ..

الأثاثات ترتجف وتنهار ..

الحياة تدبُّ فى المقاعد والمَوْقد ..

ملحمة شيطانية مُرْعِبة ، أصابتهما بفزع رهيب ، تسبَّب فى النهاية فى حادث سيَّارة ، كاد يُودِى بهما ، لولا أن نجَا من الموت بأعجوبة ..

وأقنع الدكتور (حجازى) (نور) ، بضرورة اللُّجوء إلى وسيط روحانىّ شهير ، وخبير فوق طبيعيَّات ، لعمل جلسة من جلسات تحضير الأرواح ، لبحث سبب مايحدث حولهم ..

ومع الجلسة ، بدت مَلْحمة رُعْب جديدة ..

انهار الدكتور (عبد الجليل) ، الوسيط الأشهر ، وبرزت أيدى مخيفة من أرض المنزل ، تعتصر كل من تُوقع به ، ثم هاجم المنزل مَسْخ مخيف .. كيان أسود هائل ، ابتلع الدكتور (عبد الجليل) ، هاجم (نور) والدكتور (حجازى) ، حتى قتله (نور) ، فراح ينكمش ، وينكمش ، وينكمش ..

وهنا سقط (نور) والدكتور (حجازى) فى كهف غامض رهيب ، أسفل منزل (نور) ..

كهف لم يكن له وجود من قبل ..

كهف شيطانىّ ..

كل هذا قبل أن يعلم الجميع من هو عدوُّهم ..

وكان عدوًّا رهيبًا هذه المرَّة ..

وَرَدَ اسمه قديمًا فى الأساطير ..

أساطير الرُّعب ..

كان عدوًّا نصف بشرىّ ، ونصف شيطان ..

كان ابنه ..

ابن الشيطان ..

فى هذه المرَّة كان له حليف بشرىّ

صَحفىّ مُرْتشٍ ، يُدعى (صفوت) ..

وفى تلك اللحظة ، كان الشيطان منتصرًا إلى أقصى حدّ ..

سجن (نور) والدكتور (حجازى) فى أحد كهوفه ..

ودفع بعضًا من دمه فى جسد (نشوى) ، ابنة (نور) و (سلوى) ، بواسطة معاونه البشرىّ (صفوت) (*) ..

لقد هزم الجميع فى هذه الجولة ..

(*) لمزيد من التفاصيل ، راجع الجزء الأوّل (ابن الشيطان) .. المغامرة رقم (٧٢) .

هزمهم حقًا ..

وانتصر هو على حفيد (أوزيريس) ..

على (نور) ..

آخر من يحمل دم الإله الفرعونىّ ..

وفى تلك المرحلة من الصِّراع ، انطلقت ضِحْكة عالية مُجَلْجِلة ..

ضِحكة الشيطان ..

* * *



٢ ـــ الوهم القاتل ..

التمعت دموع اليأس فى عين الدكتور (حجازى) ، وهو يدير عينيه فى أرجاء الكهف الضخم ، قبل أن يغمغم فى لهجة أقرب إلى الانهيار :

ـــ ما كان لنا أن نتحدّى تلك القُوى الرَّهيبة يا (نور) .. لقد حَطَّمنا غرورنا البشرىّ .

غمغم (نور) فى حَنَق :

ـــ رُوَيْدك يا سيِّدى .. إننا لم نتحطَّم بعْد .

لوَّح الدكتور (حجازى) بيده فى يأس ، وهو يقول :

ـــ كيف يا ولدى ؟.. إننا داخل كهف غامض مجهول مخيف ، لا ندرى كيف وصلنا إليه ، ولا كيف نشأ هو هنا ، وما رأيناه الليلة يؤكِّد أننا نواجه قوة رهيبة ، لا قِبَلَ لنا بها .. قوة يمكنها أن تحطِّم كل قوانين الطبيعة .

هبَّ (نور) واقفًا ، وهو يقول فى حِدَّة :

ـــ مُحال يا دكتور (حجازى) .

سأله الطبيب الشرعىّ فى دهشة :

ــ ما المُحَال يا ولدى ؟

هتف (نور) فى انفعال :

ــ الله (سبحانه وتعالى) وحده القادر على تحطيم قوانين الطبيعة .

تمتم الدكتور (حجازى) :

ــ إنه مجرَّد مصطلح دارج يا ولدى ، فأنا أعلم مثلك أن ما نُطلق عليه اسم تحطيم القوانين ، ما هو إلَّا قانون جديد كنَّا نجهله ، ويصرّ على أن يسفر عن وجهه ، فى لحظة بعينها .

هتف (نور) فى انفعال متزايد :

ــ صدقت يا دكتور (حجازى) .. كل ما يبدو لنا خارقًا للمألُوف ، هو فى الواقع أمر مَنْطِقىّ ، ولكننا نجهل قواعد منطقيته . راجع معى مثلًا ما حدث ، وستجد عشرات اللامنطقيّات .. لقد هاجمتنا تلك الأيدى المروِّعة ، وكادت تفتك بنا جميعًا ، ثم فجأة تلاشى كل شىء ، وعاد بنا الزمن إلى نقطة البداية ، وبعدها هَاجمنا كيان أسود مخيف ، وابتلع الدكتور (عبد الجليل) دفعة واحدة ، بكل جسده ، وعلى الرغم من ذلك ، فقد انكمش إلى ما يقرب من حجم كرة صغيرة ، عندما قتلته ، فأين بالله عليك ذهبت جثة الدكتور (عبد الجليل) ؟

غمغم الدكتور (حجازى) فى حَيْرة :

ــ ربُما كان ذلك الكيان المخيف ، يمتلك القدرة على امتصاص الغذاء ، بسرعة هائلة ، مثل الـ .....

قاطعه (نور) فى حِدَّة :

ــ مثل ماذا يا دكتور (حجازى) ؟.. إنه لم يستغرق سوى لحظات ، ما بين ابتلاع جسد الدكتور (عبد الجليل) ، وتحوُّله إلى كرة صغيرة .. وهذا ينافى كل قواعد العلم والمنطق .

بتر عبارته بترًا جزئيًا لتتألق عيناه ، وهو يستطرد فى حزم :

ــ ما لم ...

كانت تلك الكلمة الصغيرة ، ذات الأحرف الأربعة ، كافية لأن يقفز الدكتور (حجازى) من مكانه فى لهفة ، هاتفًا :

ــ ما لم ماذا يا (نور) ؟.. هل توصلت إلى شىء ؟.. هل استنتجت أمرًا يتعلق بما يحدث ؟

أجابه (نور) فى حزم :

ــ ليس استنتاجًا يا دكتور (حجازى) وإنما هو تخمين .. إننى أظن أن كل ما يحدث لنا مجرَّد وهم .

تراجع الدكتور (حجازى) فى دهشة ، وهتف فى لهجة تحمل الحَيْرة والاستنكار ، وخيبة الأمل معًا :

— وَهْم ؟!.. كل هذا مجرَّد وَهْم يا (نور) ؟

صرخ (نور) فى عُنْف :

— نعم .. وَهْم .. وَهْم .. وَهْم ..

حانت منه التفاتة إلى الدكتور (حجازى) ، وهو يهتف بتلك الكلمات ، فألْفاهُ جاحظ العينين ، شاحب الوجه ، زائغ البصر ، يتطلَّع إلى مكان ما خلفه هو ، وهو يقول فى صوت ارتجفت حروفه ، وامتقعت ، حتى كادت تندمج بعضها ببعض ، فى جملة مُبهمة :

— إذن فهو أبشع وَهْم واجهته فى حياتى يا (نور) .

اخترقت عبارته صدر (نور) كخنجر حادّ ، ودفعته دفعًا إلى الالتفات ، إلى حيث يحدّق الدكتور (حجازى) ، بكل هذا الرُّعب ..

وعندما فعل ، غاص قلبه بين قدميه ، واتسعت عيناه فى رُعب هائل ، وامتقع وجهه على نحو مُفزِع ..

لقد كان يتطلَّع مباشرة إلى صورة مجسَّمة للرُّعب ..

بل هو الرُّعب ..

الرُّعب ذاته ..

* * *

وقفت (سلوى) خلف زجاج حجرة العناية المركَّزة ، فى مستشفى (القاهرة) المركزىّ ، تتطلَّع إلى ابنتها الفاقدة الوعى ، والدموع تنحدر على وجنتيها كقطرات من الحُمَم ، واقترب منها رئيس أقسام الطوارئ ، وهو يغمغم فى تعاطف :

— ستُشفى يا سيِّدتى .. صدِّقينى .. ستُشفى حتمًا بإذن الله .

أومأت برأسها موافقة ، وغمغمت :

— أعلم ذلك يا سيِّدى ، فلقد قضيت أنا وزوجى ما يقرب من عامين ، فى غيبوبة مماثلة ، قبل أن نستعيد نشاطنا تمامًا بغتة ، ولكننى أشفق على ابنتى من أن تخوض تجربة مماثلة(*) .

تطلَّع لحظات إلى وجهها الشاب فى حَيْرة ، ثم غمغم :

(*) راجع قصة (الكابوس) .. المغامرة رقم (٦١) .

ـ أخبريني يا سيِّدتي .. أليس من العجيب أن تنجب شابة مثلك ، فتاة ناضجة مثلها ؟ .

غمغمت في حزن :

ـ إن هذا نِتاج تجربة رهيبة أخرى ، جعلت ابنتي تنضج بصورة صناعية ، متخطية عوامل الزمن يا سيِّدي(*) .

تطلَّع إليها في دهشة ، وهو يغمغم :

ـ يا إلهي !.. أيّ أسرة منكوبة أنتم ؟. هذا أسوأ حظ قابلته في حياتي !!

تمتمت في ألم :

ـ ليست مسألة حظ يا سيِّدي .. إنه عملنا .

هتف في دهشة :

ـ عملكم ؟!

أومأت برأسها إيجابًا ، وغمغمت :

ـ نعم .. إننا نعمل لحساب المخابرات العلمية .

هتف في دهشة :

ـ أنتم ؟!

ثم ضرب جبهته بكفِّه ، مستطردًا في انفعال :

(*) راجع قصة (سادة الأعماق) .. المغامرة رقم (٦٢) .

ـ يا إلهي !! كيف لم يخطر هذا ببالي ؟!.. لقد تذكَّرت الآن أين رأيت وجهك يا سيِّدتي .. لقد كان ذلك في (أنباء الڤيديو) ، على شاشة الهولوڤيزيون ، عندما .....

بتر عبارته بغتة ، وهو يهتف :

ـ يا إلهي !!

التفتت إليه (سلوى) ، ورأته يحدِّق في شيء ما ، داخل حجرة العناية المركَّزة ، فصاحت في ارتياع :

ـ ماذا حدث ؟.. ماذا أصاب ابنتي ؟

هتف ، وهو يشير إلى أحد الأجهزة العديدة ، التي تزدحم بها الحجرة :

ـ انظري إلى رسَّام المخ الإليكتروني . إنه يشير إلى حدوث نشاط رهيب .. نشاط عقليّ فائق .. يفوق حتى نشاط مُخ طبيعيّ .

هتفت في ذُعر :

ـ وما الذي يَعْنيه هذا ؟

تراجعَ في حركة حادَّة ، وهتف في رعب ، وهو يحدِّق داخل الحجرة :

ـ يَعْني هذا ....

استدارت إلى داخل الحجرة ، ورأت ما يَغنيه ..
رأت ابنتها تنهض جالسة على فراشها ..
ومن عينيها أطلَّ شرُّ الدنيا كلها ..
ولَحظتها شعرت (سلوى) بالخوف ..
الخوف على ابنتها ..
ومنها ..

* * *



رأت ابنتها تنهض جالسة على فراشها ..
ومن عينيها أطلَّ شرُّ الدنيا كلها ..

٣ ـ كل الرُّعب ..

كان ذلك المخلوق ، الذى يقف أمام (نور) والدكتور (حجازى) هو الرُّعب نفسه ، وقد تشكَّل فى صورة ماديَّة ..

كان عبارة عن وجه شبه وحش، من أبشع ما رآه الاثنان ..

وجه له عين واحدة ، فى منتصفه تمامًا ..

عين حمراء .. قانية .. مخيفة ..

وحولها عدد من الأفواه ، ذات الأنياب الحادَّة البارزة ، التى تسيل منها الدماء ، وكأنما انتهى كل منها من التهام فريسته على التوّ ..

وهذا الوجه يقف على عشرة أرجل ، كعنكبوت بَشِع رهيب ..

وفى وحشية وشراسة ، راحت العين الحمراء الرَّهيبة تحدِّق فى وجهى ضحيتيها ، وراحت الأفواه تُفتح وتغلق ، والأنياب الحادَّة تتصادم وتُصْطَك ، فيصدر عنها صوت كصليل السُّيوف ، وقرْع الأجراس ..

وتراجع (نور) والدكتور (حجازى) فى رُعب ، والأخير يردِّد فى ارتياع :

ـ لقد انتقلنا إلى الجحيم .. لقد فعلنا حتمًا .. ليس هذا الشىء من مخلوقات الأرض .

هتف (نور) فى ثورة :

ـ متى ينتهى هذا الجحيم ؟.. متى ؟..

ردَّدت الجدران صَدَى هُتافه ، فى إيقاع هابط ، زاد من هَوْل الموقف ، وخاصَّة عندما جاوبه ذلك الوجه بصيحة من صيحاته ..

كانت صيحته أشبه بأنين آلاف المعذَّبين ، ونُواح مئات الثَّكالَى ..

كانت لمحة من الجحيم بحقّ ..

وارتجف جسدا (نور) والدكتور (حجازى) ، وامتلأت نفساهما برُعب لا حُدودَ له ، على حين تحرَّكت الأقدام العشرة فى بطء ، ليتجه ذلك المخلوق نحوهما ، وأنيابه تتباعد وتتدانى كموت يهمّ باقتناص ضحيَّة جديدة

وهنا انتزع (نور) نفسه من رعبه انتزاعا ، وانتزع مسدَّسه اللِّيزرىّ ، وصرخ فى إصرار وعناد :

— فلنرَ أوَهمٌ أنت أم حقيقة ؟

وانطلقت أشعة مسدَّسه تشقُّ فراغ الكهف ، وترتطم بالمخلوق المخيف ، ثم ترتدُّ عنه إلى الجدران ، فتحطِّم الصخور ، وتُثير الرِّمال ..

وأطلق (نور) الأشعة مرَّة ، ومرَّة .. وثالثة ..

وفى كل مرَّة يحدث الشىء نفسه .

تنعكس الأشعة ، ويبقى المخلوق سليمًا ..

والتصق الدكتور (حجازى) بالحائط ، وهو يهتف فى هَلَع :

— وهمًا كان أم حقيقة .. لقد عجز سلاحك عن صدِّه يا (نور) .

أجابه (نور) بهُتاف مرتجف :

— يا إلهى !!..

وأمام عينيه الملتاعتين ، رأى المخلوق المخيف يحاصر الدكتور (حجازى) بين بروزين صخريَّين ويفتح أفواهه كلها ، ويُبرز منها مئات الأنياب ..

كان يهمّ بالتهام فريسة جديدة ..

فريسة بشريَّة ..

* * *

نهضت (نشوى) من رَقْدتها ، وعيناها تتألقان ببريق مخيف ..

بريق شيطانىّ ..

وفى بطء ، أدارت عينيها إلى تلك الأجهزة الإليكترونية الحديثة ، التى تحيط بها ..

ثم صرخت ..

وارتجفت (سلوى) فى رُعب ، وهبط قلبها بين قدميها ، وتمزَّقت نفسها بين فزع ومرارة وحزن ، عندما اخترقت صرخة ابنتها أذنيها ..

كانت صرخة مخيفة ، أشبه بزئير عشرات الأسود الغاضبة ..

وفجأة ، انتزعت (نشوى) كل الأنابيب الطبيَّة المتصلة بجسدها فى عُنف ، ثم هبَّت واقفة ، فتراجع رئيس أقسام الطوارئ ، وهو يهتف :

— أسرعوا .. لقد عاودتها النَّوبة .. أسرعوا .

اندفع خمسة من الممرضين نحو الحجرة ، فى نفس اللحظة التى اقتربت فيها (نشوى) من باب الحجرة الزجاجىّ السميك ، و (سلوى) تهتف فى ارتياع :

ـ ماذا أصابها ؟.. ماذا حدث ؟

اختلطت حروف كلمتها الأخيرة مع صوت تحطُّم الباب الزجاجيّ السميك ، إثر لكمة هائلة من كفّ (نشوى) الرقيقة ..

وتراجع الممرضون الخمسة فى خوف وهلع ..

لقد كان ذلك الزجاج السميك ، الذى حطّمته (نشوى) بلكمة واحدة ، من نوع غير قابل للكسر ..

من نوع تعجز حتى رصاصات القرن العشرين عن تحطيمه ..

وصرخت (سلوى) فى رُعب وارتياع :

ـ أنقذوها .. أنقذوا ابنتى .. أرجوكم .

هتف أحد الممرّضين الخمسة فى ذهول واستنكار :

ـ ننقذها ؟!..

وهتف آخر فى ذُعر :

ـ المهمّ هو أن ننقذ أنفسنا منها .

قال هذا وهو يَعْدو مبتعدا ، على حين حاول زميل له أن يقترب من (نشوى) ، وهو يقول فى توتُّر :

ـ مهلًا يا آنسة .. مهلًا .. لِمَ لا نتحدث على نحو منطقىّ ، أو ..... ؟

لم يتمّ المسكين عبارته ؛ لأن قبضتها هَوَتْ على فكّه ، فحطّمته تحطيمًا ، وسقط الرجل غارقًا فى دمائه ، وقد انشطرت فكّه إلى شطرين ..

وصرخت (سلوى) فى ألم وعذاب :

ـ مستحيل !.. مستحيل !..

دفعت صرختها (نشوى) إلى أن تلتفت إليها ..

والتقت عيناهما ..

واتسعت عينا (سلوى) فى ارتياع ..

ليست هذه عينى ابنتها ..

صحيح أنهما تشبهان عينيها ..

ولكنهما ليستا هما ..

هاتان العينان تحملان شرَّ الدنيا كلها ، وشراستَها ووحشيتَها ..

إنهما عينا شيطان ..

والتصق الجميع بالحائط فى رُعب ، على حين التفتت (نشوى) بجسدها كله إلى أمّها ، ثم اتجهت إليها فى وحشيّة مخيفة ..

وفجأة ، أمسكت (نشوى) عُنق أمها ، وضمّت قبضتها فى عُنف وشراسة ..

واتسعت عينا (سلوى) فى رُعب هائل ، ومرارة لا حصر لها ..

إنها تواجه الموت ..

الموت فى قبضة أحبّ مخلوقات الدنيا إليها ..

فى قبضة ابنتها ..

* * *

شحُب وجه الدكتور (حجازى) فى شِدَّة ، حتى صار أشدّ امتقاعًا من وجوه تلك الجثث ، التى يعكف على فحصها طِيلة الوقت ، والمخلوق المخيف يحاصره تمامًا ، ويتأهَّب لالتهامه بلا رحمة ..

وانهار الدكتور (حجازى) ، وهو يهتف :

— إنها النهاية يا (نور) .. لم أكن أتوقَّعها على هذا النحو البشع ، ولكنه قَدَرِى ..

الوداع يا (نور) .. الوداع يا ولدى .

اتسعت عينا (نور) فى خوف ويأس هائلين ، ثم لم يلبث يأسه أن تنحّى جانبًا ، وتلاشت نظرة الخوف من عينيه ، وحلَّت محلها نظرة عناد وإصرار هائلة ، وانعقد حاجباه فى غَضَب ، وهو يهتف بصوت قوىّ ، ارتجَّت له جدران المكان كله :

— كلَّا .

وبلا سلاح ، اندفع نحو المخلوق المُرْعِب ، وبقفزة واحدة اعتلى جسده ..

لقد بدأ (نور) صراعًا رهيبًا ..

صراعًا شيطانيًّا ..

* * *





وبلا سلاح ، اندفع نحو المخلوق المرعب ، وبقفزة واحدة اعتلى جسده ..

٤ ـ الانهيار ..

كان الموت يطلُّ شامتًا من قبضة (نشوى) ، وهى تهمّ بقتل أُمّها ..

وكانت الوحشية تطلُّ من عينيها ..

أىّ شيطان هذا ، الذى فعل بها ذلك ؟..

أىّ شرّ هذا ، الذى يدفع ابنة إلى قتل أُمّها ؟..

ومن العجيب أن (سلوى) لم تشعر بالخوف ، وهى تواجه الموت ، على يد ابنتها ..

كل ما شعرت به هو الألم والحزن والمرارة ..

ومن عينى الأم ، سالت دموع ساخنة ..

دموع انحدرت على وجنتيها الشاحبتين ، لتحفر فيهما نهرين من حُمَم الأمومة ..

وفى استسلام كامل ، تطلّعت (سلوى) إلى عينى ابنتها ، تنتظر الموت القادم إليها كالصاعقة ..

ولكن المعجزة حدثت فجأة ..

معجزة إلهية عجيبة ..
معجزة من معجزات الخالق (عزَّ وجلّ) ..
فجأة ، لانت القبضة المضمومة ..
وتراخت الأصابع ..
وتلاش الشرّ من النظرات ..
ومن عينى (نشوى) ، أطلّ عذاب عميق ، لم يلبث أن تحوّل إلى حَيْرة ودهشة ..
وفى بطء امتدّت تلك الأصابع ، التى كانت تستعدّ للقتل ، تمسح دموع (سلوى) ..
وهتفت (نشوى) فى حَيْرة وإعياء :
ـــ أمّاه !!..
لقد غسلت دموع الأم روح الشرّ ..
غسلتها من نفس ابنتها ..
وتلاشى الشيطان من نفس (نشوى) ..
ثم انهارت فجأة ..
عادت إلى غيبوبتها العميقة ..
إلى عالم اللاوعى ..

* * *

جاءت انقضاضة (نور) على المخلوق البشع مباغتة ، حتى أن جسده قد ارتطم بالصخور ، ثم انقلب على ظهره ، كعنكبوت بشع ، أصابته ركلة من قدم غاضبة ..
وسقط (نور) وسط الأرجل العشر ، وراح يلكم المخلوق فى أنحاء جسده ، صائحًا فى غضب :
ـــ لن تهزمنا .. لن تهزمنا أبدًا .
وراح المخلوق يقاتل فى شراسة ، وهو منقلب على ظهره ، وأرجله العشر تركل (نور) ، وتدفعه فى وحشية ، وأفواهه كلها تحاول الإطباق على أى جزء من جسد (نور) ، فى حين بقى الدكتور (حجازى) ملتصقًا بالجدار ، جاحظ العينين فى رُعْب ، ذاهلًا .. مشدوهًا ..
ولكن انقضاضة (نور) راحت تتغلغل فى أعماقه فى بطء ..
لقد جازف (نور) بحياته من أجله ..
من أجل إنقاذه ..
لقد واجه الموت لينقذه منه ..
وانتزعت تلك الفكرة ذُهوله وخوفه ..
هو أيضًا امتلأ بالغضب والصرامة ..
وفى حركة حادّة ، انتزع من جيب سترته مبضعًا كبيرًا ، من تلك المباضع التى يستخدمها لتشريح الجثث ..

وبصرخة صارمة، قفز بدوره نحو المخلوق، وغاص نَصل مبضعه فى عينه الواحدة الضخمة ..

وانطلقت صرخة المخلوق كالأنين والنّواح ..

صرخة رهيبة هائلة ..

وتفجّرت عينه المخيفة كقنبلة مكتومة، واندفعت منها الدماء فى عنف، وراحت الأرجل العشر تتراقص فى تشنّج عنيف بعض الوقت، والدماء تسيل من العين المفقوءة فى غزارة مخيفة ..

ثم انتهى كل شىء..

سكن المخلوق المخيف، وانتهى وسط بركة رهيبة من الدماء ..

ونهض (نور) مشدوهًا، يحدّق فى الجسم الراقد أمامه، مغمغمًا :

ـ لقد أفلح المبضع فيما فشلت فيه أشعة اللّيزر .

غمغم الدكتور (حجازى) :

ـ تذكّر أن أشعة اللّيزر تعجز عن تحطيم مرآة، فتنعكس عنها، دون أن تصيبها بأدنى ضرر، على حين يصنع حجر صغير ذلك، وبكل كفاءة .

تنهّد (نور)، وأومأ برأسه مغمغمًا :

ـ صدقت .

وران عليهما الصمت لحظات، وكأنما يسعى كل منهما لالتقاط أنفاسه، قبل أن يغمغم (نور) فى هدوء، بدا عجيبًا فى تلك اللحظة، وفى ظل هذه الظروف :

ـ أتعلم ما الذى يربكنى حتى الآن يا دكتور (حجازى)؟

سأله الدكتور (حجازى) دون أن يلتفت إليه :

ـ ماذا ؟

تنهّد (نور) مرّة أخرى، وقال :

ـ إننى أجهل ـ حتى الآن ـ من أحارب.. أو ماذا أحارب.

غمغم الدكتور (حجازى) فى حَيْرة :

ـ تحارب ؟!

قال (نور)، وقد بدأت حِدّة عصبيّة تنمو فى صوته :

ـ نعم .. ما زلت أجهل حتى الآن، مَنْ عدوّى ..

أجابه الدكتور (حجازى) فى تردُّد :

ـ إنها الأرواح الشّرّيرة يا (نور) .

صاح فى حَنَق مباغت :

ـ أيّة أرواح شريرة ؟!.. منذ متى تفعل الأرواح الشّرّيرة

ذلك ؟.. إن أقصى ما بلغنا عنها ، هو أنها تُشعل النار فى الأثاثات ، أو تنقل الأشياء من مواضعها ، ولكن ما يحدث هنا يفوق كل ذلك ..

ثم قلَّب كفَّيه ، وهو يستطرد ساخطًا :

ـــ ولا يتبع أيَّة قوانين .

شعر الدكتور (حجازى) بالقلق ، وخشى أن يصاب (نور) بانهيار عصبىّ ، فغمغم محاولًا تهدئته :

ـــ رُوَيْدك يا (نور) .. رُوَيْدك يا ولدى .. العالم لم ينته بعْد .. من يَدرِى ؟.. ربَّما ....

قاطعه (نور) هاتفًا :

ـــ ربما أمكننا الخروج من هنا .. وربما بقينا إلى الأبد .. نعم .. مَنْ يَدرى ؟

وفى غضب ، انتزع خزانة الطاقة ، من مؤخرة مسدسه اللّيزرىّ ، فهتف به الدكتور (حجازى) فى ذُعْر :

ـــ ماذا ستفعل ؟

هتف (نور) فى حزم غاضب :

ـــ سأحسم الأمر .

هبَّ الدكتور (حجازى) واقفًا ، وهو يهتف مذعورًا :

ـــ ربَّاه ؟!.. هل ستلقى خزانة الطاقة على جدران الكهف ؟

أجابه (نور) فى حِدَّة :

ـــ نعم .. سأفعل .. هذا هو سبيلنا الوحيد .

صرخ الدكتور (حجازى) فى رُعْب :

ـــ وماذا لو انهار المكان على رءوسنا ؟

صرخ (نور) :

ـــ وماذا لو أن نجاتنا تكمن خلفه ؟

وفى حزم ألقى خزانة الطاقة على الجدار ، وارتجَّ المكان كله بصوت انفجار قوىّ .

انفجار رهيب ..

* * *



٥ ـ العدوّ ..

تصاعدت درجة حرارة تلك الحجرة ، التى يجلس فيها (صفوت) ، مع سيّده (ابن الشيطان) ، حتى بدت أشبه ببؤرة من الجحيم ، وراح (صفوت) يتصبّب عرقًا فى شدّة ، وهو يغمغم فى خوف :

ـ سيّدى .. سيشتعل المكان يا سيّدى .. أرجوك .

فتح (ابن الشيطان) عينيه بغتة ، وحدّق فى وجه (صفوت) بعينيه الناريّتين فى غضب ، وهو يقول :

ـ يشتعل ؟!

تراجع (صفوت) فى خوف ودهشة ، ولاحظ كيف أن حرارة الحجرة راحت تنخفض تدريجيًا ، وهو يتمتم :

ـ معذرة يا سيّدى .. ولكنك كنت ترتجف ، غائبًا عن الشعور تمامًا ، وكانت درجة الحرارة ترتفع ، و .....

لم يستطع إكمال عبارته ، وهو يتطلّع إلى العينين الناريّتين ، غير البشريتين ، وراح العرق يتصبّب على وجهه غزيرًا ، على

الرغم من أن درجة حرارة الحجرة كانت قد انخفضت إلى أقصى حدّ ، فانهارت عيناه أرضًا ، وهو يتمتم :

ـ الرّحمة يا سيّدى !! الرّحمة !!

أتاه صوت (ابن الشيطان) ، وهو يغمغم فى لهجة تجمع ما بين السُّخرية والدهشة والاستنكار :

ـ الرّحمة ؟!

ثم انطلقت فى المكان ضحكة رهيبة ، بدت وكأنها قادمة من أعماق الجحيم ، وهبَّ (ابن الشيطان) واقفًا ، فبدا كمارد هائل ضخم ، وهو يستطرد فى قسْوَة :

ـ قاموسى لا يحوى هذه الكلمة أيها الإنسىّ ، فلا تنطق بها أبدًا .

هتف (صفوت) فى ارتياع :

ـ لن أفعل يا سيّدى .. أُقسم لك .. أُقسم لك .

قال (ابن الشيطان) فى صوت جهْورىّ رهيب :

ـ أعلم أنك لن تفعل .

ثم تحرّك فى خطوات قويّة نحو حجرة جانبية ، وقال دون أن يلتفت إلى (صفوت) :

ـ لا تدخل إلى هذه الحجرة .


وبرقت عيناه ، وهو يستطرد فى شراسة رهيبة :
ــ مهما كانت الأسباب ..

وبرقت عيناه ، وهو يستطرد فى شراسة رهيبة :

ــ مهما كانت الأسباب .

وأوصد الباب خلفه فى قوة ، تاركًا (صفوت) يرتعد خوفًا ، قبل أن تهدأ نفسه تدريجيًا ، ويغمغم فى توتر :

ــ لماذا أطيعه ؟.. لماذا ؟

أجاب الشيطان الرابض فى أعماقه :

ــ لأنه الأقوى ، ولأنه وَعَدك بأن يمنحك شركة أبناء الفيديو كلها .

برقت عيناه فى شراسة ، وهو يغمغم فى شراسة وطمَع :

ــ نعم .. لأنه سيمنحنى القوّة والمال .

ثم صبَّ لنفسه كأسًا من الخمر ، رفعها عاليًا ، وهو يهتف فى نشوة :

ــ نخب الشيطان الابن .

وجَرَع كأسه دَفعة واحِدة ..

وارتوى شيطان الشرّ فى أعمق أعماقه ..

* * *

أرقد الممرضون (نشوى) على سريرها ، فى حجرة العناية المركَّزة ، وراح رئيس الأقسام يطمئن على انتظام نبضها

بنفسه ، قبل أن يتنهَّد فى عمق ، ويلتفت إلى أمها ، قائلًا بابتسامة باهتة :

ـ لقد صنعت دموعك معجزة يا سيِّدتى .. لقد أنقذت الجميع .

تمتمت (سلوى) فى حزن :

ـ فيما عدا ذلك المسكين ، الذى تحطَّم فكُّه ، وأصيب مخه بالارتجاج .

غمغم رئيس الأقسام فى اقتضاب حازم :

ـ سيُشفى بإذن الله .

وقاد (سلوى) إلى الخارج ، مستطردًا فى قلق :

ـ ولكن دم ابنتك ما زال يحوى تلك الأجسام الغريبة ، وبنفس النسبة .

سألته فى اهتمام :

ـ ألَمْ تتوصَّلوا إلى معرفة كنهها بعد ؟

هزَّ رأسه نفيًا ، وهو يقول :

ـ كلَّا للأسف .. لقد حَيَّرنا أمرها جدًا ، فهى ليست بميكروبات ، أو فيروسات .. إنها أجسام خاملة تمامًا ، لا تتفاعل مع أى وسط حىّ ، حاولنا زرعها فيه ، أو أى وسط كيميائى آخر ، ومن المفروض أن يَعْنِىَ ذلك عدم ضررها تمامًا ،

ولكن ذلك غير صحيح ، فها هى ذى تأتى أفعالًا مخيفة ، يشيب لهولها الوِلدان ، فى جسد ابنتك .

غمغمت فى ارتياع :

ـ يا إلهى !!

ثم انحدرت من عينيها دمعة ساخنة ، فتطلَّع إليها الطبيب فى إشفاق ، وسألها فى تردُّد :

ـ ألست عضوًا فى فريق للمخابرات العلمية ؟

أومأت برأسها إيجابًا ، فعاد يسألها :

ـ أين باقى الفريق إذن ؟.. لِمَ لا يتعاونون معك ومعنا ، للبحث عن خلاص لابنتك من هذا ؟

زفرت فى مرارة ، وهى تقول :

ـ لا يوجد فريق الآن .. لقد أصيب نصفه فى مغامرة سابقة(*) ، ولم يَعُد هناك سواى ، وسوى زوجى فقط .

سألها فى دهشة :

ـ أليست ابنتك .....؟

أجابته قبل أن يتم سؤاله :

ـ كلَّا .. ليست ضمن الفريق .

(*) راجع قصة (الستار الأسود) .. المغامرة رقم (٧٠) .

وزفرت مرَّة أخرى فى مرارة وألم ، قبل أن تستطرد :

ــ إنها فقط ضحيَّة .. ضحيَّته للمرَّة الثانية .

* * *

انفجرت خزانة الطَّاقــة الصغيرة ، الخاصَّة بمسدَّس (نور) ، فى جدار الكهف ، وارتجَّ المكان فى قوَّة ، وبدا لحظة أنه سينهار على رأس (نور) والدكتور (حجازى) ، اللَّذين راحا يَسْعُلان فى قوَّة ، بسبب سحابة الغبار الكثيفة ، التى تولَّدت عن الانفجار ، قبل أن يخفق قلباهما فى لهفة وأمل ، وقد سقط ضوء قوىّ على وجهيهما ..

وهتف الدكتور (حجازى) فى فَرْحة غامرة ، وهو يتطلَّع إلى تلك الرَّدْهة الأنيقة ، التى بدت من خلف فجوة فى جدار الكهف :

ــ منزلك يا (نور) .. إنه منزلك .

دفعه (نور) أمامه ، وهو يهتف :

ــ نعم .. إنه هو .

لم يصدِّقا نفسيهما ، عندما عَبَرا الفجوة ، ووقفا وسط رَدْهَة منزل (نور) ، وصاح الدكتور (حجازى) فى سعادة :

ــ لقد نجونا يا (نور) .. لقد نجونا ..

غمغم (نور) :

ــ نعم .. لو أنك تقصد إضافة كلمة (مرحليًا) ، فأنا أوافقك .

تصلَّب جسداهما بغتة ، عندما انبعث من خلفهما صرير قوىّ ، وهتف الدكتور (حجازى) فى ذُعْر :

ــ ربَّاه !! ليس ثانيةً .

التفتا فى آن واحد ، نحو الفجوة التى أتيا منها ، ثم تراجعا فى دهشة ..

لم تكن هناك فجوة ..

لم يكن هناك شىء ..

فقط جدار رَدْهَة (نور) ، بأناقته ، وطلائه المعهود ، ومصباحيه الفسفوريَّين ..

وكأنما لم يكن هناك سواه ..

لا كهفَ .. لا خوف ، لا وَهْمَ ..

وهتف الدكتور (حجازى) مذهولًا :

ــ مستحيل !!.. لقد عَبَرْنا الفجوة توًّا .

غمغم (نور) فى توتُّر بالغ :

— أو أننا لم ننتقل من مكاننا، وأن كل هذا كان مجرَّد وَهْم.

نفض الدكتور (حجازى) الغبار الكثيف عن ثيابه ، وهو يهتف :

— وهْمٌ ؟!.. وماذا عن غبار الجحيم هذا ؟

نفض (نور) الغبار عن ثيابه بدوْره ، وهو يقول فى حَيْرة :

— نعم .. هذا الغبار حقيقىّ .

وتطلَّع إلى الجدار مرَّة أخرى فى دهشة ، ثم اتجه إليه فى حزم ، وراح يدقُّ عليه بقبضته فى قوَّة ، قبل أن يتراجع مرَّة أخرى ، هاتفًا فى حَيْرَة أشدّ :

— إنه مُصْمَت تمامًا .. لا توجد خلفه أيَّة تجاويف .

صرخ الدكتور (حجازى) فى حِدَّة :

— من أين أتينا إذن ؟

تلفَّت (نور) حوله ، وهو يقول :

— بل قُل كيف أتينا ؟

توقَّف بصره بغتة عند نقطة ما ، وارتجف صوته من فرط الانفعال ، وهو يستطرد :

— أهذا أيضًا وَهْم ؟

أدار الدكتور (حجازى) عينيه إلى حيث ينظر (نور) ، وارتفع حاجباه فى ارتياع ، وهو يهتف :

— يا إلهى !!.. الدكتور (عبد الجليل) ؟.

كانت جثة الوسيط الرُّوحانىّ الأشهر مُلقاة أمام باب المطبخ ، كاملة ، فى نفس الموضع الذى ترك فيه الاثنان تلك الكُرَة البشعة ، التى تخلَّفت عن الكيان الأسْوَد الرَّهيب ، الذى ابتلع الدكتور (عبد الجليل) أمام عيونهما ..

وبلا تفكير ، اندفع الاثنان نحو جثة العالم المِسكين ، الذى بدا شاحب الوجه فى شدَّة ، وانحنى الدكتور (حجازى) يلصق أذنه بصدر الجثة ، قبل أن يعتدل ، ويتطلَّع إلى عينى الجثة الجاحظتين ، مغمغمًا فى شُحُوب :

— لقد لَقِىَ مَصْرَعه .

هتف (نور) فى توتُّر :

— ليس هذا ما يُدهشنى ، وإنما أتساءل : من أين جاء ؟.. وأين اختفى من قبل ؟..

وتعالى صوته ، وهو يصرخ مستطردًا :

— وأىّ منطق يحكم كل هذا ؟

تلفَّت الدكتور (حجازى) حوله فى خوف، وهو يغمغم:

ـــ منطق الرُّعب .

لوَّح (نور) بذراعه فى حَنَق ، وهو يهتف :

ـــ أىّ منطق هذا ؟.. وما هو ؟.. أو من هو ذلك العَدُوّ الخَفِىّ ، الذى يستخدم معنا ذلك المنطق ؟.. ولماذا يفعل ؟.. وما هدفه ؟

غمغم الدكتور (حجازى) :

ـــ ربما يهدف إلى إخافتنا فحسب .

صرخ (نور) :

ـــ لماذا ؟.. إخافتنا ليست هدفه حتمًا .. إنما هى وسيلته للوصول إلى هدف ما .. وما أسأله هو لماذا ؟ ..

ران عليهما صمت ثقيل ، بعد سؤال (نور) الأخير ، وبدا ذلك الصمت ، بتناقضه التام مع ثورة (نور) قبل لحظة واحدة ، أكثر مدعاة للخوف والقلق ، حتى أن الدكتور (حجازى) وجد نفسه مضطرًّا لقطعه ، مغمغمًا :

ـــ أظن أنه هناك وسيلة يا (نور) .

التفت إليه (نور) ، يسأله فى لهفة :

ـــ ما هى ؟!

تردَّد الدكتور (حجازى) على نحو واضح . وكأنما شعر بالنَّدم ، على تفوُّهه بتلك العبارة . فهتف (نور) يستحثه على الإجابة :

ـــ ما هى يا دكتور (حجازى) ؟.. ما هى بالله عليك ؟

تنهَّد الدكتور (حجازى) فى عمق ، وقال :

ـــ أن نلجأ إلى أكبر خبراء ما فوق الطبيعيَّات فى الشرق الأوسط .. وأن .....

بتر عبارته بغتة ، وهو يحدِّق فى نقطة ما خلف (نور) فى رُعب هائل ، كادت عيناه تقفزان له من محجريهما ، فالتفت (نور) إلى حيث ينظر فى حِدَّة ، ثم تراجع فى قفزة واحدة كالمصعوق ..

لقد كانت جثة الدكتور (عبد الجليل) جالسة ، تحدِّق فيهما فى هدوء ، وعلى شفتيها ابتسامة شاحبة ..

ابتسامة جثة ..

* * *

٦ ـ المستحيلات ! ..

على عكس الدكتور (حجازى) ، لم يكن الشعور المسيطر على (نور) فى تلك اللحظة ، وهو يحدّق فى تلك الجثة ، التى نهضت واقفة ، هو الخوف ..

بل كان الاستنكار ..

ولقد عبَّر عن استنكاره هذا فى صوت مسموع ، وهو يقول :

ـ مستحيل !!.. الموتى لا يعودون إلى الحياة أبدًا .

غمغم الدكتور (حجازى) فى رُعب :

ـ هذا ما كنت أومن به ، حتى هذه اللحظة .

هتف (نور) فى عناد :

ـ مستحيل !!.. الله (سبحانه وتعالى) وحده يُحيى المَوْتى ، وما من مخلوق يملك أن يفعل ذلك ، دون مشيئته (سبحانه) ، وما يحدث هنا من شرور ، يتنافى تمامًا مع المعجزات الإلهية .

كان يقول هذا بكل عناد ، وجثة العالم الرُّوحانى تتحرَّك نحوه فى بطء ، وعيناها الباردتان تتركَّزان على وجهه ، فهتف الدكتور (حجازى) فى ذُعْر :

ـ ابتعد يا (نور) .. ابتعد يا ولدى ، قبل أن يظْفَر بك .

انعقد حاجبا (نور) فى شِدَّة ، وهو يقول فى عناد :

ـ مُحال .. إننى لم أفر أبدًا من أمام رجل حىّ .. فما بالك برجل ميت ؟

وقفت الجثة فى هذه اللحظة ، على قيد خطوات من (نور) ، الذى قال فى حِدَّة :

ـ أنت ميت .

مضت لحظة من الصمت ، بدت فيها الحَيْرَة على وجه الجثة ، قبل أن يكرِّر (نور) فى صوت قوى :

ـ أنت ميت .

وهنا غمغمت الجثة فى دهشة :

ـ أنا ؟!

وفجأة ، تلاشت مظاهر الموت من الجثة ..

فجأة ، عادت إليها كل مظاهر الحياة ..

تورَّدت البشرة بالدماء ..

واستعادت العينان بريقهما ..

وتلفت الرجل حوله فى حَيْرة ، ثم استقرّت عيناه على وجه (نور) ، وهو يقول فى توتُّر :

ـــ لماذا قلت إننى ميِّت ؟!

صاح الدكتور (حجازى) فى انفعال جارف :

ـــ إنها معجزة !!.. معجزة بحقّ !! لقد عاد الرجل إلى الحياة !!

هتف (نور) فى عناد :

ـــ مستحيل يا دكتور (حجازى) !! لا أنبياء هنا .

غمغم الدكتور (عبد الجليل) فى حَيْرة :

ـــ ولكننى حىٌّ بالفعل .

قال (نور) فى حزم :

ـــ وهذا لا يحمل سوى تفسير واحد .

سأله فى لهفة :

ـــ ما هو ؟

صمت (نور) لحظة ، ثم أجابه فى حزم وصرامة :

ـــ أنك لم تمُتْ منذ البداية .. لم تمت أبدًا ..

* * *

أغلق (ابن الشيطان) حجرة (صفوت) خلفه فى إحكام ، وبإشارة من يده ، تكوَّم أثاثها كله فى جانب منها ، وانسدلت عليه ستارة سوداء ، حجبته عن الأعين تمامًا ..

وبإشارة أخرى تحوَّل لون الجدران والسقف والأرض إلى لون أسود قاتم مخيف ..

وظهرت شمعتان ضخمتا الحجم ، لهما لون أسود داكن ..

وبفرقعة من سبَّابته وإبهامه ، اشتعلت الشمعتان ، وسط ذلك المحيط الأسود الرهيب ..

وركع (ابن الشيطان) على ركبتيه ، ورفع كفَّيه فى الهواء ، هاتفًا فى صوت عميق مخيف :

ـــ أبتاه .. هأنذا ابنك البار أعود .

برقت نقطة ما فى سماء الحجرة ، وبدت كصواعق وأعاصير ، تدور فى فلك محدود ، على حين ارتفع صوت (ابن الشيطان) ، وهو يستطرد :

ـــ هأنذا أسعى من أجلك .. من أجل انتقامك .

ارتجَّت جدران الحجرة فى قوة ، وراحت ترتجف كأوراق شجرة ضعيفة ، على مشارف الخريف ، وتحوَّل صوت (ابن الشيطان) إلى هدير قوىّ ، وهو يتابع :



وركع (ابن الشيطان) على ركبتيه ، ورفع كفَّيه فى الهواء ، هاتفًا فى صوت عميق مخيف : أبتاه .. هأنذا ابنك البار أعود ..

— سأظفر بحفيد (أوزيريس) .. سأنتصر هذه المرَّة .. وكما قلت أنت : الكون لا يتسع لنا معًا .. إمَّا هو ، أو أنا ..

تردَّد صدى كلمة (أنا) فى قوَّة ، وهبَّت عاصفة ساخنة ، التهبت لها الجدران ، والشيطان الصغير يصرخ :

— إنها معركتنا النهائية يا أبتاه .. النهائية ..

وفى مقلتيه اشتعلت النيران ..

نيران الجحيم ..

* * *

« إننى لم أمُتْ بالفعل .. » ..

غمغم الدكتور (عبد الجليل) بهذه العبارة فى توتُّر ، مجيبًا سؤال (نور) ، ثم زفر فى عصبيَّة ، مستطردًا :

— لقد ابتلعنى ذلك الكيان الأسود المخيف حقًّا ، ولكنه لم يكد يفعل ، حتى سمعت صوتًا أشبه بعظام تتحطَّم ، ووجدت نفسى أسبح فى فراغ مُظلم رهيب ، حتى أننى قد تساءلت ، على الرغم من شعورى الشديد بالخوف ، فى تلك اللحظات ، كيف أن هذا الشىء يحوى فراغًا كهذا .. وفجأة شعرت أننى أتجمَّد ، ويحيط بى قالب سميك ، ففقدت وَعْيى ، وأفقت لأجدكما أمامى ، وعندما اتجهت نحوكما ، سمعتك تقول إننى ميِّت ، فأصابنى خوف ودهشة ، وكدت أموت بالفعل ، لولا أن استعاد جسدى حيويَّة بغتة .

غمغم (نور) فى صوت خفيض :

ـ وَهْمٌ .

سأله الدكتور (حجازى) فى دهشة :

ـ ماذا تقول ؟

صاح فى حِدَّة :

ـ أقول : وَهْمٌ .. كل هذا مجرَّد وَهْمٌ .

هتف الدكتور (حجازى) فى حِدَّة مماثلة :

ـ أىُّ وَهْم هذا يا (نور) ؟. من المستحيل أن نعيش كلنا وهمًا واحدًا .

قال (نور) فى انفعال :

ـ لماذا ؟!.. ألم نفعل من قبل ؟.. ألم نَعِش وهمًا واحدًا ، ونحن نرى تلك الأيدى تبرز من الأرض ، وتعتصرنا جميعًا ؟

غمغم الدكتور (عبد الجليل) فى عصبيَّة :

ـ بلَى .. لقد حدث هذا ، و .....

قاطعه رنين التليڤيديو ، فضغط (نور) زرَّ الاستماع فى سرعة ، ورأى وجه زوجته الشاحب يبدو على شاشته ، فهتف فى قلق :

ـ ماذا هناك يا (سلوى) ؟

أجابته بكلمة واحدة ، كانت كافية لأن يرتطم قلبه بضلوعه ، وتشتعل الدماء فى عروقه :

ـ ابنتنا يا (نور) .

ولَمْ يسألها تفسيرًا ..

لَمْ يفعل ؛ لأنه لَمْ يَعُد هناك ..

لقد انطلق على الفَوْر ..

انطلق إليها ..

* * *

« ما الذى أصابها ؟.. » ..

ألقى (نور) هذا السؤال ، فى لهجة تحمل كل قلقه وتوتُّره ، ولهفته وخوفه ، فربَّت رئيس أقسام الطوارئ على كتفه ، وقال :

ـ اطمئن يا ولدى .. إنها نائمة الآن .

شرحت له (سلوى) الأمر فى كلمات سريعة ، واستمع هو إليها فى توتُّر ، قبل أن يلتفت إلى رئيس الأقسام ، ويسأله :

ـ قُل لى يا سيِّدى .. أما من وسيلة لتخليص جسدها من تلك الأجسام العجيبة .

هزَّ الرجل كتفيه ، وتردَّد لحظة ، ثم أجاب :

— ربما لو استخدمنا الغسيل الكُلَوِىّ ..

قاطعه (نور) فى لهفة :

— استخدمه .

تطلّع إليه الرجل فى تردُّد ، وقال :

— هذا يحتاج إلى بعض الفُحوص أوَّلًا ، فلا أحد يَدْرِى ما الذى يُمكن أن يصيبها ، لو أن تلك الأجسام تحمل بعض التأيّن .

قال (نور) فى توتُّر :

— ابذل أقصى جُهْدك .

وانعقد حاجباه فى توتُّر ، وهو يستطرد :

— كما سأفعل أنا .

* * *

تطلّع الدكتور (حجازى) إلى (نور) طويلًا فى سُكُون ، ثم تراجع فى مقعده ، وزفر فى قوّة ، وغمغم فى توتُّر واضح :

— أما زلت تصرّ على مواصلة القتال يا (نور) ؟

ابتسم (نور) ابتسامة باهتة ، وقال :

— أتظن ذلك القرار يعود إلىّ حقًّا يا دكتور (حجازى)؟

— كلّا .

ثم قلّب كفّيه ، مستطردًا فى توتُّر :

— ولكن ما الذى يمكنك عمله ؟

أجابه (نور) فى حزم .

— قالوا قديمًا : « اعرف عدوَّك » .

تطلّع إليه فى ذُعْر ، وقال :

— عدوُّك ؟.. أتريد معرفته ؟

أومأ (نور) برأسه إيجابًا ، وقال فى صرامة :

— نعم .. حتى يمكننى مقاتلته .

وصمت لحظة ، ثم استطرد :

— ولقد ذكرت شيئًا عن كبير الخبراء فى هذا المكان .

غمغم الدكتور (حجازى) :

— أتقصد الدكتور (عزيز) ؟

أجابه (نور) فى هدوء :

— نعم .. لو أنه يحمل الصفة السابقة .

تنهّد الدكتور (حجازى) فى توتُّر ، وقال :

— حسنًا يا (نور) .. سنذهب معًا إلى (عزيز) ، فقد نجد لديه تفسيرًا لما يحدث .

حاول أن يبتسم ، إلّا أنَّ ابتسامته جاءت أشبه بالبكاء ، وهو يستطرد :

— أو مزيدًا من الغموض .

* * *

كان الدكتور (عزيز) هذا يقطن فيلَّا عتيقة على مشارف مدينة (القاهرة) القديمة ، تحيط بها عدة منازل غير مأهولة ، صدر قرار بإزالتها منذ عشر سنوات تقريبًا ، مما منح المنطقة مظهرًا كئيبًا ، أشبه بمقبرة قديمة مهجورة ، جعلت الدكتور (حجازى) يغمغم فى توتُّر :

— لقد أصبحت تلك الأماكن تُورثنى شعورًا بالرُّهبة والخوف .

تمتم (نور) :

— لماذا ؟!.. لقد هاجمنا الرُّعب فى منــــزلى، وتحت الأضواء .

أجابه الدكتور (حجازى) ، وهو يتلفَّت حوله فى قلق :

— هذا صحيح ، ولكن المكان هنا يُوحِى بعشرات الخيالات .

ابتسم (نور) ابتسامة باهتة ، وقال وهو يضغط زِرَّ جرس باب الفيلَّا :

— وماذا تتوقَّع أن تجد هنا ؟.. هيكلًا عظميًا ؟

هتف الدكتور (حجازى) معترضًا :

— ليس إلى هذا الحدّ .. أتظنّنى ......؟

انقطعت عبارته بغتة ، وغَصَّ حلقه بباقى حروفها ، وتراجع مع (نور) فى حِدّة ، فالذى فتح لهما باب الفيلَّا لم يكن بشريًّا ..

كان هيكلًا عظميًا ..

* * *



٧ ــ الضحيَّة ..

انعقد حاجبا المشرف على جهاز الغسيل الكُلوِىّ ، وهو يتابع تلك النتائج ، التى تراصَّت أمامه على شاشة الكمبيوتر ، قبل أن يغمغم فى حزم :

ــ مستحيل !

تطلَّعت إليه (سلوى) فى جَزَع ، وهتفت :

ــ لماذا ؟.. لماذا مستحيل ؟!

أجابها فى لهجة لاتحتمل النقاش :

ــ دم ابنتك عجيب ياسيِّدتى .. إنه يحمل تأيُّنا كهربيًّا عنيفًا ، حتى أنه ليدهشنى كيف أنه لم يصعقها حتى الآن .

هتفت فى ذُهول :

ــ ولكن هذا مستحيل !!.. ما من بشرىّ يمكنه أن يحيا ، وهو يحمل مثل هذا الدم فى عروقه .

تطلَّع إليها فى هدوء ، وهو يقول :

ــ لهذا تفسير واضح ياسيِّدتى ، يبدو لى منطقيًّا ، ومُتَّفِقًا مع كل ما سمعته من أنباء عن ابنتك .

سألته فى لهفة :

ــ ماهو ؟

عقد حاجبيه ، وهو يقول فى حزم :

ــ هو أن ابنتك ليست بشرية ياسيِّدتى .

اتسعت عيناها فى ذُعر ، ولكنها لم تنبس ببنتِ شَفَة ، فقد بدا لها تفسيره ، على الرغم من غرابته ، منطقيًّا .. منطقيًّا تمامًا ..

* * *

اتسعت عينا الدكتور (حجازى) فى رُعب وذُهول ، وهو يحدِّق فى تلك الجمجمة البشريَّة ، التى تطلّ من خلف الباب ، على حين هتف (نور) فى عصبيَّة :

ــ أى فعل شيطانىّ هذا ؟

انطلق من خلف الباب صوت يهتف فى استنكار :

ــ شيطانىّ ؟!

ثم اختفت الجمجمة خلف الباب ، وأطلَّ بدلًا منها وجه متغضِّن ، لعجوز تجاوز الثمانين على الأقل ، راح يتطلَّع إلى الوجهين الشاحبين أمامه ، قبل أن يُطلق ضحكة عالية ، ويقول فى خُبث :



أخرج يده من خلف الباب ، وهى تحمل الجمجمة ، ثم عاد يُطلق ضحكة عالية ..

— ماذا أصابكما ؟.. تبدوان كأنكما قد رأيتما شبحًا .

عقد (نور) حاجبيه فى ضيق ، على حين قال الدكتور (حجازى) فى توتُر :

— ولكن ذلك الشىء .. أعنى هذه الجمجمة !!..

عقد العجوز حاجبيه ، وهو يغمغم فى دهشة :

— جمجمة ؟!

ثم لم يلبث حاجباه أن ارتفعا وهو يهتف :

— آه !!.. أتعنيان هذه ؟

أخرج يده من خلف الباب ، وهى تحمل الجمجمة ، ثم عاد يُطلق ضحكة عالية ، ويقول :

— إننى لم أنتبه لذلك .. إنها جمجمة أثرية ، تعود إلى القرن التاسع قبل الميلاد ، لرجل يشاع أنه أبرع سحرة عصره ، و .....

بتر عبارته بغتة ، ليشير إلى الدكتور (حجازى) ، قائلًا :

— قُل لى : ألست الدكتور (محمد حجازى) ، كبير الأطباء الشرعيين ؟

غمغم الدكتور (حجازى) :

— هو أنا .

تهلّلت أسارير العجوز ، وهو يهتف :

ــ كيف حالك يا فتى ؟.. أراهن أنك لا تذكر متى التقينا .. لقد كان ذلك فى القرن الماضى .. نعم .. فى القرن العشرين .. عندما كنت أنت معيدًا صغيرًا ، فى قسم الطبّ الشرعىّ بكلية طب (بنها) .. قُلْ : أما زال والدك يصلح الساعات بنفس المهارة ؟.. أما زال شقيقك (علاء) يصاب بتلك الحساسيّة ؟!

ابتسم الدكتور (حجازى) ، وهو يقول :

ــ إننى أذكرك بالطبع يا دكتور (عزيز) ، فأنت أستاذى فى علوم ما فوق الطبيعيّات ، و .....

قاطعه العجوز فى حماس :

ــ ادخل أوّلًا يا ولدى .. ادخل مع صديقك ، وسنناقش كل شىء فى الداخل .

أفسح لهما الطريق ، وتركهما يَدْلِفان إلى الداخل ، والدكتور (حجازى) يقدّم له (نور) ، قائلًا :

ــ أقدّم لك الرائد (نور الدين) ، من المخابرات العلمية المصرية .

التمعت عينا العجوز ، وبدا فيهما بريق ذكاء حادّ ، وهو يتطلّع إلى (نور) ، قائلًا :

ــ المخابرات العلمية ؟!.. يا لها من أسماء !!.. فى أيّامنا لم تكن هناك مخابرات علمية .. كانت هناك فقط مخابرات حربيّة ، ومخابرات عامّة ، وكان ذكر اسميهما ــ حينذاك ــ يثير خيال الشباب وحماسهم ، وأذكر أننى كنت أطالع فى شبابى سلسلة عن أعمال المخابرات ، كانوا يطلقون عليها اسم رجل الـ .....

قاطعه (نور) فى حزم :

ــ سيّدى .. إننا نحتاج إلى مشورتك .

ابتسم العجوز فى سُخرية ، مغمغمًا :

ــ فى المخابرات العلمية ؟!

عقد (نور) حاجبيه ، وهو يقول :

ــ كلّا .. إننى أحتاج إلى استشارتك بصفة شخصيّة .

رفع العجوز حاجبيه ، وهو يهتف :

ــ آه !!.. هذا أفضل .

وبدا اهتمام حقيقىّ فى وجهه ، وهو يستطرد :

ــ ماذا تريد بالضبط يا ولدى ؟

أخرج (نور) من جيبه تلك الرسالة ، التى تركها له جدّه ، والتى أرشدته إليها روحه ، فى رؤيا غامضة ، وقال :

ـــ أريد تفسيرًا لهذا .

تناول العجوز الورقة فى بساطة ، وهو يقول :

ـــ أهو رمز ما ؟

هزَّ (نور) رأسه مغمغمًا :

ـــ لست أدرى .

فضَّ العجوز الورقة ، وتطلَّع إلى رسم القرص المنقوش ، ثم انعقد حاجباه فى شِدَّة ، وامتقع وجهه على نحو ملحوظ ، وهو يغمغم :

ـــ يا إلهى !!.. رحماك يا ربى !!

اتسعت عينا (نور) ، وتبادلت نظرة عنيفة مع الدكتور (حجازى) ، قبل أن يسأل العجوز فى حِدَّة :

ـــ ما الذى يعنيه هذا الرَّمز يا سيِّدى ؟

بدا العجوز شديد الشُّحُوب ، وهو يرفع عينيه إليهما ، وتردَّدت الكلمات على شفتيه لحظات ، قبل أن يتمتم بحروف مرتجفة :

ـــ هذا النقش ليس رمزًا يا ولدى .. إنه كلمة .. كلمة بحروف مجهولة ، لن تجدها فى أيَّة قواميس ، أو حتى مراجع اللغات القديمة .. كلمة لا ينجح فى نطقها إلاَّ الأشرار والتُّعساء ..

سأله (نور) فى لهفة :

ـــ وما الذى تعنيه هذه الكلمة ؟

تضاعف شُحُوبه ، حتى بدا أشبه بجثة تمشى على قدمَيْن ، وهو يغمغم :

ـــ إنها تعنيه هو .

هتف (نور) فى دهشة :

ـــ هو ؟!

أجابه العجوز فى شُحُوب رهيب :

ـــ نعم .. هو .. الشيطان .. الشيطان نفسه .

* * *



٨ ــ المعرفة ..

نستطيع أن نقول بكل ثقة ، وبلا أدنى مجاملة ، إن صمتًا تامًا قد خيَّم على حجرة مكتب الدكتور (عزيز) لخمس دقائق كاملة ، قبل أن يغمغم (نور) فى حِدَّة :

ــ الشيطان ؟!.. لا ريب أنك تمزح .

هاله شحوب العجوز ، وهو يغمغم فى خوف واضح :

ــ أمزح ؟!.. وهل يمزح المرء فى مثل هذه الأمور يا ولدى ؟

كانت عينا (نور) تحملان كل الحَيْرة والشَّكّ والقلق ، والرَّغبة فى عدم تصديق ما يسمعه ، أو يراه ، وهو يجلس فى بطء على مقعد قريب ، مردِّدًا :

ــ ولكن هذا مستحيل !!

تطلَّع إليه الدكتور (حجازى) فى شُحُوب ، ثم جلس إلى جواره صامتًا ، فى حين غمغم الدكتور (عزيز) فى توتُّر :

ــ لماذا يا ولدى ؟.. لماذا مستحيل ؟!

حار (نور) لحظات فى البحث عن الجواب ، ثم غمغم فى لهجة تائه :

ــ لأن الشيطان لن يتفرَّغ لمهاجمتى وحْدِى ، وإلَّا خلا العالم من شروره ، التى اقتصرت علىَّ وحْدِى ..

مطَّ الدكتور (عزيز) شفتيه ، وهزَّ رأسه فى بطء ، وهو يغمغم :

ــ يبدو أنك لم تستوعب الأمر جيِّدًا يا ولدى .

ثم مال بوجهه المتغضِّن نحوه ، مستطردًا فى كلمات ارتجفت حروفها :

ــ هذه الكلمة تعْنِى الشيطان حقًّا ، ولكن هذا لا يَعْنِى أن الذى يهاجمك هو الشيطان نفسه .

ازدرد لُعابه فى صوت مسموع ، ثم أرْدَف فى خوف :

ــ إنه ابنه .. (ابن الشيطان) .

ردَّد (نور) فى ذُهُول :

ــ ابن الشيطان ؟!

أومأ الدكتور (عزيز) برأسه إيجابًا ، وأعاد جسده إلى الخلف ، وأمسك ركبتيه البارزتين بكفَّيه ، قبل أن ينهض وسط بحر من الصمت ، ويتجه إلى مكتبته الضخمة ، المكتظة بالكتب ،

ويلتقط منها كتابًا قديمًا ، اصفرَّت أوراقه من فرط قِدَمِه ، وراح يقلِّب صفحاته فى سرعة ، حتى توقَّف عند صفحة فى منتصفه ، والتقط منظاره الطِّبِّىّ ، ووضعه على عينيه ، وراح يقرأ فى توتُّر :

ــ قديمًا ، وعندما كان العالم كله غارقًا فى ظلام الجهل ، هبط الشيطان إلى الأرض ، وراقت له واحدة من بنات البشر ، فتشكلَّ فى صورة برَّاقة ، وراقَ لها فى هيئته البشريَّة ، فتزوَّجته ، وأنجبت منه ابنًا ، هو نصف بشرىّ ، ونصف شيطان ، وهو خالد أبد الدهر ، لايموت ولا .....

قاطعه (نور) فى حِدَّة :

ــ ما من مخلوق خالد يا سيِّدى .. الله (سبحانه وتعالى) وحده الحىّ ، الذى لايموت .

تنهَّد الدكتور (عزيز) ، وغمغم :

ــ لا يا ولدى .. لاتناقش هذه الأمور فى تعصُّب أو عناد ، بل لابُدَّ أن تناقشها بحياديَّة تامَّة ومنطق متعادل .

وعاد يميل نحوه ، مستطردًا فى حزم :

ــ هل سيبقَى الشيطان إلى يوم القيامة أم لا ؟

غمغم (نور) فى توتُّر :

ــ سيبقَى .

اعتدل الدكتور (عزيز) ، وقال فى حزم :

ــ ما الذى يمنع بقاء ابنه إذن ، ما دام هذا لا يَعْنى الخلود ؟

تمتم (نور) :

ــ سيِّدى .. إنك تهدم معتقدات نشأت معى ، و .....

لوَّح الدكتور (عزيز) بذراعه فى حِدَّة ، هاتفًا :

ــ هذا لا يَعْنى شيئًا ، فقد ينشأ المرء على معتقدات خاطئة ، يَرْضَعُها مع لبن أمه ، ويتنفَّسها مع نموِّه ، وتحفر خطوطها على جبينه ، وفى عينيه ، ولكن هذا لا يَعْنى أن يتشبَّث بها ، وأن يرفض مناقشتها .

خفض (نور) عينيه ، وهو يغمغم :

ــ أنت على حق يا سيِّدى .

عاد الرجل يقول فى حزم شديد :

ــ كم يبلغ عمر السُّلَحْفاة ؟.. وكم يبلغ عمر ذباب المستنقعات ؟.. ومتى يأتى يوم القيامة ؟.. أجب عن هذه الأسئلة الثلاثة ، تستوعب منطق خلود (ابن الشيطان) فى سلاسة .

كان ذكاء (نور) قادرًا على إدراك مغزى الأسئلة ، فغمغم فى استسلام :

— لقد فهمت يا دكتور (عزيز) .. فالسُّلَحفاة يتجاوز عمرها المائتى عام ، بالنسبة لبعض أنواعها ، على حين يُولد ذباب المستنقعات ، وينمو ، ويموت ، فيما لا يتجاوز اليومين ، وهذا يَعْنى أن السلحفاة قد تبدو بالنسبة لذبابة المستنقعات خالدة ، فى حين أنها ، على الرغم من طول عمرها فانية ، وما دام أحد لا يعلم متى تقوم القيامة ، فهذا يَعْنى أنها قد تحدث الآن ، والخلود يَعْنى أن يحيا المخلوق حتى تقوم القيامة .. أقصد أن هذا مفهومنا نحن .. يا إلٰهى !!.. لقد أدركت ما تقصده يا دكتور (عزيز) ..

تطلَّع إليه الدكتور (حجازى) فى دهشة ، وهتف :

— صدِّقنى يا (نور) .. إننى أتساءل : كيف أمكنك فهم كل هذا بهذه السرعة ؟

ابتسم الدكتور (عزيز) ، وتراجع فى مقعده ، متمتمًا :

— من الواضح أنه عبقرىّ .. إنه يذكِّرنى بصديق قديم (رحمه الله) كانت له موقعة مُبهرة مع (ابن الشيطان) ، و .....

بتر عبارته بغتة ، واتسعت عيناه فى شِدَّة ، ثم مال نحو (نور) فى حِدَّة مفاجئة ، وأمسك كتفيه فى قوَّة ، وهو يهتف:

— يا إلٰهى !!.. لقد أدركت الآن يا ولدى .. لقد أدركت لماذا يقاتلك ذلك البشع .. لقد أدركت سرَّ القتال ..

* * *

اشتعل لهيب الجحيم كله فى عينى الشيطان الصغير ، وهبَّ واقفًا فى غضب ، على نحو جعل (صفوت) يرتجف ، ويلتصق بالحائط ، هاتفًا فى رُعْب :

— ماذا حدث ؟.. ماذا حدث يا سيِّدى ؟

هتف (ابن الشيطان) فى صوت قوىّ ، ارتجفت له جدران منزل (صفوت) ، وهو يقول فى غضب :

— حفيد (أوزيريس) .. آخر أعدائى على وجه الأرض .. لقد علم الآن فقط أنه يواجهنى أنا .

تمتم (صفوت) فى دهشة ، وتوتُّر :

— علم ؟!.. ألم يكن يعلم ؟

اتَّقدت عينا (ابن الشيطان) ، وهو يقول :

— كان سيعلم فى الوقت المناسب .

تردَّد (صفوت) طويلًا ، ثم غمغم :

— لِمَ لا تتركنى أقتله يا سيِّدى ، وننهى هذا الصراع ؟

هوَت كل خليّة من خلاياه رعبًا، عندما هتف الشيطان الابن، فى غضب رهيب:

ـ تقتله ؟!.. أكنت تظننى عاجزًا عن أن أفعل، منذ اللحظة الأولى؟. قتل حفيد (أوزيريس) هذا لن يقتضى منّى أكثر من ساعة واحدة، ولو أنك تظن أننى أحتاج إلى بشرىّ ليفعل ذلك، فأنت أحمق واهم.. إنك هنا لمهمّة واحدة.. مهمّة واحدة فقط.

غمغم (صفوت) فى توتُّر:

ـ مهمّة واحدة.. ما هى يا سيّدى ؟

أجابه فى صرامة:

ـ ستعرفها فى حينها.

كانت لهجته مخيفة، حتى أن (صفوت) لم يجرؤ على تكرار سؤاله، وانكمش فى مكانه، فى حين ابتسم سيّده ابتسامته الشيطانية، وعاد يقول:

ـ لا ريْبَ أنك تتساءل عن السرّ، فى أننى لم ألجأ إلى قتل حفيد (أوزيريس) هذا مباشرة.. أليس كذلك ؟

أومأ (صفوت) برأسه إيجابًا، دون أن ينبس ببِنتِ شفَة، فاتسعت ابتسامة الشيطان الصغير، وبدت لمساعده البشرىّ مُرعِبَة، وهو يقول:

ـ لأن قومى أيضًا لهم تاريخ.. وتاريخهم هذا يمتلئ بسجلّات لهزائم وانتصارات بنى جنسنا على بنى جنسكم، ولقد كان من نصيبى، فى المائة عام السابقة، هزيمة نكراء، على يد جَدّ ذلك الرائد، وهذا يجعلنى لا أجرؤ على رفع عينىّ فى عينى الجميع، عندما أعود إلى موطنى الأصلىّ، وأستعيد هيئة أجدادى.

ارتجف (صفوت)، بمجرّد تصوُّر هذا الواقف أمامه، وهو فى هيئته الشيطانية، وراح يتطلّع إليه فى خوف، وهو يسمعه يستطرد:

ـ لذا فأنا أرغب فى تكبيد هذا الرائد هزيمة منكرة، تكون فخرًا لى، ولقومى كلهم.. وهذا ما ينبغى أن يسعى إليه أمير للجحيم مثلى.

وفجأة، عادت لهجته إلى صرامتها، وهو يهتف:

ـ هزيمة نَكْرَاء..

انتفض جسد (صفوت) كله رُعبًا، وانكمش فى مكانه تمامًا، حتى لقد بدا وكأن جسده قد تضاءل، وتحوّل إلى قزم صغير، فى حين أشاح الشيطان الابن بوجهه عنه، وهو يقول فى صرامة:


ارتجف (صفوت) ، لمجرّد تصوُّر هذا الواقف أمامه ، وهو فى هيئته الشيطانية ، وراح يتطلّع إليه فى خوف ..

ـ والآن اصمت تمامًا ، ودَعْنى أستمع إلى ما يدور بين خصمى اللّدود ، وبين ذلك العجوز السخيف ، الذى يعلم عنّى كل شىء .

وارتسمت على شفتيه ابتسامة ساخـرة ، لم يرهـا (صفوت) ، وهو يستطرد :

ـ كل شىء .. تقريبًا .

ثم أطلق ضحكة شيطانية ساخرة ..

ضحكة من أعمق أعماق الجحيم ..

* * *

« أنت تحمل دم (أوزيريس) » ..

نطق الدكتور (عزيز) بهذه العبارة فى لهجة إقرارية حادّة ، سَرَت لها قُشَعْرِيرَة غامضة فى جسد (نور) ، قبل أن يغمغم فى دهشة :

ـ دم (أوزيريس) ؟!

أجابه العجوز فى حزم :

ـ نعم .. دم (أوزيريس) .. لقد تذكَّرت الآن من أنت .. لقد كان جدُّك هو ذلك الصديق ، الذى تحدَّثت عنه منذ لحظات .. هو أيضًا كان يحمل فى عروقه دم (أوزيريس)،

ولقد اشتبك مع (ابن الشيطان) هذا فى معركة حامية الوطيس ، كان له فيها النصر ، ولقد قضى على ذلك اللّعين بوسيلة ما ، وأجبره على العَوْدة إلى الجحيم عدّة أعوام لا حصر لها .

هتف (نور) فى لهفة :

ــ كيف هزمه جَدّى ؟!.. وكيف عاد هو إلى الأرض ؟

هزَّ الرجل رأسه فى أسف ، وغمغم :

ــ لست أدرى كيف هزمه جَدّك ، فلقد فعل ذلك وحده ، وأُصيبَ بعدها بصدمة شديدة ، جعلته يلزم فراشه طويلًا ، وعندما التقيت به ، قبل أن يلفظ أنفاسه الأخيرة ، أشار إلى قرص معدنىّ ، كان يحمل نفس هذه النقوش ، وقال كلمة واحدة : « دَمِّره » ، ثم هُرِع إلى لقاء ربّه .

سالت دمعة حزينة من عينيه ، تشفُّ عن مدى ما تحمله له تلك الذكرى من ألم ، قبل أن يستطرد :

ــ وهكذا بقيت نقطة ضعف (ابن الشيطان) سرًّا غامضًا .

هتف (نور) :

ــ كيف عاد إذن ؟

مطَّ العجوز شفتيه فى أسف ، وقال :

ــ ذلك القرص المنقوش ، الذى تركه لى جدُّك ، هو الوسيلة الوحيدة لإعادة (ابن الشيطان) إلى الأرض ، فمن الضرورىّ أن يمسك به شخص ما ، ويقرأ النقوش المرسومة عليه .. والتى تعنى اسم الشيطان .. فإذا ما فعل شخص ذلك ، يعود هو إلى الأرض .

صاح الدكتور (حجازى) :

ــ لِمَ لَمْ تدمِّر ذلك القرص إذن ؟

هتف العجوز فى حَنَق :

ــ لقد حاولت .

وعاد صوته ينخفض ، وهو يقول فى مرارة :

ــ صدِّقنى .. لقد حاولت .. استخدمت كل الوسائل المعروفة ، فى ذلك الحين ، وضعته فى أفران حرارية رهيبة ، تبلغ درجة حرارتها ما يربُو على عشرة آلاف درجة مئوية ، وحاولت إذابته فى مزيج من أقْوى الأحماض المعروفة على وجه الأرض .. سحقته بضغْطٍ رهيب ، يفُوق مائتى ضعف للضغط الجوىّ ، لكن بلا فائدة ..

سأله الدكتور (حجازى) فى خوف :

ــ أتعْنِى أنه ما من وسيلة لتدميره ؟

هزّ رأسه نفيًا ، مغمغمًا :

ــ بحسب علمى ، لا توجد وسيلة معروفة .

ثم استدرك فى انفعال :

ــ ولكننى دفنته بعيدًا .. فى أعمق أعماق الصحراء ، فى موقع مجهول ، لم أحاول أنا نفسى تحديده ، وأقسم إننى قد نسيته تمامًا .

غمغم (نور) فى سُخط :

ــ لقد استعاده أحدهم حتمًا .

هتف العجوز فى ألم :

ــ بالتأكيد .. هذه هى الوسيلة الوحيدة ، لعودة (ابن الشيطان) إلى الأرض .

تنهّد (نور) فى توتُّر ، وقال فى عصبيّة واضحة :

ــ إذن فقد علمت أخيرًا من هو عدوّى .. ولكننى ما زلت أجهل كيف يمكننى القضاء عليه .. أو ما الذى فعله بابنتى !!

انتفض الدكتور (عزيز) فى مقعده ، وكأنما أصابه مسٌّ من الشيطان ، وهتف وهو يمسك كتف (نور) فى قوّة :

ــ ابنتك ؟!.. ما الذى فعله بها ؟

أجابه (نور) ، وقد أدهشه انفعاله المبالغ فيه :

ــ لست أدرى يا سيّدى .. لقد كانت ترقد فى المستشفى ، مصابة ببعض الرضوض ، وبكسر فى أحد أضلاعها ، ثم انتابتها فجأة ثورة جُنُونية ، و .....

قاطعه الدكتور (عزيز) فى توتُّر بالغ :

ــ وتضاعفت قوّتها فى شِدّة ، وباتت أشبه بشيطان .

هتف (نور) فى توتُّر :

ــ نعم .. هذا ما حدث بالفعل .. ما الذى يَعْنيه ؟ .. ما الذى يَعْنيه يا رجل ؟

تراجع الدكتور (عزيز) شاحبًا ، وهتف فى مرارة :

ــ يَعْنى أن ابنتك قد أصبحت تحمل فى عروقها دمًا غير بشرىّ أيها الرائد .. إنها تحمل دمًا شيطانيًا ..

* * *

٩ ـ ابنتك يا (نور) ..

مسحت (سلوى) دمعة ، ترقرقت على وجنتها ، وهى تتطلَّع إلى ابنتها ، الراقدة على سريرها ، فى حجرة العناية المركَّزة ، غائبة عن الوَعْى ، وغمغمت فى حزن ، تسأل رئيس أقسام الطوارئ :

ـ أما من وسيلة ؟.. هل ستتخلَّى عنها هكذا ؟

قلَّب الرجل كفَّيْه فى حَيْرة ، وغمغم فى يأس :

ـ كم يؤسفنى ويحزننى أن أجد نفسى عاجزًا هكذا يا سيِّدتى ، وأنا أواجه ما أجهله ، وما لم يَرِد ذكره فى كل كتب ومراجع الطب .. إننى أقدِّر الآن حَيْرة (ألكسندر فلمنج) أمام تقيُّح الجروح فى عصره(*)، وأُشفق على أطباء

(*) سير (ألكسندر فلمنج) : (١٨٨١ ـ ١٩٥٥م) ، بكتريولوجى إسكتلندى ، لاحظ عام (١٩٢٨م) أن عفنًا قد لوَّث مزارعه البكتريولوجية ، فأباد الجراثيم داخلها ، وأطلق عليه اسم (البنسلين) ، واقتسم مع آخرين جائزة (نوبل) ، بسبب أبحاثه عن (البنسلين) ، عام ١٩٤٥م .

القرن العشرين ، الذين وقفوا عاجزين ، أمام وباء (الإيدز) ، قبل أن يجدوا علاجه .. صدِّقينى .. إننى أشعر بآلام لا وصف لها .

هتفت فى مرارة :

ـ لن تفوق آلامى .. إنها ابنتى .

ربَّت على كتفها مشفقًا ، ومغمغمًا :

ـ إننى أقدِّر ذلك .

وفجأة ، تراجع هاتفًا فى توتُّر .

ـ يا إلهى !.. لقد عاد رسَّام المخ يمنحنا تلك الإشارة المخيفة .

هتفت فى ذُعْر ، وقد تعلَّقت عيناها برسَّام المخ :

ـ يا إلهى !!

كان الجهاز الإليكترونى يبدو كما لو أصابه مسٌّ من الجنون ، وهو يرسم تلك الخطوط المتعرِّجة الحادَّة ، فى سُرْعة ضخمة ..

وفجأة ، نهضت (نشوى) ..

تمامًا كالمرَّة السابقة ، نهضت كآلة تبدأ عملها ، بعد طول توقُّف ..

وتمامًا كالمرَّة السابقة أيضًا ، انتزعت الأنابيب العلاجيَّة من جسدها ، وغادرت فراشها فى بطء ، ثم اتجهت نحو الباب ، الذى تم تغيير بابه الزجاجىّ السميك .

وهتف رئيس الأقسام :

ــ ابتعدوا .. ابتعدوا عن طريقهـــا .. لا تعتـــرضوا مسارها .

صرخت (سلوى) فى ذُعر :

ــ ولكن الباب الزجاجىّ .. لو أنها حطمته بقبضتها ، فستصاب بجروح كالسابق .

هتف رئيس الأقسام :

ــ إنه مفتوح .

وبالفعل دفعت (نشوى) الباب ، فانفتح فى هدوء ، وغادرت الحجرة فى خطوات حازمة ، متجهة نحو مخرج القسم ، فهتفت (سلوى) :

ــ أوقفوها .. أرجوكم أوقفوها .

صاح رئيس الأقسام :

ــ لن يجرؤ أحد على ذلك يا سيِّدتى ، بعد أن رأوا ما أصاب زميلهم ، الذى حاول ذلك مسبقًا .

هتفت فى حِدَّة :

ــ سأفعل أنا إذن .

واندفعت نحو ابنتها ، فى محاولة لإيقافها ..

ولكن فجأة ، انقضت صاعقة الرُّعب ..

لقد هبَّت عاصفة ساخنة مخيفة ، داخل ممرّ المستشفى .. عاصفة كلَفْح اللهب ، أطاحت بالجميع إلى الجدران ..

وصرخ رئيس الأقسام فى رُعْب :

ــ يا إلهى .. ما الذى يحدث هنا ؟

وتعالت صرخات الجميع فى رُعب وفَزَع ، واتسعت عينا (سلوى) فى هَلَع ، وهى تهتف :

ــ ربَّاه !!.. ما هذا ؟!

كانت ابنتها الوحيدة ، التى لم يُطِحْ بها الإعصار ..

وحدها كانت تسير فى هدوء ، نحو الحائط ..

وأمام عيون الجميع المذهولة ، انشق الحائط نصفين ..

ومن خلفه بدا مشهد عجيب ..

حجرة مكتب قديمة ، خالية من الأثاث تقريبًا ، فيما عدا إطارًا صغيرًا ، يزيِّن الجدار المواجه ..

وإلى جوار اللوحة وقف رجل متَّشح بالسَّواد ..



وحدها كانت تسير فى هدوء ، نحو الحائط ..
وأمام عيون الجميع المذهولة ، انشق الحائط نصفين ..

بل شابّ يرتدى حُلّة سهرة سوداء أنيقة ، ورباط عنق فَرَاشِيًا صغيرًا ..

وكان هذا الشاب وسيمًا ، جميل الطلعة إلى أقصى حدّ .. ولكن مرآه ألقى الرُّعب فى قلوب الجميع ..

صحيح أنه كان يقف هادئًا ، يعقد ساعديه أمام صدره .. وأنه كان يبتسم ..

ولكن عينيه كانتا تبعثان الرُّعب فى القلوب ..

كانتا متقدتين كاللهب ..

وفى هدوء ، اجتازت (نشوى) ذلك الشقّ فى الجدار .. وصرخت (سلوى) فى رُعْب هائل :

ــ كلّا يا (نشوى) .. كلّا ..

ولكن ذلك الأشقر الوسيم المخيف ، قال فى لهجة آمرة ، وصوّت قوىّ مخيف :

ــ تعالَىْ .

وأطاعت (نشوى) ..

وعَبَرَت الشقّ ..

وفى بطء ، راح الشقّ يلتحم ، و (سلوى) تصرخ :

ــ لا يا (نشوى) .. عُودِى .. عُودِى .

ثم التحم الشقّ ..

وهدأت العاصفة ..

لقد انتهى كل شىء ..

ضاعت (نشوى) ..

ضاعت إلى الأبد ..

* * *

اتسعت عينا (نور) ذُعرًا ، وهو يتطلّع إلى الدكتور (عزيز) ، هاتفًا :

ــ ما الذى تَعنِيه يا سيِّدى ؟.. ما الذى تَعنِيه بأن ابنتى تحمل فى عروقها دمًا شيطانيًّا ؟

هتف الدكتور (عزيز) فى مرارة :

ــ إننى أعنى كل حرف نطقت به يا ولدى .. أعنيه قولًا وفعلًا... إن ما أصاب ابنتك هو أحد أساليب الشيطان الابن ، للسيطرة على ضحاياه .. إنه يدفع فى عروقهم بعضًا من دمائه ، فيتحوَّلون بها إلى أتباع له ، ويفقدون كل سيطرة على أنفسهم تقريبًا .

غمغم (نور) فى ارتياع :

ــ يا إلٰهى !!

ثم عاوده عناده ، فهتف :

ــ ولكن من قال إن جسد الشيطان يحوَى دمًا كأجسادنا ؟

أجابه العجوز فى ضيق :

ــ لا تحوِّر كلماتى يا ولدى ، ولا تكابر أو تعاند ، فالوسيلة الوحيدة لمقالة خصمك هذا ، هى أن تكون واقعيًّا ومنطقيًّا ، وإلّا فإنه سيهزمك حتمًا .. لا أحد يعلم كيف يبدو الشيطان نفسه ، سوى خالقه (عزَّ وجلَّ) ، أما ابنه ، فنحن نعلم كيف يبدو ، فى هيئته الأرضية على الأقل ، ولا تنس أبدًا أنه نصف بشرىّ ، وأنه يملك بعضًا من صفات البشر ، إلى جوار صفاته الشيطانية ، وهذا يَعْنِى أن له دمًا ، ولكنه ليس دمًا بشريًّا خالصًا ، بل دمًا يحمل نصف سِمات الشياطين .

انهار (نور) معنويًّا ، وهو يهتف :

ــ وكيف ؟.. كيف يُمكن انتزاع هذا الدم من جسدها ؟

تنهَّد العجوز ، وغمغم فى حسم :

ــ لدىَّ الوسيلة .

هبَّ (نور) من مقعده ، وعاد الأمل يخفق بين ضلوعه ، وهو يهتف :

— كيف ؟.. أخبرنى بالله عليك .

نهض العجوز من مقعده ، والتقط علبة معدنية من مكتبته ، نفض الغبار عنها فى بطء ، وهو يغمغم :

— هل قرأت أساطير مصّاصى الدماء القديمة ياولدى ؟

هتف (نور) فى توتُّر ، بعد أن تبادل نظرة دهشة مع الدكتور (حجازى) ، الذى اكتفى بالصمت طِيلة الوقت تقريبًا :

— بالطبع ياسيِّدى .. ولقد كانت لنا موقعة مع مصّاص دماء مزيَّف فيما مضى(*) ، ولكن ما علاقة ذلك بـ.....

قاطعه العجوز فى هدوء ، وكأنما لا يَعْنِيه كثيرًا أن يستمع إلى تعقيبه :

— فى تلك الأساطير توجد وسائل خاصّة ، لمواجهة ومقاومة مصّاصى الدماء ، كالشمس والماء الجارى ، والثوم ، ولقد أضاف بعض المتديِّنين المسيحيين، مثل (برام ستوكر)، مؤلف أوَّل قصة عن مصّاصى الدماء، إلى تلك الوسائل الماء المقدَّس .

(*) راجع قصة (ليلة الرُّعب) .. المغامرة رقم (٢٢) .

عقد (نور) حاجبيه ، وهو يقول فى توتُّر :

— سيِّدى .. إننى لم أدرك بعد علاقة هذا بـ.....

مرَّة أخرى قاطعه العجوز ، وهو يلتقط من علبته المعدنية شيئًا ما :

— لقد أثبتت دراساتى ، وأبحاثى أن كل هذا مجرَّد وَهْمٌ .. فلا وجود لما يسمى بمصّاصى الدماء ، وهذا يَعْنِى أن كل ما ذُكر عنهم ، بما فى ذلك وسائل القضاء عليهم ، مجرَّد هُرَاء ، ولست أعْنِى هنا مَرْضَى (البروفيريا) ، الذين يبدون أشبه بمصّاصى الدماء بالفعل(*) ، وإنما أعْنِى مصّاصى الدماء الذين وردوا فى الأساطير ، و .....

فى هذه المرَّة قاطعه (نور) ، صائحًا :

— سيِّدى .. ما علاقة هذا بما نحن بصدده ؟.

(*) البروفيريا : مرض شديد الندرة ، ينشأ من نقص البروفيرين) فى تكوين الدم ، ويصبح المصاب به شاحبًا ، بارز الأنياب ، شديد الحساسية للشمس ، ويشعر بالارتياح إذا ما أضاف إلى معدته بعض الدماء ، ويقال إن مرضى (البروفيريا) هم السبب فى ظهور أسطورة مصّاصى الدماء .

فتح الدكتور (عزيز) يده ، فظهرت فيها قنينة صغيرة ، أشار إليها ، قائلًا :

ـــ لست أدرى ما علمية الأمر يا ولدى ، ولكن هذه المياه ، التى تخرج من بئر (زمزم) فى (مكة) ، هى الوسيلة الوحيدة ، للقضاء على دماء (ابن الشيطان) ، فى أجساد ضحاياه .

اختطف (نور) القنينة ، وهو يهتف فى لهفة :

ـــ شكرًا يا سيِّدى .. سأحقنها على الفور بتلك المياه .

غمغم الرجل فى شُحُوب :

ـــ المهم أن تفعل فى الوقت المناسب يا ولدى .

توقَّف (نور) ليسأله فى توتُّر :

ـــ ماذا تعنى يا سيِّدى ؟

سأله الرجل فى قلق :

ـــ قُل لى أوَّلًا : متى بدأت تلك النَّوبة مع ابنتك ؟

أجابه (نور) فى قلق متضاعف :

ـــ لقد أصابتها النَّوبة الأولى مساء أمس .

شَحُب وجه الدكتور (عزيز) ، وهو يقول :

ـــ هذا ما كنت أخشاه .. أسرع إذن يا ولدى ، فلو أنك لم تحقنها بتلك المياه ، قبيل الفجر ، فَسَيَعْنِى هذا أنك ستفقدها إلى الأبد .

هتف الدكتور (حجازى) فى ذُعْر :

ـــ ما الذى تعنيه يا سيِّدى ؟

التفت إليه الدكتور (عزيز) ، وهو يقول فى شُحُوب :

ـــ لو أشرقت الشمس على الضحيَّة ، التى تحمل دماء (ابن الشيطان) مرَّتين ، فسيَعْنِى هذا أن تتحوَّل إلى الأبد إلى نسخة منه .. إلى نصف شيطان .

هتف (نور) :

ـــ يا إلهى !!.. لن أسمح بذلك أبدًا يا سيِّدى .. لن أسمح به .

وقبض على القنينة بقوَّة ، واندفع نحو الباب ..

ولكن فجأة انفتح الباب فى عنف ، وبدا على عتبته مخلوق خرافىّ مخيف ..

مخلوق هو نصف بشرىّ ، ونصف نِمر ..

رأس بشرىّ وذراعاه وجذعه ، وجَسَدُهُ جَسَد نِمر ..

وزأر المخلوق الأسطورىّ فى قوَّة ، وهتف الدكتور (عزيز) ، وهو يتراجع مع الدكتور (حجازى) فى رُعب :

ـــ إنه أحد حيواناته ولا شكّ .. إن ذلك الشيطان الصغير لن يسمح لك بهزيمته .. لن يسمح بها أبدًا ..

* * *

١٠ ــ صنيعة الشيطان ..

كان المخلوق مخيفًا حقًّا ..

حتى وجهه شبه البشرىّ ، كان بشعًا ، يحوى عينين ناريّتين ، وأنيابًا حادّة بارزة ..

ولقد كان يتطلّع إلى (نور) ..

كان من الواضح أنه قد جاء من أجله ..

من أجله وحده ..

ولكن (نور) لم يشعر بالخوف ..

لقد أدرك مَنْ عدوُّه ..

وأدرك هدفه ..

ولن يسمح لـ (ابن الشيطان) بالانتصار عليه أبدًا ..

وفى حزم ، أشار (نور) بكفّه ، قائلًا لرفيقه :

ــ ابتعدا .. إنها معركة بينى وبينه .

صاح الدكتور (حجازى) فى رُعب :

ــ احترس يا (نور) .

أجابه (نور) فى حزم وصلابة :

ــ اطمئن يا سيِّدى .

وفى هدوء ، امتدَّت يد (نور) تلتقط خنجرًا أثريًّا خاصًّا ، من فوق مكتب الدكتور (عزيز) ، ثم وضع قنينة المياه الصغيرة فى جيبه بكل عناية ، ووقف يواجه ذلك المخلوق المخيف ..

وأدرك نصف النِّمر أن هذا البشرىّ يتحدّاه ، فزأر فى عناد ..

ثم انقضَّ ..

انقضَّ بنصفيه الآدمىّ والوحشىّ على خصمه ..

على (نور) ..

* * *

اندفعت (سلوى) نحو ذلك الجدار ، الذى اختفت خلفه ابنتها ، وراحت تدقُّه بقبضتيها فى هَلَع ، وهى تصرخ :

ــ (نشوى) .. أين أنت ؟.. أين أنت ؟

كانت تضرب الحائط ، وتصرخ ، وتتلفَّت حولها فى انهيار ..

كانت مصابة بانهيار عصبىّ عنيف ..

وكذلك رئيس الأقسام ومعاونوه ..

لقد وقف الجميع فى ذُهول ، يُحدِّقون فى الحائط نفسه ، قبل أن ينتزع رئيس الأقسام نفسه من ذُهُوله ، ويهتف :

ـــ أسرعوا .. فليفحص أحدكم قسم الجراحات ، خلف هذا الجدار ، ولتصدر أوامر بمنع الخروج من المستشفى ، تحت أيّة ظروف ، وليبلغ أحدكم القسم الهندسىّ ، ليرسلوا أبرع مهندسيهم ؛ لفحص ذلك الجدار .

ثم اندفع نحو (سلوى) ، هاتفًا :

ـــ كَفَى يا سيِّدتى .. كَفَى .

راحت تقاومه فى شراسة ، وهى تصرخ :

ـــ ابنتى .. أعيدوا إلىَّ ابنتى .

صاح فى حزم :

ـــ كَفَى .. إنك تحطِّمين أعصابك هكذا .

صرخت فى مزيد من الهياج :

ـــ أعيدوا إلىَّ ابنتى .

وهنا هَوَى على وجهها بصفعة قويَّة ، ارتجَّ لها رأسها ، وجعلتها تحدِّق فى وجهه بدهشة عارمة ، قبل أن تهتف غاضبة :

ـــ كيف تجرؤ ...... ؟

قاطعها فى حزمٍ :

ـــ لقد نجوت من انهيار عصبىّ ، وهذا ما يهمُّنى .

تطلَّعت إليه فى دهشة ، ثم نقَلت بصرها إلى الجدار ، وانفجرت باكية ، هاتفة :

ـــ أريد ابنتى .. أرجوكم .

ربَّت على كتفها ، مغمغمًا فى حَيْرة :

ـــ سنبذل أقصى جهدنا يا سيِّدتى لاستعادتها .. صدِّقينى .

تشبَّثت به ، وهى تهتف :

ـــ حاول أن تحضر زوجى إذن .. إنه الأمل الوحيد الآن .. الأمل الوحيد ..

* * *

كان (نور) يشبه تمامًا أبطال الأساطير ، وهو ينقضُّ على ذلك الحيوان الخرافىّ ، نصف الآدمىّ ، ونصف الوحشىّ ..

ولقد اختلطت صرخته القتاليَّة الصارمة ، بزئير ذلك المخلوق ، قبل أن يلتحما معًا فى مشهد مخيف ..

وراح المخلوق الوحشىّ يُطلق صرخات مخيفة ، وهو يحاول اقتناص عُنُق (نور) بأسنانه ، وتمزيق جسده بمخالبه ..

ولكن (نور) كان ثائرًا ..

كان غاضبًا حقًا ..

و (نور) مخلوق هادئ جدًا ، عندما يفكر ..

شديد العصبيَّة إزاء الغموض ..

شديد العنف والقسْوة عند الغضب ..

هكذا هو دوْمًا ..

خليط من المشاعر والصفات المتناقضة ..

وهكذا هو دوْمًا ..

عملاق عندما يثور ..

ولو أن هذا المخلوق الخرافىّ متوحش ، فـ(نور) فى هذه اللحظة كان يستحقّ لقب (قاهر الوحوش) ..

ربّما لأنه لم يكن يقاتل من أجل نفسه ..

بل من أجل ابنته ..

كان يعلم أن الأمل الوحيد ، لنجاة ابنته من مصيرها الأسْود ، هو أن يصل إليها ، وأن يحقنها بتلك المياه ، التى تحويها القارورة الصغيرة ، التى تستقر فى جيبه ، قبل الفجر ..

وفى إصرار وعناد شديدين ، دفع رأس المخلوق بساعده الأيسر ، ثم انثنى فى رشاقة مدهشة ، أكسبته إيَّاها تدريبات إدارة المخابرات العلمية الشاقة ، واعتلى ظهر غريمه ..

وبيده اليمنى ، التى تحمل الخنجر ، إنهال على عنق المخلوق الوحشىّ ..

وغاب الخنجر حتى مقبضه فى عنق المخلوق ، الذى أطلق صرخات ألم وغضب وحشيَّة ..

وارتفع خِنجر (نور) ، وهَوَى .. وهَوَى .. وهَوَى ..

ولدهشة الدكتور (حجازى) ، والدكتور (عزيز) ، راح المخلوق الوحشىّ ينزف دمًا أخضر اللون ..

دمًا شديد الكثافة ..

ثم أطلق خوارًا كالثور ، ودارت عيناه فى محجريهما ، وهَوَى ..

لقد انتصر ابن آدم ..

انتصر (نور) فى معركته مع نصف آدمىّ متوحّش ..

وبقيت معركته الكبرى ..

معركته مع (ابن الشيطان) ..

* * *

كان الذُّهول يملأ كل خلْجَة من خلَجات وَجه رئيس أقسام الطوارئ ، وهو يهتف :

ـــ مستحيل !! .. لقد رأينا جميعًا هذا المشهد الخرافىّ .. رأيناه بما لا يدع مجالًا للشك ، ولكن .....



واعتلى ظهر غريمه .. وبيده اليمنى ، التى تحمل الخنجر ، انهال على عنق المخلوق الوحشىّ ..

ارتجف قلب (سلوى) ، وهى تسأله :

ــ ولكن ماذا ؟

قلَّب كفَّيْه فى حَيْرة ، وهو يقول :

ــ ولكن كل الفحوص تؤكِّد أنه ما من شىء غير طبيعىّ .. أطباء قسم الجراحة كانوا يجرون إحدى عمليات اللِّيزر الميكروسكوبية عندما رأينا ذلك ، وهم يؤكدون أنه لم يحدث لديهم أى شىء غير طبيعىّ ، ورجال القسم الهندسى يؤكدون أن ذلك الجدار طبيعىّ تمامًا ، بل إنه من المستحيل أن يتشقَّق ، أيًا كان السبب ، نظرًا لطبيعة بنائه ، وأنه حتى لو حدث هذا ، فهو لن يلتحم بهذه الدِّقَّة قطُّ .

شحُب وجهها ، وامْتُقِعَ فى شِدَّة ، وهى تقول :

ــ ما الذى يَعْنيه هذا ؟

هزَّ كتفيه فى حَيْرة ، مغمغمًا :

ــ إنه لا يَعْنى أىّ تفسير علمىّ حتمًا .

وتردَّد لحظة ، قبل أن يستدرك :

ــ ولكنَّه .....

قالها وصمت ، وكأنما وجد أنه ليس من اللائق أن يتم عبارته ، فهتفت (سلوى) ، تستحثه على المواصلة :

ـ ولكنه ماذا ؟

تردَّد مرَّة أخرى ، قبل أن يغمغم فى خفوت ، وفى لهجة يغلب عليها طابع الحياء :

ـ كنت أقصد أنه يذكّرنى بحكايات جدّتى الخرافيّة .

غمغمت فى دهشة :

ـ حكايات جدّتك ؟!

تردَّد للمرَّة الثالثة ، ثم تمتم :

ـ قد يُدهشك هذا ، أو يُضحكك ، أو يبدو لك سخيفًا ، إلّا أن كل ماحدث هنا يذكرنى بحكايات الجِنّ القديمة .

هتفت فى دهشة بالغة :

ـ الجنّ ؟!

أجابها فى حِدّة مباغتة :

ـ نعم .. الجِنّ .

حدّقت فى وجهه لحظات ، فى مزيج من الدهشة والحَيرة ، وهى تتساءل : أيمزح فى مثل هذا الموقف ، أم أنه يَعْنى حقًّا مايقول ؟..

ولقد جاءها الجواب من بين شفتيه ، وهو يستطرد متوتّرًا :

ـ كل ماحدث يؤكّد هذا .. العاصفة الساخنة ، وانشقاق الحائط ، وذلك الأشقر الوسيم المخيف ، الذى بداخلها .. ألا يذكرك كل هذا بحكايات الجِنّ .

هتفت فى حِدّة مستنكرة :

ـ هل تصدّق ماتقول ؟

لوّح بذراعيه غاضبًا ، وهو يهتف :

ـ ولِمَ لا ؟!.. الجِنّ مخلوقات مثلنا ، ولكنها من النار ، وليست من الطّين ، وهذا يبرّر تلك الرياح الساخنة ، ثم إنه من المحتمل أن هذا الأشقر جِنّىّ ، أراد الزواج من ابنتك ، أو.....

قاطعته صارخة :

ـ الزواج منها ؟!.. هل جُننْت ؟

عقد حاجبيه فى غضب ، وهو يقول :

ـ لماذا ؟.. هل أنطق بما لم يؤيّده العلماء ، أو رجال الدين ؟!.. لقد ذُكر الجِنّ فى الكتب السّماوية ، التى أيّدت وجودهم ، ولقد حُرّمَ زواجهم من البشر ، فهل تتصوّرين أن هذا التحريم قد جاء ، دون أن يكون هناك زواج بينهم بالفعل ؟!..

كلّا يا سيّدى ، مادام هذا الزواج قد حُرّم ، فهذا يَعْنى أنه ممكن .

صرخت فى ألم :

ـ ومع هذا أرفض منطقك .

صاح مُختنقًا :

ـ لا يوجد سواه .

هتفت فى عناد :

ـ ليس هذا مبرّرًا لنؤمن به .

جاءها صوت (نور) ، وهو يقول فى ألم وحزن :

ـ ولكنه يحمل بعض الحقيقة يا (سلوى) .

التفتت إليه فى لهفة ، وهى تهتف :

ـ (نوّر) ؟.. يا إلهى !!.. (نور) ؟

وفى تلقائية ، ألقت نفسها بين ذراعيه ، وراحت تبكى ، وتنتحب فى حرارة ، وهو يربّت على ظهرها فى رِفق ، ورئيس الأقسام يحدّق فيهما بدهشة ، قبل أن يهتف :

ـ أأنت زوجها ؟!.. أأنت ذلك الرائد ، من المخابرات العلمية ؟

أومأ (نور) برأسه ، قائلًا :

ـ هو أنا .

بكت (سلوى) فى حرارة ، وهى تهتف :

ـ ابنتنا يا (نور) .. لقد اختفت داخل الحائط .

قال فى مرارة :

ـ لقد علمت كل شىء يا (سلـوى) .. من ممرضى القسم .

ثم أمسك كتفيها ، ودفعها بعيدًا ، بطول ذراعيه ، وهو يسألها :

ـ هل بدا لك ذلك المكان ، الذى ذهب إليه بها مألوفًا ؟

ردّدت فى حَيْرة :

ـ مألوفًا ؟!.. أقول لك إنه قد شقّ الحائط ، و .....

قاطعها فى حزم :

ـ هل بدا المكان مألوفًا يا (سلوى) ؟

اغرَوْرَقَتْ عيناها بالدموع ، وهى تغمغم فى حَيْرة :

ـ لست أدرى يا (نور) .. لست أدرى .. لقد كان مجرّد حجرة خالية ، لا تحوى سوى لوحة صغيرة ، ذات إطار قديم ، و .....

بترت عبارتها بغتة ، وهتف هو ، وقد أدركا معًا طبيعة المكان :

ـ حجرة مكتب جدّى .

ثم جذبها من معصمها ، هاتفًا :

ـ لقد علمت الآن أين أخذها ذلك الشيطان الوغد الصغير .. إلى منزل جَدّى القديم وسط المزارع .. إلى حجرة المكتب هناك ، حيث ذاق هزيمته السابقة .

هتفت وهى تتبعه لاهثة :

ـ من هو هذا يا (نور) ؟.. ولماذا أخذ ابنتنا ؟.. وكيف ؟!

صاح بها متوترًا ، وهو يجذبها إلى الخارج :

ـ سأخبرك فيما بعد .. عندما يحين الوقت المناسب .. هيًا قبل أن نفقد ابنتنا .

هتفت فى ارتياع :

ـ نفقدها ؟!

اختلط هتافها بقصف الرّعد ، ودَوِىّ البرق ، وانهمار المطر ، مما منح الجوّ كله مظهرًا مخيفًا رهيبًا ..

ولكنها تبعت زوجها ..

تبعته إلى حيث الأمل ..

إلى حيث الأمل الوحيد ..

* * *

١١ ـ المواجهة ..

التهبت عينا (ابن الشيطان) ببريق جَهَنّمى ، أشبه بالنيران المُتَّقدة ، وهو يقف فى شرفة منزل جَدّ (نور) الريفىّ ، وقال فى شراسة :

ـ إنه فى طريقه إلى هنا .

مدّ (صفوت) بصره إلى الأمام ، وَوَدّ لو أنه سأل سيّده كيف يمكنه أن يبصر فى الظلام ، إلّا أنه آثر الصَّمْت ، وقد تذكَّر أنه ليس بشريًّا ، واكتفى بأن غمغم :

ـ متى سيصل يا سيِّدى ؟

أجابه الشيطان الصغير فى لهفة :

ـ بعد عشر دقائق على الأكثر .

ثم ارتسمت على شفتيه ابتسامة وحشيّة ، وهو يستطرد :

ـ لقد أدرك الآن من يقاتل ، وأين سيكون الصراع الأخير .. إنه يعرف ساحة المعركة ، ويندفع إليه غير آبه .. كم يشبه جَدّه !

التفت إلى حجرة المكتب العريقة الخالية ، واستعاد ذهنه مشهدًا قديمًا ..

مشهد جدّ (نور) ، وهو يقف فى ركن الحجرة ، هاتفًا :

ـ ياإلهى !!.. لقد أدركت كيف .. لقد أدركت الآن كيف يمكننى القضاء عليك ، وإجبارك على العودة إلى موطن بنى جنسك .

ما زالت كلماته هو تدوّى فى رأسه ، عندما أجاب ذلك بضحكة ساخرة ، قائلًا :

ـ مُحال أيها البشرىّ .. لن يمكنك تصوُّر أسلوب القضاء علىَّ أبدًا .

هتف الجدُّ فى صرامة :

ـ بل لقد علمته .. لقد علمته .

ثم التقط تلك الأسطوانة ، و ......

نفض عن عقله تلك الذكرى ، التى أورثته مزيدًا من الغضب والثورة ، فهتف فى سخط :

ـ سيدفع آخر أحفاد (أوزيريس) الثمن .

سرت قُشعْريرة باردة فى جسد (صفوت) ، ثم أشار إلى مُسدَّس ليزرىّ ، يقبع داخل جيبه ، متمتمًا فى تردُّد :

ـ سيِّدى .. لست أحبّ أن أكرِّر قولًا ، ولكن لو أنك ترغب فى أن أقتل ذلك الرائد ، فأنا ......

قاطعه (ابن الشيطان) فى غضب :

ـ كلَّا ..

انتفض (صفوت) ، وغمغم :

ـ أردت فقط أن أعرض الأمر .

رفع الشيطان الصغير يده فى وجه (صفوت) ، ولوَّح بسبَّابته ، قائلًا فى صرامة :

ـ قلت لك إننى أحتفظ بك ، من أجل مهمَّة واحدة .. مهمَّة محدودة ، لا يحق لك تجاوزها .

ثم اعتدل ، مستطردًا فى حزم :

ـ ولقد حان الوقت لتعلم طبيعة مهمَّتك .

غمغم (صفوت) فى توتُّر :

ـ أنا رهن إشارتك ياسيِّدى .

اتَّقدت عينا مبعوث الجحيم مرَّة أخرى ، وهو يقول :

ـ ستعلم كل شىء الآن .. المهمّ هو ألَّا تتدخل فى صراعى مع حفيد (أوزيريس) هذا أبدًا ، مهما كانت الأسباب .. هل تفهم ؟.. مهما كانت الأسباب .

* * *

« شيطان ؟!.. » ..

ألقت (سلوى) تلك الكلمة فى رُعب هائل ، وبكلمات وحروف حمل ارتجافها هذا المعنى إلى أُذنى (نور) فى وُضوح ، وهو ينطلق بسيارته الصاروخية ، نحو منزل جَدّه الريفىّ ، فعقد حاجبيه فى حِدّة ، وهو يقول متوترًا :

— ابْنه يا (سلوى) .. (ابن الشيطان) ، وليس الشيطان نفسه :

شَحُبَ وجهها فى شِدّة ، وهى تهتف :

— (نور) .. إنك تثير فى نفسى فزعًا شديدًا .. حديثك هذا يَعْنى أن ابنتنا الآن بين يدى نصف شيطان .

ثم هزّت رأسها فى قوّة ، مستطردة فى حِدّة :

— وأنا أرفض تصديق هذا الأمر .

قال فى صرامة :

— رفضك أو قبولك لن يغيّر من الأمر شيئًا يا (سلوى) .. صحيح أن كل هذا لا يحوى حقيقة علميّة واحدة ، مدوّنة فى أى مرجع علمىّ معتمد ، إلّا أنه الواقع .. وما زالت عبارة الدكتور (عزيز) تدوّى فى أُذنىّ : « لكى تنتصر على هذا الشرّ ، فلابدّ أن تواجهه بمنطقية وواقعية ، مهما كان متعارضًا مع آرائك ، وإلّا فإنه سينتصر .. سينتصر حتمًا » ..

سَرَت فى جسدها قُشَعْرِيرَة خوف ، وهى تغمغم ، وقد اغْرَوْرَقَت عيناها بدموع المرارة واليأس :

— ماذا سنفعل إذن يا (نور) ؟.. ماذا ؟

أجابها فى حزم :

— سنواجهه يا (سلوى) .. سنواجه الأمر بلا تَقَاعُس ..

صاحت فى ألم :

— كيف يا (نور) ؟.. كيف ؟.. إنك تقول إنك ما زلت تجهل نقطة ضعفه ، فكيف تواجه خصمًا ، لا قِبَلَ لك بهزيمته ؟

انعقد حاجباه فى صرامة ، وهو يقول :

— لم أَقُل إننى أجهل نقطة ضعفه .. قلت فقط إن الدكتور (عزيز) ما زال يجهل نقطة ضعفه .

التفتت إليه فى دهشة ، وهتفت :

— أتعْنى أن أكبر خبراء ما فوق الطبيعيّات يجهل نقطة ضعفه ، فى حين تعلمها أنت ؟

أومأ برأسه إيجابًا ، وهو يقول :

— هذا صحيح .. وأنا أيضًا كنت أجهل نقطة ضعفه ، حتى رأيت بُقَع الطمى ، وهى ترتطم بالزجاج .

أدارت رأسها تتطلّع إلى زجاج السيّارة ، الذى تناثرت فوقه بُقَع الطَّمْى ، ثم عادت تلتفت إليه ، متسائلة :

ــ لستُ أفهم شيئًا ..

ابتسم ابتسامة شاحبة ، وهو ينحرف فى طريق جانبىّ ، يقود إلى المنزل الريفى مباشرةً ، وقال :

ــ ماذا يحدث لك ، لو أننى ألقيت فى وجهك قطعة كبيرة من الطَّمْي الجافّ ؟

عقدت حاجبيها ، وهى تقول فى حِدَّة :

ــ أظن أن ذلك سيؤلمنى ويسبّب لى الكثير من الضَرر .

هتف فى حماس :

ــ هذا هو الحلّ .

غمغمت فى دهشة وحَيْرة :

ــ أىّ حَلّ ؟

أوقف سيارته أمام المنزل الريفى ، وهو يقول فى حزم :

ــ فيما بعد ياعزيزتى .. فيما بعد .. أمّا الآن فعلينا أن نتحرّك بأقصى سرعة لإنقاذ ابنتنا .

وغادر السيّارة ، وهو يشير إلى الأفق ، مستطردًا :

ــ قبل الفجر ..

* * *

تطلّع (ابن الشيطان) إلى سيّارة (نور) ، وهى تتوقّف أمام المنزل الريفىّ ، واتقدت عيناه الناريّتان انفعالًا ، وهو يغمغم :

ــ لقد وَصَل .

ثم التفت فى هدوء ، وتطلّع إلى (نشوى) ، التى وقفت خلفه صامتة ، شاردة البصر ، تبدو كالغائبة عن الوعْي ، واستطرد فى لهجة آمِرَة :

ــ استعدّى .

غمغمت فى آلية :

ــ مُستَعِدَّة .

ابتسم فى ثِقَة ، وهو يقول فى حزم :

ــ أتعلمين مَنْ ستواجهين ؟

أجابته بنفس الشرود والآلِيَّة :

ــ أبى .

هتف فى انفعال :

ــ ماذا ستفعلين به ؟

أجابت على الفور ، وبلهجة تخلو من أيّة انفعالات :

ــ سأقتله .

كان يسيطر عليها سيطرة تامة ..

ربَّما لأن دماءه تسرى فى عروقها ..

دماؤه الشيطانية ..

ولقد أثلج قولها صدره ، فاعتدل ، واشتعلت عيناه بلهيب الانتقام ، وهو يقول فى حزم :

ـ سيكون هذا أفضل انتقام من حفيد (أوزيريس) .

وانتقل اشتعال عينيه إلى صوته ، وهو يستطرد :

ـ سيموت بيد ابنته .. دم (أوزيريس) سيقتل بعضه البعض .

وفى كل أركان المنزل ، تردَّدت ضحكته الشيطانية ..

ضحكة مبعوث الجحيم ..

* * *

ارتجف جسد (سلوى) رُعبًا ، والتصقت بزوجها ، وهى ترتعش فى شِدَّة ، وتهتف :

ـ ماهذا ؟.. ماهذا يا (نور) ؟

ربَّت على كتفها مطمئنًا ، وهو يقول :

ـ لا شىء يا عزيزتى .. لعله صوت الرياح .

هتفت فى رُعب :

ـ كلَّا يا (نور) .. إنها ضحكة .. لقد سمعتها فى وضوح .

غمغم فى لهجة ، لم تنجح حتى فى إقناعه هو :

ـ ربَّما كان البرق ، أو المطر ، أو .....

قاطعته فى حِدَّة :

ـ أخبرنى يا (نور) .. ما هذا ؟

تنهَّد فى عمق ، وأجاب :

ـ إنها ضحكته .

ازداد شحُوبها وارتجافها ، وهى تهتف فى ارتياع :

ـ ضحكة (ابن الشيطان) ؟!..

ارتجفت فى رُعب ، وهى تهتف :

ـ يا إلهى !!

قال فى حزم :

ـ لقد أتينا إلى هنا ، ونحن نعلم بوجوده ، ونستعدُّ لمواجهته يا (سلوىْ) .. أليس كذلك ؟

هتفت فى خوف :

ـ ولكن يا (نور) .

أضاف فى صرامة :

ـ من أجل ابنتنا .

كان ذكر ابنتها يكفى ، لأن تنتزع من نفسها كل الخوف ، وتقول فى صرامة ، وبلهجة حاسمة حازمة :

ـ سنواجهه يا (نور).. سنواجهه من أجل ابنتنا ، مهما كان الثمن .

انطلقت إثر كلماتها ضحكة شيطانية أخرى ، تجمّدت لها الدماء فى عروقها ، ثم أضيئت كل أنوار المنزل دفعة واحدة ، فانتفضت فى قوّة ، وشهقت فى ذُعر ، وراح جسدها يرتعد بين ذراعَىْ (نور) فى قوّة ، وهى تغمغم :

ـ هل جاء ؟!.. هل جاء يا (نور) ؟

شعرت بأصابعه تضغط ذراعها فى قوّة ، وبدت لها كلماته حادّة حاسمة ، وهو يقول فى حزم :

ـ نعم يا (سلوى).. لقد جاء .

رفعت عينيها إليه ، ورأته يتطلّع إلى نقطة ما خلف ظهرها ، فالتفتت فى حركة غريزية ، وتطلّعت إلى حيث ينظر ..

وارتجفت فى رُعب ..

لقد رأته يقف هناك ..

رأت (ابن الشيطان) ..

* * *

مضى ما يقرب من دقيقتين كاملتين ، و (نور) و (سلوى)

يتبادلان النظرات ، مع (ابن الشيطان) ، و (سلوى) ترتجف فى رُعب هائل ، إلى أن قال (نور) فى حزم :

ـ ها نحن أولاء نلتقى لأوّل مرّة .

أجابه الشيطان الصغير فى لهجة مخيفة :

ـ كلاَّ .. ليست أوّل مرّة أيها الرائد .. لقد التقينا فيما مضى .

عقد (نور) حاجبيه ، وهو يقول فى جِدّة :

ـ متى ؟

ابتسم (ابن الشيطان) فى سُخرية ، وهو يقول :

ـ لن تذكر أبدا متى ؛ لأنك مثل بنى جنسك .. قصير العمر ، كما أنكم لم تتوصّلوا بعد إلى حكمة تناسخ الأرواح .

غمغم (نور) فى دهشة :

ـ التناسخ ؟!

هتف الشيطان الابن :

ـ نعم .. لقد التقينا أنا وأنت ، فى حياة سابقة لك ، وكان ذلك منذ خمسين قرنًا من زمنكم .

غمغمت (سلوى) فى ذُهول :

ـ منذ خمسة آلاف عام ؟!

لوّح (مبعوث الجحيم) بذراعه ، هاتفًا :

— نعم .. كان زوجك ، فى ذلك الحين ، قائدًا عسكريًّا ، من رجال ملككم المصرىّ (أخناتون) ، ولقد تصدّى لى ، وأنا أحمل شخصية كاهن من كهنة (آمون) .

واتقدت عيناه شررًا ، وهو يستطرد :

— ولقد التقينا مرّة أخرى ، فى (روسيا) ، فى بدايات القرن العشرين .

غمغم (نور) فى سخرية :

— وفى أيّة شخصية كنت أنت ؟.. فى هيئة دُبّ قُطبىّ ؟

هتف ابن الشيطان :

— بل فى هيئة الرجل ، الذى ما زالت كتب التاريخ تحمل اسمه حتى الآن ، وتتحدّث عن معجزاته وفجوره .

والتهبت عيناه انفعالًا ، وهو يهتف :

— كنت (راسبوتين)(*) .

(*) (جريجورى يفيموفيتش راسبوتين) (١٨٧٢ — ١٩١٦) : راهب روسى ، سيطر برغم جهله على بلاط قيصر (روسيا) ، ونُسبت إليه قوًى رُوحانية عجيبة ، بعد نجاحه فى شفاء ولىّ العهد ، ولقد عُرف بكثرة شروره ومجونه فى ذلك العهد .

اتسعت عيون (نور) و (سلوى) ، وهتف الأوّل :

— يا إلهى !!.. إذن فهو أنت .

صاح الشيطان الابن فى غضب :

— نعم .. لقد التقينا عشرات المرّات ، فى هيئات وثياب مختلفة ، وفى كل مرّة كنت أنت تنتصر ، أمّا فى هذه المرّة فمُحال .

صاح (نور) فى صرامة :

— مَن قال مُحال ؟!.. لقد أتيت إلى هنا ، وأنا أعلم كيف أهزمك أيها الجَهنّمىّ .

أطلق الشيطان الابن ضحكة ساخرة ، وقال :

— هذا لو أنك واجهتنى أنا هذه المرّة .

ثم التفت هاتفًا :

— ستقاتل مُعاونتى .

شهقت (سلوى) فى لوعة وذُعر ، عندما برزت ابنتها من خلفه ، وهى تحمل سيفًا ضخمًا ، وعيناها تبرقان فى وحشيّة وشراسة ، لم تكونا أبدًا من صفاتها ..

وغمغم (نور) فى لَوعة :

— (نشوى) ؟!.. يا إلهى !

انتزع (ابن الشيطان) من الجدار سيفًا مماثلًا ، ألقاه إلى (نور) ، الذى التقطه على نحو غريزىّ ، وهو يسمع (مبعوث الجحيم) يقول :

ــ إنها معركة لا تعادُل فيها أيها الرائد .. إمّا أن تقتلها ، أو تقتلك هى ، وفى الحالتين أربح أنا ، وتخسر أنت .

ثم التفت إلى (نشوى) ، قائلًا فى حزم :

ــ اقتليه .

وفى شراسة ، هبطت (نشوى) فى دَرَجات السُلَّم ، متجهة نحو أبيها ، وقد شهرت سيفها فى مواجهته ..

وبكى قلب (نور) بين ضلوعه ..

كان عليه هذه المرّة أن يواجه أحبّ الناس إليه ..

ابنته ..

* * *

[انتهى الجزء الثانى ، ويليه الجزء الثالث]

[الصراع الجهنمى]

المؤلف



د. نبيل فاروق

مبعوث الجحيم

- هل سيظل (ابن الشيطان) منتصرا، فى الجولة الثانية؟
- كيف يواجه (نور) خصمه، دون فريقه، ودون أن يعلم حتى طبيعته؟
- تُرى كيف ينتهى الصراع؟.. ومن يربح المعركة، (نور) أم (مبعوث الجحيم)؟
- اقرإ التفاصيل المثيرة، وقاتل مع (نور)، من أجل الخير.

٧٣

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

العدد القادم: الصراع الجهنمى

روايات
مصرية للجيب



ملف المستقبل
أمري جداً!!

٧٤

الصراع الجهنمى


نور الدين


سلوى


رمزى


محمود

١ ـ الصِّراع ..

أُضيئت السماء بالتماعة برق ، أعقبها قصف رعد قوىّ ، بدا فى تلك الليلة من ليالى الشتاء ، حيث انهمر المطر كالسيل ، وفى تلك المنطقة المنعزلة وسط المزارع ، حيث منزل جَدّ (نور) الريفى،قصف الرعد كدوىّ عشرات المدافع ، فى ساحة معركة حامية الوطيس اشتدّ فيها الصراع والنّزال ..

وعَبْرَ نافذة المنزل الريفىّ ، انعكس ضوء البرق على وجه (نشوى) ، ابنة (نور) و (سلوى) ..

على ذلك الوجه البرىء ، الذى استحال بلمسات شيطانية إلى وجه وحشى شرس ، تطلّ منه عينان ناريتان ، التهبتا بالشّرّ والقسوة ..

وفى قبضة (نشوى) ، استقرّ مقبض سيف ضخم بتّار ..
سيف صنعه شياطين الجحيم ..

وفى قبضة والدها (نور) ، استقرّ سيف آخر ..
سيف من صنع البشر ..

وكان الصراع حتميًا ..

صراع أعدّه (ابن الشيطان) ، الذى وقف يراقب مايحدث ، بعينين ناريّتيْن ، وشفتين ارتسمت عليهما ابتسامة الجحيم ..

صراع بين البشر والشياطين ..

بين أبناء الأرض ، ومستوطنى الجحيم ..

ومن عينى (سلوى) ، سالت دموع المرارة والعذاب ، وهى ترى ابنتها فى مواجهة زوجها ..

الأب والابنة يحملان سيفيهما فى مواجهة كل منهما الآخر ..

وياله من مشهد عجيب !!

اثنان من القرن الحادى والعشرين ، يتواجهان فى منزل من القرن العشرين ، وبسيفين يعود تاريخ صنعهما إلى القرن السادس عشر ..

وكان على أحدهما أن ينتصر حتمًا علَى الآخر ..

والنصر يَعْنى أن يقتل غريمه ..

الأب يقتل الابنة ..

أو العكس ..

وفى قلب (نور) توقَّفت غصَّة مُؤْلِمَة ..

ومن أعمق أعماقه سالت دمعة ..

وراح يتساءل فى مرارة .. كيف بدأ ذلك ؟..

كيف ؟!..

* * *

كانت البداية منذ ملايين السِّنين ..

منذ هبط البشر إلى الأرض ..

منذ وجد الشيطان طريقه فى قلب (قابيل) ، ودفعه إلى قتل شقيقه (هابيل) ..

بعدها هبط الشيطان إلى الأرض ، وتزوَّج من واحدة من بنات حوَّاء ، وأنجب منها ابنًا ..

(ابن الشيطان) ..

وعَبْرَ التاريخ والعصور ، دار الصراع بين الشيطان الابن ، وأبناء آدم من البشر ..

وانحسم آلاف المرات ..

حتى دار ذلك الصراع التاريخىّ ، بين (أوزيريس) و (ست) ..

وربح (أوزيريس) معركته ..

وجاء نسله مقاومًا لـ (ابن الشيطان) ، عَبْرَ العصور والأجيال ..

وانهزم (ست) ، فى مواقع شتَّى ..

وتحوَّل اسمه إلى (راسبوتين) ، وربح ..

وإلى عشرات الأسماء الأخرى ..

ثم جاء دَوْر آخر أحفاد (أوزيريس) ..

(نور) ..

واستعان (ابن الشيطان) بصحفىّ فاشل حقير ، يُدعى (صفوت) ، ليكون معاونًا له ، يحمل على عاتقه عبء مهمَّة واحدة ، لم يعلمها حتى الآن ..

وبدأت الأحداث الشيطانية ..

الحياة الزائفة تدبُّ فى الأثاثات والجماد ..

الدماء تنهال من كل صَوْب ..

الشرّ ينضح من العيون والنفوس ..

وبواسطة (صفوت) ، دفع (ابن الشيطان) بعضًا من دمائه فى جسد (نشوى) ، التى تحوَّلت إلى نصف شيطانة ، على الرغم منها ..

وفى نفس الوقت كان (نور) والدكتور (حجازى)

يعدَّان جلسة لتحضير الأرواح ، بمعاونة الوسيط الروحانىّ الأشهر ، الدكتور (عبد الجليل) ، بعد أن تصوَّر الدكتور (حجازى) أن كل مايحدث فى منزل (نور) ، يعود إلى أرواح شريرة مجهولة ..

وكانت ليلة من ليالى الجحيم ..

أيد عملاقة تبرز من الأرض ، وتعتصر الجميع ..

كيان أسْوَد شيطانىّ بشع ، التهم الدكتور (عبد الجليل) ..

كهف مخيف رهيب غامض ، هوَى فيه (نور) والدكتور (حجازى) ..

ثم انتهى كل ذلك بغتة ..

كل الأمور عادت إلى نصابها ..

الدكتور (عبد الجليل) .. المنزل ..

كل شىء ..

وكان على (نور) أن يلجأ إلى مساعدة أقوى ، لمعرفة غريمه على الأقل ..

كان كل ما يعلمه عنه ، هو رسالة روحانية ، أتت إليه بها روح جده ، مع بداية تلك الأحداث ، ورسم لقرص يحوى نقوشًا عجيبة مخيفة ، وعبارة غامضة ..

وكان أن ذهب (نور) والدكتور (حجازى) إلى أكبر خبراء علوم ما فوق الطبيعيات ، فى الشرق الأوسط كله ..

إلى الدكتور (عزيز) ..

وهناك علم (نور) من غريمه ..

علم أنه (ابن الشيطان) ..

وعرف ما أصاب ابنته، التى اختطفها الشيطان الصغير ..

ولقد أعطاه الدكتور (عزيز) قارورة صغيرة ، تحوى بعضًا من ماء (زمزم) المبارك ..

كانت وحدها تخلّص ابنته من دماء الشيطان ..

ولكن كان عليه أنْ يحقنها بها قبيل الفجر ..

وانطلق (نور) إلى منزل جَدّه الريفى ، حيث جرت آخر مواجهة بين (ابن الشيطان) وأحد البشر .. جَدّ (نور) ..

حيث خسر الشيطان الابن معركته الأخيرة ..

وهناك كان على (نور) أن يخوض معركته ضد الشيطان .. وضد ابنته(*) ..

(*) لمزيد من التفاصيل ، راجع الجزأين الأول والثانى ، (ابن الشيطان) ، و (مبعوث الجحيم) .. المغامرتين رقم (٧٢) و (٧٣) .

ومع التماعة البرق الثانية ، كانت (نشوى) قد أصبحت على قيد متر واحد من (نور) ، والتهبت عيناها بنيران الغضب والشراسة ، وهى تقول فى وحشية :

ـــ قاتل .

وانعكس ضوء البرق على نصل سيفها الشيطانىّ ، عندما شهرته فى قوّة ، وأطلق (ابن الشيطان) ضحكة ساخرة ، وقال فى لهجة ظافرٍ :

ـــ قاتل أيها الرائد .. قاتل يا حفيد (أوزيريس) .. ألق كل عواطفك ومشاعرك جانبًا .. قاتل وإلّا كانت الهزيمة من نصيبك .

وتألّقت عيناه بلهيب الشرّ ، وهو يستطرد :

ـــ والهزيمة هنا تعنى الموْت .

وأطلقت (سلوى) صرْخة ذُعر ، اختلطت بصرْخة وحشيّة ، انطلقت من بين شفتى (نشوى) ، قبل أن يَهْوِى سيفها على أبيها ..

وبدأ الصراع ..

* * *

٢ ــ مواجهة الشيطان ..

استقبل (نور) نصل سيف ابنته ، على نصل سيفه ، وتخيَّل إليه أنَّ ضَرْبة سيف البنت أشبه بطلقة مِدفع قديم ، حتى أنها قد خلخلت قوّته ، وكادت تمزِّق عضلاته ، وتلقِى به أرضًا ، وتساءل فى دهشة عن سرّ تلك القوَّة الهائلة ، التى سَرَتْ فى جسد ابنته ، مع دماء (ابن الشيطان) ..

وكإجراء منطقىّ ، قفز (نور) متقهقرًا ، وتطلَّع إلى ابنته فى توتُّر بالغ ، ومرارة لا حدَّ لها ، وهى تُزمجِر فى وحشية ، وتتقدَّم نحوه ، ملوِّحة بسيفها فى شراسة ، وضحكات الشيطان الصغير تتصاعد ساخرة ، وهو يهتف :

ــ لن تنتصر يا حفيد (أوزيريس) .. لن تربح معركتك هذه المرَّة أبدًا .

صاح (نور) فى صرامة :

ــ أنت ستخسر معركتك أيها الشيطان .. لن تربح أبدًا .

ارتجَّت الجُدران بصرخة (ابن الشيطان) الغاضبة ، وهو يهتف :

ــ لن أخسر .

ومع صرختِه ، هَوَى سيف (نشوى) مرَّة أخرى على والدها ..

وفى هذه المرَّة لم تتقارع السُّيوف ..

لقد تفادى (نور) النَّصل القاتل ، وقفز جانبًا فى رشاقة ومهارة ، وترك النَّصل يَهْوِى إلى جواره ، ويرتطم بالأرض ، فى دَوِىّ كرنين عشرات الأجراس ، ثم مال فى براعة ، ومَرَق إلى جوار ابنته ، وضغط مشاعره وعواطفه إلى أقصى حدّ ، داخل جراب من الفولاذ الصلب ، وهَوَى على مؤخرة عنقها بلكمة قويَّة .

كان كل ما يسعى إليه هو إفقادها الوَعْىَ ..

إنها ابنته ..

لن يمكنه مقاتلتها أبدًا ..

صحيح أن الشيطان داخلها هو الذى يصارعه الآن ..

ولكنها ابنته ..

وبإفقادها الوَعْىَ يحقِّق ما يصبُوا إليه ..

يتفادى قتاله معها ..

يتفادى رغبته فى أن يلقَى مصرعه على يديها ، بدلًا من أن يَشْهَرَ سيفه فى وجهها ..

ولقد أصابتها الضربة فى قوَّة ..



ثم دار على عقبيه فى سرعة مدهشة ، وألقى سيفه ، بكل ما يملك من قوة ، نحو قلب الشيطان الابن ..

وشهقت (سلوى) فى لوعة ، عندما رأت ابنتها تندفع إلى الأمام ..

ثم تستدير ؛ لتواجه والدها مرة أخرى ..

فى الظروف العاديَّة ، كانت ضربة (نور) تكفى لإفقاد ابنته وعيها ليوم كامل على الأقل ..

أمَّا الآن ، فهى لم تسقط ..

فقط اندفعت إلى الأمام ، ثم استدارت تواجهه بمزيد من الشراسة ..

وفجأة ، تنبَّه (نور) إلى نقطة بالغة الأهميَّة ..

إن عينى ابنته قد ذهبتا ..

إنها تحمل الآن عينى (ابن الشيطان) ..

نفس العينين الناريتين ..

نفس الوحشيَّة ..

نفس الشراسة ..

وفى هذه المرَّة تفادى (نور) انقضاضة ابنته ، وقد أعدَّ لنفسه خطَّة جديدة ..

وفى هذه المرَّة مال جانبًا ، ثم دار على عقبيه فى سرعة مدهشة ، وألقى سيفه ، بكل ما يملك من قوة ، نحو قلب الشيطان الابن ..

وتراجعت (سلوى) فى حِدَّة ..
وتجمَّدت (نشوى) فى مكانها ..
وانطلقت صرخة هائلة ، ارتجَّت لها جُدران المنزل كلها ..
ليس مجرَّد تشبيه بليغ هذه المرَّة ..
لقد ارتجَّت الجُدران بحقٍّ ..
ارتجَّت وكأنما قد تعرَّضت إلى زلزال عنيف ..
هذا لأن الصرخة كانت شيطانية .
كانت صرخة (ابن الشيطان) ..
وأمام عيون الجميع ، غاص السَّيف فى قلب الشيطان الابن ، ونفَذ من ظهره ..
وخبا لهيب عينى الشيطان الابن لحظة ..
وتلاشى اللهيب المشابه من عينى (نشوى) ..
واندفع (نور) نحو ابنته ، وهو ينتزع القارورة من جيبه ، هاتفًا :
— أسرعى يا (سلوى) .. لابدّ أن نحقنها بالماء ، قبل أن يعاود ذلك الشيطان الابن سيطرته عليها .
هتفت (سلوى) فى ارتياع ، وهى تندفع نحو ابنتها :
— ماذا ؟! .. ألم تقتله ؟

صاح ، وهو يكشف ذراع ابنته ، التى بدت كالشاردة :
— إنه ليس بشريًّا .
ملأ مِحقَنه بالماء المبارك من القارورة بسرعة ، ثم اندفع بإبرة المِحْقَن نحو ذراع ابنته ، و ......
وفجأة ، قفز المِحقَن من يده ..
وانطلقت صرخة (ابن الشيطان) الغاضبة ، وهو يهتف:
— مُحَال .
قفز (نور) يلتقط المِحقَن ، قبل أن يتحطَّم أرضًا ، ويضيع الماء المبارك ، ثم استدار إلى حيث يقف الشيطان الابن ، واتسعت عيناه بنفس الدهشة ، التى تراجعت لها (سلوى) ، عندما رأيا (ابن الشيطان) ينتزع السَّيف كله من قلبه ، دون أن تلوِّث نصله نقطة دماء واحدة ، ثم يلقيه جانبًا ، هاتفًا فى غضب :
— صدقت أيها الآدمىّ .. صدقت يا حفيد (أوزيريس) .. إننى لست بشريًّا .. وفى هذا الموضع ، لا يوجد قلب ، مثلما تحوى أجسادكم .
غمغمت (سلوى) فى رُعْب :
— رُحْماك يا إلهى !!

اعتدل (نور) فى صلابة ، وقال :

ـ ولكنك لن تنتصر أيها الوغد .. لقد كشفت نقطة ضعفك ، وأعلم الآن كيف أقتلك .

أطلق الشيطان الصغير ضحكة وحشية ، قبل أن يصرخ :

ـ مُحال .. لن تتوصَّل إليها أبدًا .

صرخ (نور) :

ـ لقد فعلت .

وقسَتْ نبراته ، وهو يستطرد :

ـ تمامًا مثلما فعل جدّى من قبل .

التهبت عينا الشيطان الابن فى غضب ، وصرخ :

ـ جَدُّك ؟!..

هتف (نور) :

ـ نعم .. جَدّى .. عُدْ بذاكرتك إلى الوَراء .. إلى ذلك اليوم ، حينما توصَّل (رحمه الله) إلى نقطة ضعفك ، هل تذكر ؟

زمجر الشيطان الابن فى وحشية ، وارتسمت أمام عينيه أحداث ذلك اليوم ، الذى ذاق فيه أمرّ هزيمة فى حياته ..

رأى الجَدّ يندفع نحوه ، ويصرخ :

ـ لقد كشفت عَوْرَتك .. كشفت نقطة ضعفك .

ورآه يطلق نحوه ذلك السلاح ، و .....

عادت كلمة (نور) تُدَوِّى :

ـ لقد علمت كيف أهزمك .

اتسعت عينا (ابن الشيطان) ، وهو يهتف :

ـ ينبغى أن تهزم ابنتك أوَّلًا .

مع آخر حروف كلماته ، عادت عيناه تلتهبان بنيران الشرّ .

وصرخت (سلوى) ..

وزمجرت (نشوى) ..

لقد استعادت فى أعماقها روح الشرّ ..

وعاد الصِّراع ..

* * *

كان أكثر ما أثار خوف (نور) ، فى تلك اللحظة ، هو أن يسقط المِحْقَن من يده ..

وفى هذه المرَّة لم يكن يملك سلاحًا ...

وكانت ابنته تواجهه بمزيد من الشراسة ..

ولم يواجه (نور) ابنته ..

لقد تفاداها مرّة أخرى ، ثم اندفع نحو ذلك السُّلَّم ، الذى يقف أعلاه الشيطان الابن ، واعتلاه بقفزتين واسعتين ، حتى أصبح يواجه نصف الشيطان ، الذى أدهشه هذا بحقّ ، فتراجع بحركة حادّة ، وفقد سيْطرته التوجيهية على (نشوى) ، التى عادت تتجمّد مرّة أخرى كالمشدوهة ، و (نور) يصرخ فى وجه غريمه :

— الآن سأهزمك .

سيْطر الشيطان الابن على دهشته دفعة واحدة ، وقال فى شراسة :

— أنت الذى ستلقى الهزيمة يا حفيد (أوزيريس) .

انتزع (نور) من حزامه بغتة أسطوانة صغيرة ، وهو يقول فى صرامة :

— قُل لى يا وغد الأوغاد .. أتعرف ما هذا ؟

تراجع الشيطان الابن فى ذُعر ، وهو يحدّق فى الأسطوانة الصغيرة برُعب هائل ، على حين استطرد (نور) :

— إنه قاذف لهب صغير أيها الشيطان .. أتدرى ما الذى يمكن أن يفعله بك اللهب .. النار .

التصق (ابن الشيطان) بالحائط فى رُعب ، وهو يهتف :

— لن تفعل .. لن تفعل .

اقترب منه (نور) مرّة أخرى ، وهو يقول فى حزم :

— النار أيها الوغد .. نقطة ضعفك الوحيدة .. صحيح أنك من نار ، ولكننا أيضًا من طين ، وعلى الرغم من ذلك ، فالطين يلوّثنا ويؤلمنا ، إذا ما ارتطم بوجوهنا .. أنت كذلك تقتلك النيران .

صرخ الشيطان الابن فى رُعب :

— لا .. لا ..

هتف (نور) :

— عبارة جدّى تقول ذلك ، ولكننى لم أنتبه إليها فى البداية .. ولست أدرى كيف ؟.. « النار وحدها تغسل الشُرور » .. وأنت كل الشُرور ..

صرخ (ابن الشيطان) :

— ابنتك ستذهب ضحيّة نجاحك .. إنها تحت سيطرتى .

قبض (نور) على المحقن فى يده الأخرى فى قوّة ، وهو يقول :

— أعلم كيف أحرّرها .

صرخ الشيطان الصغير :

ـ كلّا .. إنها تحت سيطرتى .

والتهبت عيناه مرّة أخرى ، وهو يشير إليها ، هاتفًا :

ـ انظر إليها .. انظر .

تراجعت (سلوى) فى دهشة ، عندما ارتسم ألم هائل على وجه (نشوى) ، وسقط السّيف الشيطانىّ من يدها ، وراحت تتأوّه ، وتصرخ فى آلام مبرّحة :

ـ أبى .. أنقذنى يا أبى .. الرّحمة !! الرّحمة !!

انفطر لتوسّلاتها قلب (سلوى) ، وذاب قلب (نور) ، وهو يهتف فى غضب :

ـ اذهب إلى الجحيم أيها الحقير .. اذهب ..

وأطلق لهيب قاذفة اللهب فى وجه الشيطان ..

الشيطان الابن ..

* * *



٣ ـ الجحيم ..

صرخة هائلة ، ارتجّت لها القلوب ..

صرخة شيطان يحترق ..

لقد كان لهيب قاذفة اللهب الأسطوانية الصغيرة ، يكفى فقط لإصابة بسيطة ، محدودة ، بالنسبة لأىّ رجل عادىّ ..

ولكن اللهب لم يكد يمسّ الشيطان الابن ، حتى اشتعل جسده كله بالنيران ..

وانطلقت صرخاته هائلة مخيفة ، وهو يتخبّط بالجُدران ، ويرتطم بكل ما يقابله ..

وراح جسده يذُوب أمام عيون (نور) و (سلوى) ..

وتراجع (نور) فى حِدّة ، وهبط فى درجات السُّلّم قفزًا ، حتى وقف إلى جوار زوجته الفَزِعة ، وابنته الشاردة .

وتوالت صَرَخات الشيطان ، حتى سقط على ركبتيه ، وقد تحوّل إلى شعلة مُتّقِدة من اللّهَب ..

وغمغم (نور) :

ـ سيترك بقعة سَوْداء على الحائط .. تمامًا مثلما تركها فى حجرة مكتب جَدّى .



وتراجع (نور) فى حِدّة ، وهبط فى درجات السُّلَّم قفزًا ..

لم تتبس (سلوى) ببنتِ شَفَة ، وهى تراقب ذلك الغريم الجهنّمىّ ، الذى استحال إلى كتلة من الجحيم ، وراح يتأوّه فى ألم ..

وفجأة ، نهض الشيطان الابن ..

نهض فى حركة حادّة مخيفة ، انتفض لها جسدا (نور) و (سلوى) ، وصرخ فى وحشية مرعبة :

ــ سأعود ..

ثم تلاشى جسده فجأة ، مخلّفًا خيطًا من اللّهب ، خبا فى سرعة ، ليسود الهدوء المكان فجأة ..

وبعد لحظات من الصمت والسُّكون ، اتجه (نور) نحو السُّلَّم ، وراح يصعد فى درجاته فى بطء ، حتى بلغ ذلك الموقع ، الذى احترق فيه الشيطان الابن ، وتطلّع إلى ذلك القرص المنقوش ، الذى تبقى فى ذلك الموضع ، وانحنى يلتقطه فى هدوء ، إلّا أنه لم يكد يلمسه ، حتى تراجع فى حِدّة ، وهو يهتف :

ــ يا إلٰهى !!.. إنه ملتهب فى شِدّة .

أتاه صوت (نشوى) جافًا ، وهى تقول :

ــ سيبرد .

التفت إليها ، هو وأمّها ، فى دهشة ، وسمعاها تضيف فى شرود مخيف :

ـــ سيبرد مع مرور الوقت .

ثم أدارت عينها إلى السَّيف الشيطانىّ ، المُلْقَى أرضًا ، وأضافت :

ـــ وعندئذ ألحق بسيِّدى .

وبسرعة ، انحنت تلتقط السَّيف الشيطانىّ ، وأدارت نصله إلى قلبها ، صارخة :

ـــ ألحق به فى الجحيم ..

* * *

لم تتصوَّر (سلوى) فى نفسها أبدًا ، القدرة على أن تفعل هذا .. إنها لم تكد ترى ابنتها ، وهى تهمّ بقتل نفسها ، حتى تحوَّلت فجأة إلى وحش كاسر ..

وحش يتحدَّى الدنيا كلها ، من أجل أبنائه ..

وبسرعة مُذهلة ، وقبل أن يتحرَّك (نور) من مكانه ، قفزت (سلوى) نحو ابنتها ، وانتزعت السَّيف من قبضتها ، وهى تهتف :

ـــ لا .. لن يهزمنا ذلك الحقير ، بعد أن صرعناه .

أطلَّ غضب هائل من عينى (نشوى) ، ورفعت كفَّها لتلطم أمَّها ، إلا أن (نور) بلغ موضعها فى تلك اللحظة ، فقفز نحو (نشوى) ، وأمسك معصميها فى قوَّة ، وهو يقذف المحقن إلى (سلوى) ، صائحًا :

ـــ بسرعة يا (سلوى) .. سينبلج الفجر بعد لحظات .

التقطت (سلوى) المِحْقن ، ومسحت الدموع التى ملأت عينيها ، ثم اتجهت نحو ابنتها ، وهى تغمغم فى حزن :

ـــ إننا نفعل هذا من أجلك يا بنيَّتى .. من أجلك .

وغاصت إبرة المِحْقن فى عروق (نشوى) ..

وراح جسد (نشوى) يرتجف فى قوَّة ..

وأطلَّت من عينيها توسُّلات الدنيا كلها ..

ثم انطلقت تبكى فى حرارة ، وهى تهتف :

ـــ أنقذنى يا أبى .. أنقذينى يا أمى ..

اغْرَوْرَقَتْ عيونهما بالدموع ، وبدت توسُّلاتها كأنَّما هى نار تحرقهما ، حتى هدأ جسدها ، واستكانت تمامًا ..

وفى اللحظة نفسها ، انطلق أذان الفجر ..

وفتحت (نشوى) عينيها فى إرهاق ، واغْرَوْرَقَت العينان الجميلتان بالدموع ، وهى تغمغم فى ضعف :

ـــ أبى .. أمِّى .. ماذا حدث ؟.. ماذا أصابنى ؟

ربَّتت أمها على كتفها فى حنان ، وهى تغمغم :

ـــ لقد انتهى كل شىء يا بنيَّتى .. انتهى كل شىء .

تنهَّد (نور) فى ارتياح ، ونهض واقفًا ، وهو يقول :

ـــ نعم .. انتهى كل شىء .

تعاون مع زوجته على إيقاف ابنتهما ، التى بدت متهالكة ، وقال وهو يقودها إلى خارج المنزل :

— سنغادر هذا المكان يا (سلوى) .

غمغمت (سلوى) وهى تبكى :

— كنت سأتوسّل إليك أن تفعل ، فلم أعُد أحتمل هذا المكان .

قادهما إلى سيّارته ، المتوقّفة خارجًا ، وأجلسهما فى عِناية وحَنان ، ثم اعتدل وتنهّد مرّة أخرى ، وقال :

— من العجيب أننى أيضًا لم أعُد أحتمله .

وفجأة ، اتسعت عيناه ، وهتف :

— القرص .

واندفع نحو المنزل ، وقفز درجات سُلّمه قفزًا ، حتى بلغ ذلك الموضع ، الذى احترق فيه (ابن الشيطان) ، وتنهّد فى ارتياح ، عندما رأى القرص فى موضعه ، فأخرج من جيبه صندوقًا صغيرًا ، دفع داخله القرص الساخن ، ثم أغلقه فى إحكام ، وهو يغمغم :

— ينبغى التخلّص منه بأيّة وسيلة .

ودسَّ الصندوق فى حزامه ، ثم عاد إلى سيّارته ، وابتسم وهو يدير محرّكها ، قائلًا :

— لقد انتهى كل شىء بالفعل يا سادة .

وانطلق بسيّارته الصّاروخيّة ، تحت المطر المنهمر ، والرياح الشديدة ، وهو يستطرد فى ارتياح تام ، تسلّل إلى كل حواسه :

— لقد انتصرنا .

ولكن قوله هذا كان متعجّلًا بشِدّة ..

فهناك ..

تحت المطر والرياح ..

بين الأشجار الباسقة ..

وسط الأغصان المتشابكة ..

كان هناك شخص يقف متربّصًا ..

شخص آدمىّ ..

كان يقف (صفوت) ، الصحفىّ الخائن ، وعميل (ابن الشيطان) ..

ومن عينيه أطلّت نظرة شيطانيّة وحشيّة ..

كان مَوْعد مهمّته المحدودة قد حان ..

حان بالفعل ..

* * *

٤ ـ الحُلْم ..

كان الضّباب يحيط بكل شيء ..

ضباب كثيف مخيف ..

وكان (نور) يجتاز الضباب فى هدوء ، وكأنما يعلم طريقه جيّدًا ..

وكان يرتدى زيًّا فرعونيًّا ..

ومن وسط الضباب ، بدا هناك شخص يقترب ..

شخص مألوف ..

وتوقّف (نور) ؛ ليرى القادم ..

وتراجع فى توتُّر ، عندما أبصره ، وتعرّفه ..

لقد كان ذلك الشيطان الصغير ..

الشيطان الابن ..

نفس الوجه الوسيم المليح ..

نفس الابتسامة الشيطانية ..

العيون النارية ..

وبصوت قوىّ عميق ، وبسُخرية لا حدود لها ، قال (ابن الشيطان) :

ـ عزيزي (أوزيريس) .. تقبّل تحيات أخيك .

صاح (نور) فى صرامة :

ـ لست أخى يا (ست) .. أنت ابنه .. (ابن الشيطان) .

أطلق الشيطان الابن ضحكة ساخرة ، والتمعت عيناه ، وهو يقول :

ـ وماذا فى ذلك يا عزيزى (أوزيريس) ؟.. أنت أيضًا ابن (آدم) .

هتف (نور) :

ـ هذا يَعْنى أننا عَدُوّان .

صاح (ابن الشيطان) فى غضب :

ـ بل إنك عبدى .. فأنا فى طريقى إليك .. سأعود .. سأعود ..

راح يردّد تلك الكلمة الأخيرة فى لهجة وحشيّة ، وهو يتراجع ، ويغوص وسط الضباب ..

وصرخ (نور) :

ـ لا .. لا .. لا ..

كان يردِّد صرخته فى ثورة ، حتى شعر بيد تهزُّه فى قوَّة ، وسمع صوت (سلوى) تهتف فى جزع :

ـ (نور) .. استيقظ يا (نور) .. استيقظ .

استيقظ دفعة واحدة ، واعتدل فى فراشه بحركة حادَّة ، وتطلَّع إلى ما حوله فى توتُّر ، ثم زفر فى قوَّة ، وهتف :

ـ يا إلٰهى !!.. كان كابوسًا بَشِعًا .

ربَّتت على كتفه فى حنان ، وهى تغمغم :

ـ أهو نفس الكابوس ؟

أومأ برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ نعم .. فى كل مرَّة يتبدَّل المكان .. فتارة يكون ساحة صراع رومانية قديمة ، وأخرى يكون أرض معركة فرنسية ، وثالثة يكون ثلوجًا روسيَّة .. ولكن التفاصيل الأخرى لا تتغيَّر .. نفس الضباب ، ونفس ذلك الحقير يبرز من الضباب ، ويؤكِّد أنه سيعود .

تمتمت (سلوى) فى إشفاق :

ـ ينبغى أن نستشير (رمزى) ، فهو الخبير النفسىّ للفريق ، ولقد غادر المستشفى أمس .

تنهَّد ، وهو يقول :

ـ أعلم ما سيقوله (رمزى) .. سيقول إنَّ كلمات (ابن الشيطان) الأخيرة قد علقت فى ذهنى ، وولَّدت فى أعماق خوفًا دائمًا من عَوْدته ، مِمَّا جعل تلك الكوابيس تهاجمنى دَوْمًا .

غمغمت فى حَنان :

ـ أظن أنه تفسير منطقىّ .

أومأ برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ إلى حدٍّ ما .

ثم نهض من فراشه ، ووقف يتطلَّع من النافذة ، مستطردًا :

ـ ولكننى لست أدرى لماذا يصنع بى الخوف كل هذا ، فى هذه المرَّة بالذات ، على الرغم من أننا قد واجهنا الأهوال من قبل ؟

تبعته (سلوى) إلى النافذة ، وهى تقول :

ـ ربَّما لأنك تعلم أن (ابن الشيطان) يستطيع العودة هذه المرَّة ، لو قرأ أحدهم اسم أبيه ، المنقوش بتلك اللُّغة الشيطانية ، على ذلك القرص البَشِع .

لوَّح بذراعه ، هاتفًا :



ثم نهض من فراشه ، ووقف يتطلّع من النافذة ، مستطردًا :
ــ ولكننى لست أدرى لماذا يصنع بى الخوف كل هذا ..

ــ ولكن القرص الآن داخل خزانة خاصّة ، فى إدارة البحث العلمى ، التابعة للمخابرات العلمية ، والدكتور (عبد الله) ، مدير الإدارة يواصل البحث ، ليلًا ونهارًا ، لإيجاد وسيلة لتدميره ، فما الذى يخيفنى إذن ؟

أجابته فى قلق :

ــ أن يقرأ أحدهم النقش ، ولو بالمصادفة ، فيعود الشيطان .

صمت لحظات ، ثم تمتم فى حزم :

ــ نعم .. أنت على حقّ .

وزفر فى قوّة ، ثم استطرد :

ــ سأذهب فى الصباح الباكر إلى هنالك ..

وخُيِّل إليه أن الظلام يرسم صورة لذلك الشيطان الصغير ، وهو يبتسم ابتسامة ساخرة واسعة ، فأردف فى حزم :

ــ إلى حيث القرص الملعون ..

* * *

هزّ الدكتور (عبد الله) رأسه نفيًا ، وهو يقول فى أسف :

ــ كلّا يا (نور) .. بعد كل التجارب التى أجريناها ،

يمكننى أن أؤكّد أنه ما من وسيلة معروفة ، وسط كل علومنا الحديثة ، لتدمير هذا القرص اللعين .

أمسك (نور) يده فى قوّة ، وهو يقول :

ـــ المهم ألّا يقع ذلك القرص فى يد أىّ مخلوق سواك يا دكتور (عبد الله) ، مهما كان السبب .

ربّت الدكتور (عبد الله) على كفّه ، وقال :

ـــ اطمئن يا ولدى .. هذا القرص لا يفارقنى طيلة النهار ، حيث أُجرى عليه تجاربى ، وبعدها أضعه داخل خزانة خاصّة ، يستحيل تدميرها ، إلّا بواسطة مدافع اللّيزر ، ويقوم على حراستها جنديّان ، تلقّيا تدريبات مكثّفة قويّة ، ومُستعدّان للموْت ، فى سبيل منع أى مخلوق من بلوغها .

زفر (نور) فى قوّة ، وقال :

ـــ أتعشّمّ أن يكون ذلك كافيًا .

ابتسم الدكتور (عبد الله) ، وهو يقول :

ـــ اطمئنّ يا ولدى .. لن يحدث ما تخشاه .

تمتم (نور) :

ـــ أتعشّم ذلك .

ثم اعتدل ، وتبدّلت لهجته ، وهو يقول :

ـــ ما رأيك فى حضور حفل عائلىّ أنيق ، الليلة ؟

ضحك الدكتور (عبد الله) ، وهو يقول :

ـــ أىّ حفل هذا ؟

ابتسم (نور) ، وهو يقول :

ـــ حفل أقيمه فى منزلى ، بمناسبة شفاء (رمزى) و (محمود) ، يحضره الاثنان ، إلى جانب الدكتور (حجازى) ، والدكتور (عزيز) و .. وأنت .

ربّت الدكتور (عبد الله) على كتفه بامتنان ، وقال :

ـــ شكرًا يا (نور) ، ولكننى مرتبط الليلة ببعض الباحثين ، فى ندْوة علميّة بمنزلى ، ولن يمكننى التخلّى عن ذلك الموعد .. شكرًا لك .

نهض (نور) ، وهو يقول :

ـــ كنّا نتمنّى أن تشاركنا حفلنا يا سيّدى ، ولكنه القدر .

نعم يا (نور) ..

إنه القدر ..

قدرك ..

* * *

هتف (رمزى) فى دهشة ، بعد أن استمع إلى قصة (نور) و (سلوى) ، فى أثناء الحفل :

ـــ يا إلهى !!.. يا لها من قصة!! إنها تبدو أشبه بالأساطير .. خيالات وشياطين وأوهام .. إنها خرافة روائيّة مثيرة .

أضافت (نشوى) ، وهى ترتجف :

ـــ ومُرْعبة .

تطلّع إليها (رمزى) فى إشفاق ، وقال :

ـــ بالتأكيد ، مادامت هدّدتنى بالحرمان من خطيبتى ، وزوجة المستقبل .

رمقته (نشوى) بنظرة حياء ، وغمغمت :

ـــ لستُ أمْزَح .

ضحك قائلًا :

ـــ ولا أنا .

أطلق (محمود) ضحكة عالية ، وقال :

ـــ المهمّ أن الأمر قد انتهى بسلام .

ابتسم الدكتور (حجازى) ابتسامة باهتة ، وتبادل مع الدكتور (عزيز) نظرة قلقة ، قبل أن يغمغم هذا الأخير :

ـــ انتهى ؟!

وأسرعت (سلوى) تقول فى حزم :

ـــ نعم يا دكتور (عزيز) .. لقد انتهى .

اكتفى (نور) بابتسامة باهتة ، وفى رأسه تردّدت عبارة الشيطان الابن الأخيرة ..

سأعود .. .

* * *

اعتدل حارس مبنى إدارة البحث العلمىّ ، التابعة للمخابرات العلمية المصرية ، واستوقف ذلك الشابّ ، الذى اتجه إلى المبنى ، وقال له فى حزم :

ـــ قِفْ .. هل تحمل بطاقة مرور ؟

أجاب الشابّ فى قوّة :

ـــ كلّا .

تطلّع الحارس فى قلق إلى عينى الشابّ ، اللّذيْن بدتا شاردتين ، جامدتين ، ينبعث منهما بريق مخيف ، وغمغم فى توتُّر :

ـــ كيف تتصوّر عبورك إلى الداخل إذن ؟

أجابه الشابّ فى صرامة :

ـــ أنا صحفىّ .. اسمى (صفوت) .

استعاد الحارس سيطرته على نفسه ، وهو يقول فى حزم :

ـ الصحفيون أيضًا يحتاجون إلى بطاقة المرور الخاصة .
قال الشابّ فى لهجة مخيفة :
ـ قُلت لك إننى لست أحمل بطاقة المرور .
هتف الحارس فى حزم :
ـ فى هذه الحالة ..
قاطعه الشاب ، بنفس اللهجة المخيفة :
ـ ولكننى أحمل جواز مرور خاصّ .
تطلّع إليه الحارس فى حَيْرة ، وهو يغمغم :
ـ جواز مرور خاصّ ؟!.. أى جواز هذا ؟
دسّ (صفوت) يده فى جيبه ، وأخرجها تحمل مسدّسًا عجيب الشكل ، وهو يقول :
ـ هذا .
رآه الحارس يضغط زِرَّ المسدّس ، فقفز جانبًا ، وهو يصرخ :
ـ النّجدة يا رفاق !!
ولكن قفزته لم تُفِد كثيرًا ..
إن المسدّس العجيب لم يُطلق خيطًا من أشعة اللّيزر ، يمكن تفاديه ..

لقد أطلق قنبلة ..
قنبلة عاتية ، وسط عاصفة هوجاء ، مزّقت جسد الحارس تمزيقًا ، وأطاحت بباب المركز ، وأطلقت كل صفارات الإنذار ..
وفى هدوء ، وكأنما الأمر لايَعْنيه ، تجاوز (صفوت) الأشلاء والحُطام ، واتجه مباشرة إلى حجرة الدكتور (عبد الله) ، حيث تلك الخزانة ، التى تحوِى القرص ..
قرص الشيطان ..
واعترض حرّاس المبنى طريقه ، وأطلقوا عليه أشعتهم اللّيزريّة ، التى بدت وكأنها تتلاشى على جسده ، وتنهار على ثيابه ..
وأطلق مسدّسه الشيطانى العجيب قذائفه ..
وتفجّرت الأجساد والأبواب ..
ودافع حارس الخزانة عنها فى استماتة ..
وانفجر جسد أحدهما بقنبلة شيطانية ، فالتقط الآخر جهاز إرساله الخاصّ ، وصاح فى توتُّر :
ـ النّجدة !! إننا نواجه هجومًا من شيطان .. شيطان لاتؤثّر فيه أسلحتنا .. شيطان مَريد ..

كانت هذه آخر كلماته ..

لقد مزّقته قنبلة شيطانية أخرى ..

ولم تكن صفارات الإنذار قد توقّفت ، عندما وَطِئ (صفوت) أشلاء الحارس الأخير ، واتّجه نحو الخِزانة ، وصوّب إليها مسدّسه الشيطانىّ ، و .....

أطلق النار ..

وانفجرت الخِزانة ..

تمزّقت تمزيقًا ..

لم يبق منها سوى أكوام من الشظايا ..

والقرص الشيطانىّ ..

وحده بقى سليمًا ..

وحده لم يَمْسَسْه ضرر ..

وتألّقت عينا (صفوت) ، بذلك البريق الشيطانىّ ، وانحنى يلتقط القرص ، وهو يقول كالمنوّم .

ـــ لقد حان موعد عودة سيّدى .. حان .

وغادر المكان حاملًا غنيمته الثمينة ..

وعاد الخطَر ..

* * *

٥ ـــ عودة الشيطان ..

أدار الدكتور (عبد الله) عينيه فى أسًى ، فى كل ما حوله من خراب ودمار ، داخل إدارة البحث العلمىّ ، ثم تطلّع فى توتّر وحزن إلى الخزانة المحطّمة ، وأشلاء جثث حراس أمن المبنى ، وزفر من أعمق أعماق صدره ، وهو يقول :

ـــ إذن فهو لم يسرق سوى ذلك القرص الشيطانىّ ، على الرغم من كل ما أحاق به من دمار وخراب .

هتف أحد الحراس فى توتُّر بالغ :

ـــ إنه شيطان يا سيّدى .. إننى لم أرَ فى حياتى كلها ، فيما عدا ما شاهدته من أفلام الخيال العلمىّ ، رجلًا واحدًا ، يهزم فريقًا من أبرَع رجال الأمن ، كما حدث هنا .

تمتم الدكتور (عبد الله) :

ـــ ربما كان يرتدى دِرْعًا خاصًّا ، أو .....

هتف الحارس :

ـــ وماذا عن ذلك المدفع ، الذى كان يحمله فى يده ؟

تنهَّد الدكتور (عبد الله) ، وهو يقول :

ــ أنت على حق يا ولدى .. يبدو أننا نواجه قوَّة غامضة .

هتف حارس آخر فى انفعال :

ــ بالتأكيد .. إننا حتى هنا لم نتوصَّل بعد إلى ذلك النوع من القذائف .. إنه كان يحمل مسدَّسًا عجيب الشكل ، صغير الحجم ، يُطلق قنابل شديدة التدمير .

أشار إليه الدكتور (عبد الله) أن يصمت ، وقال :

ــ ألم يعلم أحد أين ذهب ؟

قال حارث ثالث :

ــ لقد حاولنا تَتبُّعه يا سيِّدى ، ولكنه اختفى فجأة من شاشة الرادار ، كأنما قد غاص فى أعماق الأرض .

ارتفع حاجبا الدكتور (عبد الله) ، وهو يقول :

ــ فى أعماق الأرض ؟!

بدت له الفكرة مخيفة ، حتى أنها بعثت فى جسده قُشَعْرِيرَة باردة ، قبل أن يستطرد فى توتُّر :

ــ ولِمَ لا ؟..

واتَّسعت عيناه فى ذُعْر ، وهو يُرْدِف :

ــ يا إلهى !!.. لقد تحقَّقت مخاوف (نور) .. لقد عاد الرُّعْب .. عاد (ابن الشيطان) ..

* * *

تألَّقت عينا (صفوت) ، وهو يحمل القرص الشيطانىّ فى تقديس ومهابة ، ويضعه فوق مائدة صغيرة سَوْداء ، يعلوها شمعدان ثُمانِىّ ضخم ، تشتعل فيه ثمانى شمعات سَوْداء ..

وتراجع (صفوت) فى بطء وازدادت عيناه تألُّقًا ، وهو يتطلَّع إلى القرص ، قبل أن يرفع ذراعيه عاليًا ، ويهتف :

ــ واسيِّدى .. وأباه العظيم .

برقت السماء إثر كلماته ، وانهمر منها مطر غزير ، وهو يتابع بصوت جَهْورِىّ :

ــ لقد أطعت .. وقاتــلت .. والآن حانت لحظــة العَوْدة .. عودة سيِّدى .

دَوَّى قصفُ الرعد فى قوَّة ، واختلط بكلماتــه ، وهــو يستطرد فى انفعال جُنُونى :

ــ الآن .. وعندما يحتفل أعداؤه بانتصارهـم عليه ، سيعود سيِّدى .. سيعود .. الآن سأقرأ أنا .. مساعده البشرى المسكين اسم أبيه .. وسأعيده .. سأعيده إلى الأرض .



تألقت عينا (صفوت) وهو يحمل القرص الشيطانىّ فى تقديس ومهابة ، ويضعه فوق مائدة صغيرة سوداء ..

وسقط على ركبتيه ، وبلغ صوته عنان السماء ، وهو يَصْرُخ :

ــ سأقرأ النقش .

وبكلمات لا مثيل لها ..

بحروف شيطانية مجهولة ..

بكل الشرّ الرابض فى أعماقه ..

قرأها (صفوت) ..

قرأ الكلمة المَلْعونة ..

* * *

شهقة قويّة ، انطلقت من بين شفتى (نور) ، فى اللحظة ذاتها ..

شهقة أفزعت الجميع ، وفاجأتهم ..

وبنظرات ملؤها الدهشة والحَيْرة ، تطلّعوا إليه ..

وكانت (سلوى) أوّل من هتف :

ــ ماذا بك ؟

هزّ رأسه فى حَيْرة ، وانعقد حاجباه ، وتصبّب العرق على جبينه ، وهو يغمغم :

ــ لستُ أدرى .. لقد .....

أشار إلى قلبه ، وتردَّد لحظات ، ثم لم يلبث أن رسم على شفتيه ابتسامة باهتة ، وهو يغمغم :

ـــ ربما هى غُصَّة عابِرَة .

صمتوا وهم يتطلَّعون إليه فى قَلَق وشكّ ، حتى أجبر نفسه على إطلاق ضحكة عالية ، وهو يقول :

ـــ ماذا أصابكم ؟.. الأمر لا يستحق أن تتوتَّروا هكذا .. هيَّا .. فلنواصل الاحتفال بعوْدة زميلنا .

ابتسمت (سلوى) ، وهى تقول :

ـــ وابنتنا .

وعاد الجميع إلى مَرَحهم ، فيما عدا اثنين ..

الدكتور (عزيز) ، الذى عقد حاجبيه فى قَلَق ، وهو يتطلَّع إلى (نور) ، محاولاً استشفاف ما أصابه ..

و (نور) نفسه ، الذى جمَّد ابتسامته على شفتيه ، وشَرَدَ ببصره بعيدًا ، وقد راحت عبارة (ابن الشيطان) الأخيرة تتردَّد فى عقله ، قويَّة عنيفة :

ـــ سأعود .. سأعود .. سأعود ..

ولقد عاد ..

* * *

ارتجف جسد (صفوت) كله ، وراح يرتعد فى قوَّة ، وهو

يتطلَّع فى ذُعْر وذُهول إلى القُرْص المَلْعون ، حيث اندلع لسان من اللهب ، راح يتراقص ، ويتشكَّل فى بطء ، وبإيقاع مخيف مُتواتِر ، حتى بدا أشبه بجسد بشرىّ ، ثم تكثَّف ، وتجمَّد ..

وشهق الصحفىّ فى قوَّة ، عندما خبا اللهب فجأة ، واختفى القرص ، وظهر (بعلزبول الصغير) ..

(ابن الشيطان) ..

كانت عيناه تتَّقِدانِ بلهيب رهيب ..

لهيب ظَفَر وغَضَب ..

لهيب انتقام ..

ومضت لحظات ، وهو يعقد ساعديه أمام صدره ، قبل أن يقول بذلك الصوت العميق ، الذى يصعد من قرار الجحيم :

ـــ لقد غُدِت .

قالها بلهجة شامتة ، غاضبة ، فازدرد (صفوت) لُعابه فى صُعوبة ، وغمغم فى صوت متحشرج :

ـــ نعم يا سيِّدى .. لقد عُدت .

اعتدل (ابن الشيطان) ، وقال فى صرامة :

ـــ أجل .. لقد نفَّذتَ مهمَّتك بنجاح أيها الآدمىّ .

هتف (صفوت) فى لهفة :

ـ لقد قمت بما أمرتنى به تمامًا يا سيِّدى .. استخدمت كل ما تركته لى ، على نفس النحو ، الذى أمرتنى به تمامًا .. ذلك الجهاز الصغير حدّد لى موقع القرص بمنتهى الدِّقَّة ، وسُتْرَة الدفاع وقتنى من كل ضربات اللّيزر ، وذلك المسدَّس الرائع فتح لى كل الأبواب .. آه يا سيِّدى !! ستربح المليارات ، لو أنك طرحت تلك المبتكرات الرهيبة ، فى سوق الحروب ، و .....

قاطعه (الشيطان الابن) فى صرامة :

ـ كفَى .

أُطبَق (صفوت) شفتيه على الفور ، ولم ينبس ببنتِ شفَة ، على حين استطرد الشيطان الصغير فى صرامة :

ـ لقد نفَّذت ما أمرتك أنا به .. أدّيت مهمَّتك الوحيدة ، التى أعْددْتُك لها منذ البداية ، ولولا عبقريَّة ذلك الرائد ، ما قمت بهذه المهمَّة أبدًا .

ازدرد (صفوت) لُعابه مرَّة أخرى ، وغمغم :

ـ أأستحق جائزة يا سيِّدى ؟

ارتسمت على شفتى رمز الشرّ ابتسامة غامضة ، وهو يقول :

ـ بالطَّبع .

ثم أشار بيده ، مُرْدِفًا :

ـ أنت الآن تعلَم كل شىء عنّى أيها الآدمىّ .. تعلم مَنْ أنا .. ومَنْ أعدائى .. وكيف أواجههم .. بل وتعلم أيضًا كيف يمكنهم مواجهتى ، وبأىّ سلاح يهزموننى .. والأدهى أنك تعلم أيضًا كيف يمكنك إعادتى إلى أرضكم .

اشتمَّ (صفوت) من لهجته رائحة مخيفة ، فتمتم فى توتُّر :

ـ أظن أننى أستحق جائزة لهذا يا سيِّدى .

عادت تلك الابتسامة الغامضة إلى شفتى (الشيطان الابن) ، وهو يقول :

ـ سبق أن أخبرتك بحتميَّة حصولك عليها .

ثم استدرك بلهجة ساخرة :

ـ ولكن أى عمل ستقوم به فيما بَعْدُ ؟

تمتم (صفوت) ، وقد شعر بتوتُّر حقيقىّ يَسْرِى فى عروقه ، ويسيطر على كل خليَّة من خلاياه :

ـ أنا رهن إشارتك يا سيِّدى .

مطَّ سيِّده شفتيه ، ولوَّح بكفِّه ، قائلًا :

ـ من المؤسف أنك لن تفيدنى إلا على نحو محدود ،

فلا يوجد ما يمكنك أن تقوم به ، وأعجز عنه أنا ، سوى إعادتى إلى الأرض .

واكتسى صوته برنة مخيفة ، وهو يستطرد :

ـــ ولقد أقسمت ألا يحدث ذلك ثانية .

مرّة جديدة ازدرد (صفوت) لعابه ، وغمغم فى خوف :

ـــ ماذا تعنى يا سيِّدى ؟

برقت عينا الشيطان الابن ببريق مخيف ، وهو يقول :

ـــ أعنى أنه لم يَعُدْ هناك ما يمكن أن أمنحك إيَّاه ، سوى تلك المكافأة ، التى حصل عليها (سِنِمَّار)(*) .

اتسعت عينا (صفوت) فى رُعْب ، وهو يغمغم :

ـــ (سِنِمَّار) ؟!

اتجه الشيطان الابن نحوه ، وهو يقول فى لهجة مخيفة :

ـــ نعم أيها الآدمىّ .. ستنال جزاء (سِنِمَّار) .

راودت (صفوت) فى البداية فكرة الفرار ، ثم لم يلبث أن أيقن استحالة ذلك ، وهو يواجه رمز الشرّ نفسه ، فانهار ، وبكى وهو يقول فى ضراعة :

(*) (سِنِمَّار) : مهندس قديم ، طلب منه أحد الملوك أن يبنى له قصرًا يزخر بالأنفاق السِّرِّيَّة ، وبعد أن صنعها له (سِنِمَّار) ، قتله الملك ، حتى لا يعلم أى مخلوق حتى سِرّ الأنفاق ، وأصبح ما حصل عليه (سِنِمَّار) مثلًا يقال فى الخيانة .

ـــ الرَّحمة يا سيِّدى .. الرَّحمة !! أنا أعدتك إلى الأرض .. الرَّحمة !!

أطلق (ابن الشيطان) ضحكة ساخرة ، وقال :

ـــ الرَّحمة ؟!.. ألم أخبرك من قبل ، أن قاموسى لا يحوى تلك الكلمة أبدًا .

ثم وضع كفَّيه على كتفى (صفوت) ، وهو يصرخ فى قسوة :

ـــ أبدًا .

انطلقت من كفِّه اليُسْرَى بخة صاعقة قويَّة ، سرت فى جسد (صفوت) ، الذى ارتجف ، وحجظت عيناه فى قوَّة ، قبل أن تمتص يد الشيطان الصغير اليمنى الصاعقة ، ويسقط (صفوت) جثَّة هامدة ..

وبابتسامة ساخرة ، غمغم (مبعوث الجحيم) :

ـــ أكنت تتوقَّع أكثر من ذلك منِّى أنا ؟!

وأطلق ضحكة ساخرة أخرى ، ثم عادت ملامحه تكتسى بالشراسة ، وهو يستطرد :

ـــ والآن .. لم يَعُدْ أمامى سوى حفيد (أوزيريس) .. وستكون المعركة هذه المرَّة حاسمة .. ونهائية ..

* * *

٦ ـ المفاجأة ..

لم ينجح (نور) أبدًا فى الاندماج بالحفل ..

كان يشعر طيلة الوقت بقلَق غامض ، ينتزع منه كل إحساس بالبهجة أو المَرَح ..

ولقد قاوم رغبته الشديدة ، فى الاتصال بإدارة البحث العلمىّ ، للاطمئنان على القرص ، الذى لم يكن قد علم بَعْدُ بما حدث له ..

ولقد لاحظت (سلوى) شروده ، فمالت عليه ، وهمست فى قَلَق :

ـ (نور) .. ماذا بك ؟.. إنك تبدو قلقًا ومتوتّرًا للغاية .

ابتسم ابتسامة باهتة ، وهو يقول :

ـ أتعنين أننى أفسد الحفل ؟

ربّتت على كتفه فى حنان ، وغمغمت مُشْفِقَة :

ـ إلى حدّ ما .

غمغم فى توتُّر :

ـ سأحاول إخفاء ذلك .

هزّت رأسها نفيًا ، وقالت فى حنان :

ـ سيزيدك ذلك توتُّرًا ..

ومالت نحو أذنه ، مستطردةً فى همس :

ـ سأحضر لك قرصًا مهدِّئًا .

غمغم فى حَنَق :

ـ إننى أكره هذه الأشياء .

ابتسمت قائلة :

ـ للضرورة أحكام .

تركته واتجهت نحو حمّام المنزل ، لتحضر قرصًا مهدِّئًا من الصيدلية الصغيرة ، ووقفت أمام مِرآة الصيدليّة ، مغمغمة :

ـ (نور) شديد التوتُّر هذا المساء .. قصّة ذلك الشيطان تقلقه حقًّا ، على الرغم من ......

بترت عبارتها بغتة ، وتجمّدت يدها المتجهة إلى مقبض صيدلية المنزل ، واتسعت عيناها فى ذُعْر ورُعْب هائلين ، وهى تحدّق فى المرآة ، التى نقلت صورتها ، وصورة شخص آخر من خلفها ..

صورة (ابن الشيطان) ..



حدث ما يخالف كل القواعد العلميَّة المعروفة ..
لقد امتدَّت يد الشيطان الابن عبْرَ المرآة ..

وفى رُعْب استدارت (سلوى) خلفها ، وهى تتوقَّع أن تجد مبعوث الجحيم هذا ، ولكن ..

لم يكن هناك أحد ..

كان الحمَّام خاليًا تمامًا ..

وبسرعة عادت تلتفت إلى المرآة ، وشهقت فى رُعْب ..

كان ذلك الشيطان الابن هناك فقط ..

كان داخل المرآة ، وليس خارجها ..

وفى هذه المرَّة كان يبتسم ..

ثم اتجه نحوها فى هدوء ..

كان يبدو فى المرآة وكأنه يأتى من خلفها ، ولكنها كلما استدارت لم تجد شيئًا ..

وقال (مبعوث الجحيم) فى شراسة :

ـ لقد عُدت ..

وفجأة ، حدث أعجب شىء فى الدنيا ..

حدث ما يخالف كل القواعد العلميَّة المعروفة ..

لقد امتدَّت يد الشيطان الابن عبْرَ المرآة ..

خرجت اليد من المرآة ، كأنما هى صورة هولوجرافية مجسَّمة ، ولكنها عندما قبضت على عُنق (سلوى) ، كانت يدًا حيَّة قويَّة ..

وكانت تضغط عُنق (سـلوى) ، وتجـذبها إلى ذلك العالم المُذْهِل ..

عالَم المرآة ..

* * *

كانت (نشوى) تجلس هادئـة ، إلى جوار خطـيبها (رمزى) ، عندما قفز إلى قلبها فجأة شعور بالخوف ..

الخوف على أمها ..

لم يكن لهذا الشعور ما يبرّره فى نظرها ، والمكان كله يبدو هادئًا على هذا النحو ، ولكنه كان يضرب مشاعرها فى قوّة وعُنف ..

وأخيرًا ، وجدت نفسها عاجزة عن مقاومته ، فنهضت بغتة ، مما أثار دهشة (رمزى) ، فسألها فى حَيْرة :

ـ ماذا هناك ؟

ابتسمت فى صعوبة ، وغمغمت :

ـ لا شىء .. فقط أشعر ببعض الصُداع .. سأذهب إلى الحمّام ، لتناول قرص مُسكّن .

تمتم فى حنان :

ـ لا بأس .

بحثت بعينيها عن أمّها ، وهى تندفع نحو الحمّام ، ولكنها لم تجدها ، فتضاعف ذلك الشعور بالقلق فى أعماقها ، ودفعت باب الحمّام فى قوّة ، وتركته يُغلق خلفها آليًا ..

ثم سمّرها الرُعب فى مكانها ..

كانت أمّها تقف هناك ، أمام المرآة ، وهى تقاوم فى شراسة يدًا مخيفة ، برزت من المرآة ، وقبضت على عنقها ، وراحت تجذبها إلى داخل المرآة ..

وصرخت (نشوى) :

ـ أمّاه ..

التفتت إليها (سلوى) ، وصرخت فى صوت مُختَنِق :

ـ النّجدة !! النّجدة يا (نشوى) !! إنه يجذبنى إلى عالَمه .

اندفعت (نشوى) نحو أمّها ، ولكنها لم تكد ترى وجه الشيطان الابن فى المرآة ، حتى تراجعت فى رُعب ، ولكن أمّها عادت تصرخ :

ـ النجدة !! أنقذينى يا بنيّتى .

لم تدرِ (نشوى) ماذا تفعل ، فقاومت رُعبها ، واندفعت مرّة أخرى نحو أمّها ، وراحت تجذبها فى الاتجاه المضادّ ، والشيطان الابن يطلق ضحكاته الساخرة ، ويهتف :

ـــ اجذبى .. اجذبى فى قوّة ، ولنرَ من منّا يفوز برأسها ..
كان الجذب من الناحيتين يكاد يقتلع عنق (سلوى) بالفعل ، ولقد اختنقت فى شدّة ، وجحظت عيناها فى ألم ..
وأدركت (نشوى) أنها بذلك تقتل أمها ، فراحت تصرخ فى انهيار :
ـــ النّجدة يا أبى !! النّجدة !!
ولكن الجدران العازلة للصوت حجبت صرختها عن أبيها ..
ولأوّل مرّة فى حياتها تكره تلك الجدران الحديثة ..
وفجأة ، ومع ذِرْوة يأسها ، بدا أمامها حلٌ وحيد ..
لقد التقطت أوّل جسم صلب ، أدركته يدها ، وألقته نحو المرآة ..
وتحطّمت المرآة ..
وتردّدت فى المكان صرخة الشيطان الأبن ..
ثم تلاشت يده ..
انهار عالمه بتحطيم المرآة ..
انهار خطره دفعة واحدة ..
وشهقت (سلوى) فى ألم ، وراحت تلتقط الهواء فى ذُعر ، وسرعة ، وهى تلهث من فرط الانفعال ، وأسرعت ابنتها تحيط كتفها بذراعها ، وهى تهتف فى جزع وحنان :

ـــ أمّاه .. أأنت بخير ؟!
أومأت (سلوى) برأسها فى انهيار ، وهى تغمغم :
ـــ نعم .. نعم .. أنا بخير .
ثم استطردت فى هَلَع :
ـــ أين (نور) ؟
أجابتها (نشوى) :
ـــ إنه فى الخارج .. كلهم هناك بخير حال .
انفجرت (سلوى) باكية ، وهى تهتف :
ـــ كيف تركتنى ؟.. كَيف لم يُهْرَع لنجدتى ؟
احتضنتها ابنتها فى إشفاق ، وقالت :
ـــ لم يعلم يا أمّاه .. تلك الجدران عازلة للصوت .. إنه حتمًا لم يعلم .
هتفت بها (سلوى) فى رُعب :
ـــ دَعِينا نغادر هذا المكان .. إننى أشعر برُعب هائل .
أجابتها فى إشفاق :
ـــ سنغادره يا أُمّاه .. سنُغادره ..
عاونتها على النهوض ، وعلى مغادرة الحمّام ..
وفى الخارج كان الباقون منهمكين فى مناقشات سياسيّة واقتصاديّة ، عندما وقعت عيونهم على (سلوى) و (نشوى) ..

وتجمَّدت الدماء فى عرُوقهم بغتة ..

كان مشهد الاثنين لا يحتاج إلى شرح أو تفسير ..

لقد كان يحمل المعنى كاملًا ..

الرُّعْب ..

وعندما نطقت (سلوى) ، حملت كلمتها ما جمَّد الدماء فى عروقهم ، وهى تقول فى صوت مرتجف فى شِدَّة :

ـ لقد عاد .

امْتُقِعَتِ الوجوه ، وشَحُبت ، واتَّسعت العيون ، و .....

وفجأة ، ردَّدت الجدران ضحكته ..

ضحكة (ابن الشيطان) ..

* * *



٧ ـ حفل الرُّعب ..

كانت ضحكة مُرْعِبَة ..

مرعبة بحَق ..

ولقد ردَّدت الجدران صداها لدقيقتين كاملتين ، بعد أن تلاشت الضحكة نفسها ..

ثم هتف الدكتور (عزيز) فى ارتياع :

ـ إنه هو ..

هبَّ (نور) من مقعده ، هاتفًا :

ـ نعم .. هو .

ثم اندفع نحو زوجته ، وأمسك كتفيها ، هاتفًا :

ـ أين هو ؟.. أين ؟

أشارت إلى الحمَّام ، مغمغمة فى رُعْب :

ـ هناك .

اختطف قاذفة اللهب الصغيرة ، التى لم تفارق حزامه أبدًا ، منذ واجه (ابن الشيطان) ، واندفع نحو الحمَّام ، ودفع بابه فى عنف ، وتلفَّت حوله متحفزًا ، قبل أن يصل إليه صوت ابنته ، وهى تقول فى مرارة :

ـــ إنه لم يَعُد هناك .

استدار إليها فى حَنَق ، وهتف :

ـــ أين ذهب ؟.. أين ؟

هزَّت رأسها فى يأس ، وغمغمت :

ـــ لست أدرى .. لقد كان هناك ، داخل المرآة ، يحاول جذب أمّى إليها ، ثم اختفى عندما حطَّمتها .

تمتم (محمود) فى ذُهول :

ـــ داخل المرآة .

انتفض الدكتور (عزيز) ، وهو يقول :

ـــ نعم .. داخلها فقط .

هزّ (محمود) رأسه فى حَيْرة وتوتُّر ، وهو يغمغم :

ـــ مستحيل يا دكتور (عزيز) !!.. هذا يخالف كل القواعد العلمية المعروفة ، ويناقض كل الـ.....

قاطعه الدكتور (عزيز) هاتفًا :

ـــ أيّة قواعد علميّة يا ولدى .. إننا نتحدَّث عن مخلوق ، هو فى حدّ ذاته تحطيم للقواعد العلمية المعروفة ، فكيف تتطلَّب منه أن يتبعها ؟

تمتم (محمود) فى تشكُّك ، لم يَخلُ من نَبْرة خوف :

ـــ ولكن داخل المرآة ؟!..

تلفَّت الدكتور (عزيز) حوله ، وهو يقول فى توتُّر :

ـــ تذكَّر أنه نصف آدميّ فحسب ، أمَّا نصفه الآخر فشيطانىّ بحت ، وهذا يَعْنى أنه يملك جواز المرور بين عالَمَى الجنّ والإنس ، وعالَم الشياطين أيضًا .. إنه المخلوق الوحيد فى الكَوْنِ ، الذى يجُوب العوالم كلها بلا حواجز .

قال (نور) فى حِدَّة :

ـــ ليس الوحيد .. هناك الملائكة .

هتف الدكتور (عزيز) :

ـــ ولكنهم قلَّما يغادرون عالَمهم يا ولدى ، وهم لا يفعلون إلا لأداء مهام محدودة .

صاح (نور) فى غضب :

ـــ ولكن هذا المخلوق البغيض هو أكثر المخلوقات كفرًا وإلحادًا .

تردَّد الدكتور (عزيز) لحظة ، ثم غمغم :

ـــ كفرًا نعم .. فهو يكفر بكل النعم ، التى منحه إيَّاها الله (سبحانه وتعالى) ، ولكنه ليس ملحدًا .

هتف (رمزى) فى غضب :

ـــ ماذا تقول يا سيِّدى ؟.. إننا نجد الملحدين بين بنى البشر، فكيف تدّعى أن (ابن الشيطان) نفسه ليس كذلك.

لوَّح الدكتور (عزيز) بكفِّيه ، مغمغمًا :

ـــ رُوَيْدَك يا ولدى .. لاتناقش تلك الأمور من منطق العِناد أو التعصُّب الأعمى ، فالمنطق وحده ينتصر فى النهاية ، حتى ولو كان الشيطان وحده الذى يملكه .

وأدار عينيه فى وجوه الجمع المستنكر ، وهو يستطرد :

ـــ ماذا يَعْنِى الإلحاد ؟.. إنه يَعْنِى ببساطة عدم الإيمان بوجود الخالق (عز وجل) .. وهذا لا ينطبق أبدًا على الشيطان أو ابنه، وإلَّا فما كان لصراعهما الدائم مبرِّر .. فعدم وجود خالق يَعْنِى أنهما يملكان قوة مطلقة .. ومن يملك القوة المطلقة لا يقاتل بكل هذا العنف والإصرار .. ثم إن الشيطان يؤمن تمامًا بوجود الخالق ؛ لأنه كان أحد ملائكته فيما مضى ، ثم رفض أن يسجد لـ(آدم) ، فأصبح شيطانًا .

قال الدكتور (حجازى) فى توتُّر ، وهو يتلفَّت حوله :

ـــ وما زال يرفض السجود يا سيِّدى ؟

هتف (نور) :

ـــ ولكنه هنا .. فى مكان ما هنا .

لم يكد يلقى عبارته ، حتى تفجَّرت تلك الضحكة الساخرة مرَّة أخرى ، وتبعها صوت ساخر ، يقول :

ـــ نعم .. أنا هنا .

وهنا بدأ حفل الرُّعب ..

بدأ بتشقق فى سقف المنزل ..

ثم تساقطت قطرات الدم من الشُقُوق ..

أمطار من الدم لوَّثت كل شىء ..

الأثاثات ..

الأرضيَّات ..

الوجوه ..

وصرخت (سلوى) فى رُعْب :

ـــ أوقفوه .. أوقفوا ذلك العبث الشيطانىّ .

أمَّا (رمزى) ، فراح يردِّد فى ذُهُول :

ـــ مستحيل !! هذا مستحيل !!

وهتف الدكتور (حجازى) :

ـــ وَهْم .. كل هذا مجرَّد وَهْم .

ومسح الدكتور (عزيز) ذلك الدم ، الذى غطَّى وجهه ، وغمغم :

ـــ بل حقيقة .. حقيقة قاتلة .

ولكن (محمود) و (نشوى) لم ينبسا بحرف واحد ..

لقد التصقا بالحائط فى رُعب هائل ..

وصرخ (نور) :

ــ اظهر أيها الجبان الحقير .. اظهر وواجهنى .

ارتجَّ المكان للمرَّة الثالثة بالضحكة الشيطانية ، وبصوت ساخر يقول فى قوَّة :

ــ ألقِ قواعدك جانبًا هذه المرَّة ، أيها الرائد ، سنلعب هذه المرَّة بقواعدى أنا .

واحتشدت كلماته بالشماتة والظَّفر ، وهو يستطرد :

ــ وبجنودى ..

وعلى الفور ، دبَّت الحياة فى قطرات الدم ، فنهضت .. وانتصب أمام العيون الملتاعة جيش رهيب ..

جيش من الدم ..

* * *



ولكن (محمود) و (نشوى) لم ينبسا بحرف واحد ..
لقد التصقا بالحائط فى رُعب هائل ..

٨ ــ المعركة ..

حدَّقت العيون فى ذلك الجيش الرَّهيب فى رُعب ..

كان جيشًا من جنود من الدم ..

أشباه بشرية ..

كائنات بلا حدود أو أطراف ..

فقط هناك عيون ..

عيون نارية شيطانية ، تحدِّق فى الجميع ..

ثم بدأ الجيش زحفه ..

والتصق الجميع بالحائط ، فيما عدا الدكتور (حجازى) ، الذى يعيد إليه الالتصاق بالحائط ذكرى مُرْعِبة(*) ، و (نور) ، الذى رفض التراجع فى عِناد ..

وهتفت (سلوى) فى رُعب :

ــ ماذا سيفعلون بنا يا (نور) ؟

(*) راجع الجزء الأوَّل .. (ابن الشيطان) .. المغامرة رقم (٧٢) .

انتزع مسدَّسه اللِّيزرىّ من حزامه ، وهو يقول فى صرامة :

ــ لن يقتلنى هذا السؤال يا (سلوى) ، فأنا واثق من أنهم لا يضمرون لنا خيرًا .. السؤال الحقيقى هو كيف ؟

وأطلق مسدسه اللِّيزرىّ نحو أقرب جنود الدم إليه ، وهو يستطرد :

ــ كيف يمكن القضاء عليهم ؟

أصابت أشعة اللِّيزرى الجندىّ الدموىّ ، واخترقته مخلِّفة ثقبًا مُستديرًا ، ثم لم يلبث الدَّم أن كساه ، دون أن يتوقَّف الجندىّ المخيف ، أو يتزحزح ..

وهتف (رمزى) :

ــ لا فائدة يا (نور) .. لا شىء يقتلهم .. إنهم صنيعة شيطان .

عقد (نور) حاجبيه فى صرامة ، وهو يقول :

ــ بئس الصنيعة .

وأطلق مسدَّسه اللِّيزرىّ مرَّة ثانية فى حزم ..

أطلقه نحو عين الجندىّ تمامًا ..

نحو تلك العين النارية الملتهبة ، الشبيهة بعين (ابن الشيطان) ..

وتردّدت فى المكان صرخة ألم ..

صرخة انطلقت من كل الجدران فى آن واحد ..

صرخت جمّدت الدماء فى عروق الجميع ..

وتلاشى الجندىّ فجأة ..

عاد إلى حجمه وكيانه الطبيعيين ..

مجرّد قطرة دم ..

ومن العجيب أنه لم يفعل هذا وحده ..

كل الجنود الدمويِّين تلاشوا دفعة واحدة ..

انهار الجيش كله بطلقة واحدة ..

وتلاشت الصرخة ..

وساد الذُهول لحظة ، ثم هتف (محمود) فى فرح :

— لقد انتصرنا يا (نور) .. انتصرنا .

أعاد (نور) مسدّسه اللّيزرىّ إلى حزامه ، وهو يقول فى صرامة :

— ليس بعد يا (محمود) .. لقد بدأت المعركة على التوّ ، ولن تنتهى على هذا النحو .

التصق به الدكتور (حجازى) بغتة ، وهو يهتف فى رُعب :

— صدقت يا (نور) .. لقد بدأت المعركة .

استدار الجميع إلى حيث يشير الدكتور (حجازى) ، وأدركوا ما كان يعنيه بكلماته ..

لقد كان يشير إلى باب المنزل ، حيث يقف محارب ..

محارب رومانى قديم ، بدُروعه الحديدية ، وخوذته ذات الرِّيش ، وسيفه الضخم القوىّ ..

وفى تلك الصورة ، كان هناك اختلاف واحد ..

لم يكن ذلك المحارب بشريًّا ..

كان هيكلًا ..

هيكلًا عظميًّا مقاتلًا ..

* * *

يمكن الجزم ، دون مبالغة ، بأن الشعور الذى ساد المكان فى هذه اللحظة هو الرُّعب ..

مع قليل من الذُّهول ..

ولمسة استنكار ..

وفى خوف واضح ، غمغمت (نشوى) :

— أى عبث هذا ؟

استلّ (نور) مسدّسه اللّيزرىّ مرّة أخرى ، وهو يقول فى صرامة :

— بل قولى أى عبث شيطانىّ هذا ؟

غمغم (رمزى) ، وهو يحدّق فى الهيكل العظمىّ ، الذى وقف عند الباب جامدًا ، كتمثال من الشمع :

— كيف يمكنك أن تقتل مثل هذا الشىء ؟.. إنه ميّت فعليًّا .

أجابه (نور) فى حزم :

— العينان .. ذلك الشيطان الصغير يقود كل ذلك بعينيه .

تطلّع الجميع إلى عينى الهيكل العظمى ، وأدركوا ما يَعْنيه (نور) ..

فهناك .. فى موضع العينين ، حيث كان ينبغى أن توجد فجوتان مظلمتان ، كانت هناك عينان ..

عينان ملتهبتان بلهيب شيطانىّ ..

وأطلق (نور) أشعة مسدّسه نحو إحداهما ..

وارتفع سيف المقاتل العظمىّ فى سرعة مذهلة ، واستقبل الأشعة على نصله ، وعكسها ، ثم شَهَرَ سيفه بوقفة استعداديّة قتالية ، وانبعث من داخله صوت الشيطان الابن نفسه ، وهو يقول :

— إنه ليس هيكلًا عظميًّا عاديًّا أيها الرائد .. إنه هيكل مقاتل رومانىّ قديم ، قتلته أنت فى حياة سابقة ، حينما كنت تحمل اسم (دوكاكوس) الرومانىّ .

ثم أطلق ضحكة ساخرة ، قبل أن يستطرد :

— ولقد أعدته لينتقم .

وهنا تألّقت عينا الهيكل العظمىّ ورفع درعه أمام جسده ، ولوّح بسيفه فى بطء ، وصوت الشيطان الابن يتصاعد :

— ها هو ذا غريمك (دوكاكوس) يا (سيزار) .. الثأر لنفسك .. انتقم .

وأطلق الهيكل العظمى صرخة مُرْعِبة ، ثم انقضّ على (نور) ..

* * *

كان من الواضح أن هيكل (سيزار) يجعل هدفه (نور) وحده ..

لقد انقضّ عليه مباشرة ، وهوى على رأسه بسيفه الضخم ، ولكن (نور) قفز جانبًا ، وترك السيف يرتطم بالأرض ، على حين اعتلى هو أريكة جانبية ، وقفز من فوقها ، ليتجاوز الهيكل ، ثم دار على عَقِبَيْه فى سرعة ، وركله فى مؤخرة عنقه بقوّة ..

وسقط الهيكل إلى الأمام ، ثم قفز واقفًا على قدميه فى سرعة مذهلة ، وازداد تأجُج لهيب عينيه ، وهو يهوى بسيفه مرّة أخرى على (نور) ..

وتفادى (نور) السيف للمرّة الثانية ، ومال يسارًا ، ثم قفز إلى أعلى وضمّ ركبتيه إلى صدره ، ودفع قدميه فى صدر الهيكل ، الذى استقبل ضربة (نور) على درعه ، ودفعه بعيدًا ، فسقط على ظهره ، ودار حول نفسه دَوْرة رأسية ، ثم قفز واقفًا على قدميه ، يواجه الانقضاضة الجديدة ..

وهتفت (سلوى) فى رُعب :

ـــ هل سنتركك (نور) ؟.. هل سنتركه يواجه هذا الخصم وحده ؟

تبادلوا نظرات التوتُّر ، ثم هتف الدكتور (عزيز) :

ـــ لا أحد يمكنه أن ينضمّ إلى ذلك (الصراع الجهنمى) يا سيِّدتى .. إنه صراع يقتصر على مقاتلين فحسب .

قفز (رمزى) ينتزع من على الحائط ذلك السيف ، الذى احتفظ به (نور) كتذكار ، بعد أن هزم الشيطان فى منزل جَدّه الريفى ، وهتف وهو يلقى به نحو (نور) :

ـــ يمكننا أن نعاون رجلنا على الأقل .

التقط (نور) السيف فى اللحظة الأخيرة ، وأداره ليتلقَّى عليه ضربة سيف المصارع الرومانىّ القديم ، وليبدأ معه تقارع السيوف ..

ولولا أن الجميع يعلمون أنهم فى القرن الحادى والعشرين ..

وأنهم فى منزل (نور) ، لتصوَّروا أن الزمن قد نقلهم إلى العصر الرومانىّ ، فى عهد سيادة الإمبراطورية الرومانية ، وإلى ساحة من ساحات المصارعة التقليديَّة فى ذلك الزمن ، حيث التقى اثنان من أبرع المصارعين ، فى مبارزة تنتهى حتمًا بخسارة أحدهما ..

ومصرعه ..

ولقد بدا لهم (نور) عجيبًا ..

بدا كمصارع رومانىّ قديم بالفعل ، وهو يصدُّ ضربات المقاتل العظمىّ ، ويكيل له ضربات أقوى ..

كان يبدو كما لو أن روح المصارع الرومانىّ القديم قد عادت إلى جسده ، وأعادت إليه روح الصراع ، والمهارات القتالية القديمة ..

وبالنسبة إلى (نور) كان ذلك حقيقة ..

إنه لم يَعُد يرى منزله وأصدقاءه وعائلته ..
لقد كان يرى ساحة مصارعة رومانية من حوله ..
والآن صار للمقاتل العظمىّ وجه ..
وجه مقاتل رومانىّ قديم ..
وراح (نور) يقاتل فى شراسة ..
وصدّ سيفه عشرات الضَّرَبات ..
وألقى عشرات مثلها ..
ولكن فجأة ، ارتطم (نور) بشىء ما ..
وسقط ..
وفى تلك اللحظة ارتفع سيف المقاتل الرومانىّ عاليًا ، وصرخ فى ثورة ، وبكلمات تقطر بالحِقْد والغضب :
ـ لقد سقطت يا (دوكاكوس) ، والآن مُت .. مُت ..
وهوَى سيفه على جسد (نور) .

* * *

٩ ـ بلا رحمة ..

التدريبات المكثَّفة ، التى يتلقَّاها رجال المخابرات العلمية المصرية ، والتى تطوَّرت كثيرًا ، مع مطلع القرن الحادى والعشرين ، كان لها الفضل ، كل الفضل ، فى إنقاذ (نور) هذه المرَّة ..
لقد أعادته سقطته إلى عالَمه ..
تلاشت حلبة الصراع الرومانية من حوله ..
ورأى منزله ..
وأسرته .
وأصدقاءه ..
ورأى مقاتلًا عظميًا يَهوِى على رأسه بسيف قاتل ضخم ..
وبسرعة البرق قفز (نور) جانبًا ..
وقبل أن يدرك أحد الحاضرين مايحدث ، انتزع مسدَّسه اللّيزرىّ ، وأطلق أشعته ..
أطلقها على عين الهيكل المقاتل تمامًا ..

واخترقت الأشعة العين الشيطانية ..
وانطلقت صرخة (ابن الشيطان) ..
وارتطم السيف الثقيل بالأرض ..
وتلاشى كل شىء ..
اختفى المقاتل العظمىّ بغتة ، كأنما تبخّر فى الهواء ..
وتمتم (رمزى) مشدوهًا :
ـ العين .. دائمًا العين .
نهض (نور) فى بُطء ، وهو يغمغم :
ـ نعم .. كل هذه الأشياء أوهام ، يحرّكها ذلك الشيطان الصغير ، وكلها ترى بعينيه ، وإصابة العينين تُفقده سيطرته عليها ، فتتلاشى أمام أعيننا .
انحنى (محمود) يتحسّس الجزء المحطّم من أرضية المنزل ، الذى أصابه نصل السيف ، قبل أن يتلاشى ، وقال فى توتّر :
ـ عجيبة هى هذه الأوهام يا (نور) .. الأوهام التى أعرفها لا تترك مثل هذه الآثار المخيفة .
تمتم الدكتور (عزيز) :
ـ هذا بالنسبة للأوهام التى نعرفها .. إننا الآن نواجه خصمًا يتبع كل القواعد ، التى تحطّم ما نعرفه من قواعد .

قالت (نشوى) فى عصبيّة
ـ تعنى أنه لا يتبع أيّة قواعد .
قال (نور) ، وهو ينفض غبارًا وهميًا عن ثيابه :
ـ بل إنه يتبع القواعد يا عزيزتى .. قواعده .
هتف (رمزى) فى حِدّة :
ـ إذن فهو يتبع مليون قاعدة على الأقل ، فمن المستحيل استنتاج خطوته التالية .
نهض الدكتور (حجازى) ، قائلًا فى توتّر :
ـ لن أنتظر تلك الخطوة التالية ..
واتجه نحو الباب ، مستطردًا :
ـ سأرحل .
لم يحاول أحدهم منعه ، وكأنما بدا لهم أنه على حقّ ، وأنه ليس من المنطقى أن يبقى أى مخلوق فى هذا المكان الجهنمىّ ، ما دام ليس طرفًا فى هذا الصراع الشيطانىّ ..
ولكن الدكتور (حجازى) توقّف بغتة ..
توقّف دون سابق إنذار ، وكأنما أخجله موقفه ..
ثم استدار إليهم ، وانفرجت شفتاه ، وكأنه يهمّ بقول شىء ما ، إلّا أن تلك الانفراجة تجمّدت بغتة ، وأطلّت من العينين نظرة رُعب ، وهما تحدّقان فى نقطة ما ، خلف رفاقه ..

ودون أن يسأل أحدهم عمّا يعنيه ذلك ، التفتوا جميعًا إلى الوراء ..

وفى هذه المرّة أيضًا ، ظلّ الصمت سائدًا ..

لقد احتبست صرخات الرُّعب فى الحُلوق ..

فهناك ..

فى ذلك الموضع ، الذى كان يحتلّه الجدار الخلفىّ للمنزل ، امتدّ شاطئٌ رملى كبير ، ينتهى ببحر متلاطم الأمواج ..

وكان هناك قمر ..

ونجوم ..

كان المنزل كله قد تحوَّل إلى جزيرة ..

جزيرة وسط محيط ..

محيط بلا نهاية ..

* * *

لم ينكسر جدار الصمت لدقيقتين كاملتين ..

كان الجميع يحدّقون فى ذلك المشهد فى ذُهول تام ..

وفى بطء ، تناهَى إلى مسامعهم صوت الأمواج ، وهى تتتابع فى حيويّة وخفة ، لتلقى حتفها كلها على الشاطئ ..

وكان القمر يلقى ظلًا هادئًا ..

وفى أيّة ظروف أخرى طبيعية ، كان هذا المشهد سيبدو عاطفيًا ، شاعريًا ، ساحرًا ..

أما الآن ، فقد بدا مرعبًا ..

مرعبًا بحق ..

وفجأة ، انكسر جدار الصمت ، بصوت الدكتور (حجازى) المتحشرج ، وهو يقول :

ـ مستحيل !! ..

قال هذا ، بكل ما يملأ نفسه من رُعب وذُهول ، ثم اندفع نحو الباب ، وفتحه ..

وفى هذه المرّة تراجع فى حِدّة ، كمن هَوَت على رأسه صاعقة ..

لقد كانت هناك أمواج ، ورمال أيضًا ..

وهتف (نور) :

ـ إنها جزيرة .. لقد نقل ذلك الشيطان منزلنا إلى جزيرة مجهولة ، وسط المحيط .

تردّدوا بضع لحظات ، ثم غادروا المنزل إلى الشاطئ ، واحدًا بعد الآخر ..

وضمهم الشاطئ جميعًا ..

وغمغمت (سلوى) :

ـــ أين نحن ؟!

رفع الدكتور (عزيز) عينيه إلى السماء ، وتطلَّع إلى النجوم بعض الوقت ، قبل أن يتمتم فى توتُّر :

ـــ طبقًا لمعلوماتى المحدودة ، فى علم الفلك ، أظن أننا فى بقعة ما ، بين المحيط الهندى ، والبحر الأبيض المتوسط .

غمغمت (نشوى) فى عصبيَّة :

ـــ فليذهب الموقع إلى الجحيم .. سأتظاهر بأن شيئًا لم يحدث ، وأذهب إلى حجرتى ، و .....

بترت عبارتها وهى تستدير ، وأطلقت شهقة ذُعر ، جعلتهم يلتفتون إليها جميعًا ..

وأعقبت شهقاتهم شهقتها ..

لقد استداروا فوجدوا أنفسهم فوق جزيرة رملية قاحلة ، وسط محيط هائل ..

فقط ..

أىْ أنه لم يكن هناك منزل ..

لقد اختفى ..

اختفى تمامًا ..

* * *

فقدت (سلوى) سيطرتها على أعصابها ، عند هذه النقطة ، وراحت تصرخ فى انهيار ، هاتفة :

ـــ لا .. مستحيل !!.. مستحيل !

اندفع (رمزى) نحوها ، وصفعها فى قوَّة ، فتطلَّعت إليه فى ذُهول ، ثم انفجرت باكية ، وألقت نفسها بين ذراعىْ زوجها ، الذى ربَّت على رأسها فى حنان ، و (رمزى) يغمغم :

ـــ معذرة يا (نور) .. كان من الضرورىّ أن أفعل هذا ، وإلَّا أصابها انهيار عصبىّ عنيف .

تنهَّد (نور) ، وغمغم :

ـــ أعلم ذلك .

ثم انحنى يُجلس زوجته أرضًا ، وعاد ينهض ، ويتطلَّع إلى حيث كان منزله ، وزفر مرَّة أخرى فى قوَّة ، مغمغمًا :

ـــ ماذا يحدث ؟!

أجابه الدكتور (عزيز) بصوت مرتجف :

ـــ هذا الشيطان الابن يمتلك القدرة على اختراق الزمان والمكان .. ولقد دفعنا فى نهر قوَّته ، فعَبَرَ بنا هذين البُعْدَيْن ، وألقانا هنا .

لَوَّح (نور) بذراعه ، هاتفًا :

ــ ولكن لماذا ؟

أجابه الدكتور (عزيز) فى مرارة :

لتخلُوَ له الساحة .

صاح (نور) فى حِدّة :

ــ أيّة ساحة ؟!.. لقد كانت الساحة كلها خالية له ، ولكنه هو الذى أقحم نفسه فى حياتنا ، وراح يصارعنا فى شراسة ، دون سابق إنذار ..

شعر بـ (محمود) يمسك ذراعه فى قوّة ، وهو يقول فى صوت مرتجف :

ــ (نور) .. أنا أعلم لماذا أتى بنا إلى هنا ؟

التفت إليه (نور) فى حِدّة ، وهو يهتف :

ــ لماذا ؟

أشار (محمود) إلى الشاطئ ، وقال فى رُعب :

ــ ليطعم هذه الحيوانات .

التفت الجميع إلى حيث أشار ، ورأوا مئات .. بل آلافًا من السرطانات البحرية ، تصعد إلى الشاطئ ، وتتجه نحوهم ..

لقد حان موعد وجبتها ..

* * *

١٠ ــ جزيرة المـوت ..

كان هناك آلاف من تلك المخلوقات الصغيرة .. وكانت كلها تزحف نحو (نور) ورفاقه ، من جميع الاتجاهات ..

دائرة وحشية صغيرة ، تُطبق فى بطء على الفريق كله ..

مئات الآلاف من المخالب الصغيرة ، تتقدّم نحوهم ، وتتلهّف لالتهامهم ..

وانتزع (نور) مسدّسه اللّيزرىّ ، وهو يهتف فى صرامة :

ــ سنوقفهم .

وراح يطلق أشعة مسدّسه يَمْنَةً ويَسْرَةً ..

وقتل عشرات السرطانات ..

ولكن المئات غيرها صعدت من البحر إلى الشاطئ ..

آلاف المخالب الجديدة كانت تنضمّ لقافلة الموْت ، كلما حطّمت أشعة اللّيزر مخلبًا واحدًا ..

وكان الموقف يدعو لليأس حقًّا ..

وغمغم (رمزى) فى مرارة :



اندفع فجأة ، محاولاً اختراق الصفوف ، ليبلغ البحر ، ولكن عشرات المخلوقات البحرية الصغيرة تعلّقت به ..

ــ كم واحدة ستقتل يا (نور) ، قبل أن تنفذ طاقة مسدّسك ؟

خفض (نور) مسدّسه فى يأس ، وهو يقول :

ــ أقل من عُشرهم .

وراحت حلقة الموْت البشعة تضيق .. وتضيق ..

وفجأة ، هتف (رمزى) :

ــ لن أنتظر الموْت .

اندفع فجأة ، محاولاً اختراق الصفوف ، ليبلغ البحر ، ولكن عشرات المخلوقات البحرية الصغيرة تعلّقت به ، وهو يضربها بقوّة وعنف ، و (نشوى) تصرخ فى ارتياع :

ــ كلّا يا (رمزى) .. كلّا ..

ولكن (رمزى) سقط ..

وراحت عشرات المخالب الحادّة تنهش لحمه ..

مئات ..

آلاف ..

وتمزّق جسد (رمزى) بلا رحمة ..

وصرخت (نشوى) :

ــ كلّا ..

ثم اندفعت نحو (رمزى) ، وألقت نفسها وسط المخالب ..

ورأت (سلوى) الموت ينهش ابنتها بمخالبه ، فأسرعت إليها صارخة ..

وصرخ (نور) ..

صرخ ، وهو يرى تلك المخلوقات تلتهم زوجته ، وابنته ، وصديقه ..

وصاح فى ثورة :

ـ أيها الحقير .

وراح يُطلق أشعة مسدّسه فيما حوله ..

ويطلقه ..

ويطلقه ..

ويطلقه ..

ثم اختفت الجزيرة بغتة ..

تلاشت السرطانات ..

انتهت لحظات الرُّعب ..

وبكل ذُهول ، راح (نور) يتطلّع حوله ..

لقد كان يقف وسط رَدْهَة منزله ، وحوله زوجته وابنته ،

و (رمزى) و (محمود) .. وكذلك الدكتور (حجازى) ، والدكتور (عزيز) ..

والجميع كانوا يتطلّعون حولهم فى ذُهُول ..

والجميع بخير حال ..

وراح (رمزى) يتحسّس جسده مذهولاً ، وكذلك (سلوى) و (نشوى) ، وقد أذهلهم أنهم بخير تمامًا ..

وهتف (رمزى) فى ذُهول :

ـ يا إلهى !!.. لقد عشنا جميعًا وهمًا قاتلاً .

زفرت (نشوى) فى قوّة ، وقالت :

ـ ربّاه !! لقد كدت ألقى حتفى رُعبًا بالفعل .. حتى ولو كان ذلك وهمًا .

ارتجف الجميع فى عُنف ، عندما ردّدت الجُدران صوت الشيطان الابن ، وهو يقول ساخرًا :

ـ كان من الممكن أن يصبح حقيقة .

تلفّت الجميع حولهم فى ذُعر ، فيما عدا (نور) ، الذى هتف فى غضب :

ـ أنت أحقر مخلوق واجهته فى حياتى كلها .. إنك أجبن من أن تظهر أمامنا واضحاً .

انطلقت ضحكته الساخرة ، وهو يقول :

ـ لا تتصوَّر أنك ستستفزُّنى أيها الآدمىّ .. إن ما تعتبره أنت ذمًّا ، يعدّه شعبى مَدحًا .. فالجبن والحقارة والخيانة والخِسَّة هى من سماتنا ، والتفوُّق فيها يدعو ـ بالنسبة إلينا ـ للفخر .. أنسيتَ أننا نقطن أقصى الشرّ ؟

عاد يطلق ضحكاته الساخرة المُرعبة ، والدكتور (عزيز) يغمغم :

ـ إنه على حق .. فالملائكة فى ذِرْوَة الخير ، والإنسان مخلوق وسط ، ما بين الملائكة والشياطين ، على حين يرقد الشياطين فى أعماق الشرّ .

تألّقت عينا (نور) ، وهو يقول :

ـ أنت على حقٍّ يا دكتور (عزيز) .

وارتفع صوته ، وهو يستطرد فى حزم :

ـ هذا هو سرّ ثورته .

تطلّع إليه الجميع فى دهشة ، وغمغم الدكتور (عزيز) فى حيرة :

ـ ماذا تعنى يا (نور) ؟

قال (نور) فى صرامة .

ـ هذا المخلوق التَعِس لم يبلغ أيَّة ذِرْوَة .. إنه نصف إنسان ، ونصف شيطان .. ولقد قضى حياته كلها يسعى جاهدًا ؛ لإثبات أنه شيطان كامل .. لقد كان قوم أبيه يعيِّرونه دَوْمًا بأنه نصفُ شيطان ، وليس شيطانًا كاملًا ..

انفتح باب المنزل فجأة فى عنف ، وهبَّت رياح عنيفة قويَّة ، تركَّزت كلها على (نور) ، فانتزعته من مكانه ، وألقته على الحائط فى شِدَّة ، فصرخت (سلوى) فى هَلَع :

ـ (نور) !!..

ولكن (نور) نهض واقفًا على قدميه ، على الرغم من آلام ظهره العنيفة ، واستطرد فى صرامة :

ـ ولقد كانوا دائمًا على حقّ ، فعلى الرغم من أن نصفه الشيطانىّ يجعله يبدو لنا خارقًا ، إلا أن نصفه الآدمىّ يجعله يبدو لهم ضعيفًا .

هبَّت الرياح أكثر عُنفًا هذه المرَّة ، وحملت (نور) إلى السقف ، وضربته به فى قوة مؤلمة ، ثم ألقته أرضًا ، مع صوت غاضب ، يُدوِّى كقصف الرَّعد ، صارخًا :

ـ كاذب ..

نهض (نور) مرَّة أخرى ، ومسح خيطًا من الدم ، سال على طرف شفتيه ، وهو يتابع :

ـ الكاذب هو الذى يرفض الاعتراف بحقيقته .. الكاذب هو من يحاول التنصُّل من جزء من نفسه .. هل لك أن تخبرنى لماذا لا تقتلنا مباشرةً ؟.. سأخبرك أنا لماذا .. لأنك ترغب فى أن تفوز بنصر ساحق ، يضمن لك احترام قوم أبيك ، الذى تفتقر إليه طيلة عمرك ..

هبّت الرياح مرَّة ثالثة ، ودفعت (نور) إلى نافذة جانبية ، ودفعته لاختراقها ، لتلقى به خارجها ..

وصرخت (سلوى) :

ـ (نور) !!

(وهتفت (نشوى) :

ـ أبى !!

واندفع الجميع نحو النافذة ، لإنقاذ (نور) ، ولكنه برز أمامهم فجأة ، والدماء تسيل من جُرْح فى جبهته ..

وأسرعت (سلوى) نحوه ، هاتفة :

ـ (نور) .. أأنت بخير ؟

أزاحها بعيدًا فى حزم ، وقفز داخل الرَّدْهَة مرَّة أخرى ، وهو يواصل حديثه ، كما لو أن شيئًا لم يقاطعه :

ـ وعلى الرغم من محاولاتك الحقيرة هذه ، فأنت لن تنجح

أبدًا أيها النصف شيطان .. إنك ستخسر معركتك هذه ، كما خسرت كل معاركك من قبل ، عَبْر التاريخ والعصور .

دوَّت صرخة الشيطان غاضبة ثائرة :

ـ أنت كاذب .

ثم انتزعت الرياح (نور) من مكانه ، وأصابت به ركن الرَّدْهَة ، فسقط وهو يشعر بآلام مبرّحة فى كل عظامه ، ولكن هذا لَمْ يمنعه من أن يرفع رأسه ، ويهتف فى حزم :

ـ إنك حتى لست وسيمًا ، كما تبدو لنا .. وكما بدوْت للجميع منذ مولدك .. تلك الوسامة لم تكن سوى غلاف زائف كاذب .. أنت بَشِع .. بَشِع ..

كانت صرخة الشيطان الابن هذه المرَّة تموج بآلام رهيبة ، وهو يهتف فى مرارة لا حدَّ لها :

ـ كم أنت حقير أيها الآدمى !

نهض (نور) ، وهو يقول ساخرًا :

ـ ألأننى كشفت حقيقتك ؟

أجابه (ابن الشيطان) فى غضب :

ـ كان ينبغى أن تشكرنى أيها الآدمىّ ؛ لأننى أمنحك دوْمًا وجهى الوسيم ، فأنت لن تحتمل ، مهما بلغت شجاعتك ، رؤية وجهى الحقيقى .



ثم انتزعت الرياح (نور) من مكانه ، وأصابت به ركن الرَّدْهَة ، فسَقَطَ وهو يشعر بآلام مبرِّحة فى كل عظامه ..

غمغم (نور) فى سُخرية :

ــ أتقصد وجهك البشع ؟

أجابه الشيطان الصغير فى غضب :

ــ نعم .. الوجه البَشِع .

ثم أضاف فى حِدَّة :

ــ إننى أعترف أنك تعلم نقطة ضعفى يا حفيد (أوزيريس) ، ولكن من سوء حظِّك أنه من الضرورىّ أن نلتقى وجهًا لوجه ، حتى يُمكنك قتلى .. أقصد إجبارى على العودة إلى الجحيم ، حتى يقرأ شخص آخر اسم أبى ، المنقوش على قرص حياتى ، بلغتنا الخاصَّة ، التى لا يعلمها مخلوق واحد على كوكب الأرض .. وفى جولتنا هذه ، لن نلتقى وجهًا لوجه أبدًا .. سنقاتل دومًا من خلال وسطاء .. ولتعلم أيها الرائد أنك ستكون آخر من أقتله .. فى هذه الحجرة .. فسأتبع معك وسيلة أكثر إيلامًا من الموت نفسه .. سأقتل فى كل يوم واحدًا من رفاقك ، حتى تصبح وحيدًا .. وصدِّقنى .. لحظتها قد يصبح الموت بالنسبة إليك أُمْنِيَة .

صاح (نور) فى غضب :

ــ أيها الحقير ..

انطلقت ضحكة الشيطان الابن ، ترجّ المكان ، وتبتعد تدريجيًّا فى بطء ..

وتبتعد ..

وتبتعد ..

لقد انتهى صراع الليلة ..

وبدأ صراع جديد ..

بقواعد جديدة ..

والقواعد هذه المرّة هى إخلاء الساحة أوّلًا ..

وقتل الجميع ..

* * *



١١ ـ بضربة واحدة ..

ساد الوجوم والصمت لحظات ، بعد أن تلاشى صدى ضحكات (ابن الشيطان) الأخيرة ، وتطلّع الجميع بعضهم إلى بعض فى ذهول ، وقلق ، وشكّ ، قبل أن تغمغم (نشوى) :

ـ هل ذهب ؟

زفر (نور) فى قوّة ، وأومأ برأسه إيجابًا ، مغمغمًا :

ـ نعم .. لقد سئم لعبته الليلة .

ألقت (نشوى) جسدها فوق أقرب مقعد إليها ، وهى تهتف فى توتُّر بالغ :

ـ يا إلٰهى !!.. لم أتصوَّر أبدًا أن تلك الليلة ستنتهى .

تمتم الدكتور (عزيز) :

ـ ولا أنا .

وهتفت (سلوى) :

ـ يا إلٰهى !!.. فليكُنْ كل ذلك مجرَّد كابوس .. كابوس بشع .

غمغم الدكتور (حجازى) :

ـ بل هو حقيقة للأسف .

اعتدل (نور) ، وسيطر على أعصابه فى قوّة وصلابة ، وهو يقول :

ـ حسنًا أيها السادة .. لقد انفضّ الحفل ، وسيعود كل منكم إلى منزله ، ويلتزم الحَيْطة والحذَر بقدر الإمكان ، حتى نعلم أين سيوجّه ذلك الحقير ضربته القادمة .

سأله (محمود) فى توتُّر :

ـ ألن نضع خطّة يا (نور) ؟

هزّ (نور) كتفيه ، وهو يقول :

ـ كيف ؟!.. أليس من المحتمل أنه ما زال هنا ، يستمع إلى خططنا فى هدوء ؟!

تلفّتوا حولهم فى خوف ، وغمغمت (سلوى) :

ـ نعم .. هذا محتمل .

ارتجف صوت (رمزى) ، وهو يقول :

ـ لقد أكّد أنه سيقتنصنا جميعًا ، واحدًا بعد الآخر ، قبل أن يتفرّغ لك يا (نور) .

غمغم (نور) محاولًا أن يطمئنه :

ـ لا تصدّق كل ما ينطق به ذلك الوغد يا (رمزى) ، فالصدق ليس صفة من صفاته حتمًا .

قال (محمود) فى توتُّر ، وهو يتلفّت حوله :

ـ تُرى من سيقتنص أوّلًا ؟

بعث سؤاله قُشَعْرِيرَة فى أجسادهم جميعًا ، وتمتم (نور) :

ـ قلت لك ألّا تصدّق كل ما ينطق به .

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى ارتفع أزيز التليفيديو ، فاتجه إليه (نور) ، وضغط أزراره ، فظهرت على شاشته صورة الدكتور (عبد الله) ، وهو يقول فى تردُّد :

ـ (نور) .. لدىّ خبر سيؤلمك .

أجابه (نور) فى هدوء :

ـ أعلم يا دكتور (عبد الله) .. لقد سُرِق القرص .. أليس كذلك ؟

هتف الدكتور (عبد الله) فى دهشة :

ـ من أخبرك بهذا ؟

أجابه (نور) فى توتُّر :

ـ هو أخبرنى يا سيّدى .

ردّد الدكتور (عبد الله) فى حَيْرة :

ــ هو ؟!

أجابه (نور) :

ــ نعم يا سيِّدى .. هو .. وأنا أقصد ذلك الابن الملعون .. (ابن الشيطان) .

* * *

انطلق الدكتور (حجازى) بسيارته صامتًا ، دون أن يتبادل كلمة واحدة مع الدكتور (عزيز) ، الجالس إلى جواره ، حتى قال هذا الأخير فى هدوء :

ــ أما زلت تفكِّر فى بالأمر ؟

سأله الدكتور (حجازى) متوتِّرًا :

ــ ألا تفعل أنت ؟!

تنهَّد العجوز فى عمق ، وقال :

ــ نعم .. أفعل ، فى الواقع .....

وصمت لحظات ، ثم استطرد فى اهتمام :

ــ من تظنّه سيكون الضَّحيَّة الأولى ؟

أجابه الدكتور (حجازى) فى عصبيَّة :

ــ يا له من سؤال !!.. من يملك جوابه سواه ؟

عقد العجوز حاجبيه الأشيبين ، وهو يقول :

ــ أتعلم ؟.. لو أننى مكانه ، لوقع اختياره علىَّ أوَّلًا .

سأله الدكتور (حجازى) فى دهشة :

ــ ولماذا أنت ؟

قال فى هدوء :

ــ لأننى أكثر الجميع علمًا به ، والتخلُّص منّى يحرم الآخرين فرصة الاستزادة من المعلومات .

أراد الدكتور (حجازى) أن يفنِّد منطقه ، إلّا أن حشرجة مزعجة ، انبعثت من محرِّك سيارته ، جعلته يهتف منزعجًا :

ــ يا إلهى !!.. يا له من موضع تتعطل فيه السيارة !!

كانت السيارة قد توقَّفت عند مشارف (القاهرة) القديمة ، على بعد كيلومتر واحد من منزل الدكتور (عزيز) ، فى منطقة مُقفرة مخيفة ، ولقد هبط منها الدكتور (حجازى) ، وهو يسبُّ ساخطًا ، وفحص محرِّكها فى حنق ، قبل أن يهتف :

ــ لقد توقَّف ذلك المحرِّك العنيد .. يبدو أننا سنقضى الليل هنا ، حتى مطلع الشمس .

أتاه صوت العجوز ، وهو يقول فى هدوء ، لا يتناسب مع الموقف أو المكان :

— هذا لو أشرقت علينا الشمس .. أغنى ونحن على قيد الحياة بالطبع .

تطلّع إليه الدكتور (حجازى) فى دهشة ، ولكنه رآه يتطلّع بعيدا ، فاستدار إلى حيث ينظر ، وتراجع فى حِدّة ..

فعلى ضوء القمر ، التمعت عيون عشرات الذئاب ، التى تحيط بالسيارة ، وأنيابها تبرز فى وحشية ..

وكانت تلك العيون تشبه عينيه الملتهبتين ..

عينى الشيطان الابن ..

* * *

قال (رمزى) لـ (محمود) فى عصبيّة ، فى نفس اللحظة ، التى أوقف فيها لأوّل سيارته ، أمام منزل الأخير :

— أيرُوق لك أن تقضى الليلة وحدك ؟

أجابه (محمود) فى خوف واضح :

— كلّا بالطبع .

قال (رمزى) :

— حسنًا .. كنت سأقترح أن نقضى الليلة معًا .

هتف (محمود) :

— اقتراح جيّد .

غادرا السيّارة معًا ، ودلفا إلى المنزل ، و (رمزى) يقول بنفس العصبيّة :

— أتعلم .. أننى أشعر بالخجل ؟

سأله (محمود) فى دهشة :

— لماذا ؟

أجابه فى حَنَق :

— لأن الخوف يمنعنى من قضاء الليل وحدى .

عقد (محمود) حاجبيه ، وهو يتمتم :

— كلنا هذا الرجل يا صديقى .

زفر (رمزى) فى قوّة ، وألقى نفسه فوق مقعد قريب ، وهو يقول :

— أتعلم أن هذا أكثر ما واجهناه إثارة للرُّعب ؟

وافقه (محمود) بإيماءة من رأسه ، وهو يقول :

— هذا صحيح .

قال (رمزى) فى توتُّر :

— أتعلم لماذا ؟

غمغم (محمود) :

— ألأنه شيطانىّ ؟

هزّ (رمزى) رأسه نفيًا ، ثم قال فى حزم :

ـ بل لأنه لا يتبع أيّة قواعد علمية .

تمتم (محمود) فى حَيْرة :

ـ وماذا فى هذا ؟.. لقد واجهنا عشرات الأشياء والمواقف ، التى لا تتبع القواعد العلمية المعروفة .

لوّح (رمزى) بسبّابته ، قائلًا :

ـ تقصد لا تتبع قواعدنا يا صديقى ، ولكنها تتبع نوعًا من القواعد العلمية على أيّة حال ، وإن كنّا نجهلها فى ذلك الحين .

قلّب (محمود) كفّيه فى حَيْرة ، وهو يقول :

ـ وما الفارق ؟

اعتدل (رمزى) ، وهو يقول فى انفعال :

ـ الفارق هو أننا كنّا نستطيع أن نواجه كل القضايا السابقة ، بأسلوب علمى ، مهما اختلفت قواعدها ، حتى عندما عبرْنا حاجز الزمن(*) ، وتخطّينا أجواز الفضاء(**) .. فى كل مرّة كنّا نتعامل مع ما يواجهنا بمُعْطَيات علميّة .. أما

(*) راجع قصة (ثقب فى التاريخ) .. المغامرة رقم (٤٣) .

(**) راجع قصة (جحيم أرغوران) .. المغامرة رقم (٥٩) .

الآن ، فإننا نجهل حتى قواعد اللّعبة .. صحيح أننا نعرف من نواجه ، ولكن هذا ، فى حدّ ذاته ، يزيد الأمر رهبة وصعوبة .

غمغم (محمود) فى استسلام :

ـ أنت على حقّ .

ثم بدا وكأن سؤالًا قد قفز إلى رأسه بغتة ، وهو يستطرد فى اهتمام :

ـ ولكن قُلْ لى : كيف كنت تشعر ، عندما كانت تلك السرطانات البحرية تلتهمك ؟

أجابه (رمزى) فى عصبيّة ، وكأن استعادة تلك الذكرى تثير أعصابه :

ـ بالألم .

هتف (محمود) فى دهشة :

ـ يا إلهى !!.. إذن فذلك الشيطان الصغير يمتلك قُدرة هائلة على صنع الأوهام ، والعوالِم الخيالية .. أليس كذلك ؟

صمت منتظرًا جواب (رمزى) ، ولكنه لم يحصل عليه ، فهتف :

ـ أليس كذلك يا (رمزى) ؟

كان (رمزى) جامدًا على مقعده ، يتطلّع أمامه مباشرة ، فهتف به (محمود) فى توتّر :

— فيمَ تفكّر ؟

تمتم (رمزى) بصوت مرتجف :

— إننى أتساءل جدّيًا .. أوهمٌ هذا أم حقيقة ؟

قالها وهو يرفع إصبعه ، ويشير إلى نقطة ما خلف (محمود) ، الذى استدار فى حركة حادّة ، ثم تراجع كالمصعوق ..

لقد كان هناك حيوان يربض فى رَدَهة منزله ، ويتطلّع إليه وإلى (رمزى) بعينين اشتعل فيهما لهيب شيطانىّ مخيف ..

وكان هذا الحيوان تِنّينًا ..

تِنّينًا أسطوريًّا رهيبًا ..

* * *

تلفّتت (نشوى) حولها فى خوف ، وهى تقول لأبيها :

— أتتصوّر أنه يمكننى النوم يا أبى ، بعد كل ما حدث ؟

أجابها فى حزم :

— إننا لن نبقى مستيقظين إلى الأبد .

قالت (سلوى) :

— فلتضمنا جميعًا حجرة واحدة إذن .

زفر فى قوّة ، وهو يقول :

— فليَكن .

تراصّوا على فراش واحد ، وغمغمت (نشوى) فى خوف :

— من تظنّه سيختار كضحيّة أولى يا أبى ؟

عقد (نور) حاجبيه ، وهو يقول فى توتّر :

— لست أدرى يا (نشوى) .. من المستحيل توَقُّع الضربة التالية ، حينما تواجهين خصمًا نصف شيطانىّ ..

سألته (سلوى) بصوت مرتجف :

— كيف يمكننا مواجهته هذه المرّة يا (نور) ؟

تنهّد ، وربّت على كفّها ، مغمغمًا :

— لست أدرى يا عزيزتى ، ولكننى واثق من أننا سنهزمه حتمًا .

انطلقت فى المكان ضحكة ساخرة ، جعلتهم يهبّون من فراشهم دفعة واحدة ، قبل أن ينطلق صوت الشيطان الابن ، قائلًا :

— يا لك من متكبّر مغرور أيها الرائد !!

قفز (نور) من فراشه ، ولوّح بقبضته فى الهواء ، هاتفًا :

— اجعلنى أراك لحظة واحدة أيها الحقير ، وستكون الهزيمة من نصيبك .

انطلقت الضحكة الشيطانية الساخرة مرّة أخرى ، قبل أن يقول ذلك الشيطان الصغير :

ــ قُلت لك إنه من العبث أن تحاول استفزازى أيها الرائد ، فعلى الرغم من كل ما أملكه من صفات ، تطلقون عليها اسم النقائص ، إلّا أننى لست من ذلك النوع ، الذى يقع فى خطإ واحد مرّتين .. إننى أذكى من أن أفعل .

هتف (نور) :

ــ إننى أتحدّاك .

أجابه الشيطان الابن فى سخرية :

ــ هذا شأنك ، أمّا أنا ، فلقد أخبرتك من قبل ، أننى سألعب اللُّعبة بقواعدى الخاصّة هذه المرّة ..

وتضاعفت رنّة السخرية فى صوته ، وهو يستطرد :

ــ لقد قرّرت ــ توفيرًا للوقت ــ أن أتخلّص من الجميع دفعة واحدة ، وبضربة واحدة مركّزة .

هتفت (سلوى) فى ذُعْر :

ــ كيف ؟!

أجابها فى لهجة ظافرة :

ــ العالمان الكبيران يواجهان الآن قطيعًا من الذئاب

المتوحشة الجائعة ، فى نفس الوقت الذى يواجه فيه عضوا فريقكم تِنّينًا أسطوريًا قائلًا ، ينفث اللهب من حلقه .. أمّا أنتم ، فلقد أعددْت لكم مِيتة مبتكرة .. أستعين فيها أيضًا بالحيوانات .

هتف (نور) فى حِدّة :

ــ لماذا ؟.. أنت وحدك كنت تكفى ، فأنت أسوأ حيوان عرفه التاريخ .

قال فى سخرية :

ــ فليكن .. ولكن حيواناتى الصغيرة ستثبت لكم المبدأ ، الذى يقول عندكم إن الاتحاد قوّة ، فستواجهون آلاف المخلوقات الضئيلة ، التى ستلتهمكم التهامًا .

تشبّثت (نشوى) بأمّها فى رُعب ، وهى تهتف :

ــ ماذا يقصد يا أمّاه ؟

أجابتها تلك الضحكة الشيطانية الساخرة ، التى راحت تبتعد فى سرعة ، فى حين هتفت (سلوى) بدوْرها :

ــ ماذا يقصد يا (نور) ؟

هتف بها (نور) فى توتُّر :

ــ أنصتا .

لزم ثلاثتهم الصمت تمامًا ، وتناهى إلى مسامعهم ذلك الصوت المخيف ، الذى يصدر من كل جدران المنـــزل ، وتمتمت (سلوى) فى رُعب :

ــ إنه يشبه صوت آلاف المخالب الصغيرة ، وهى تحفر الحائط ، و .....

بترت عبارتها بغتة ، واتسعت عيناها فى رُعب ، وهى تستطرد :

ــ المخالب الصغيرة .. يا إلهى !!..

لم تكد تتمُّ عبارتها ، حتى برزت طلائع الجيش الرَّهيب ، الذى أتى لالتهام ثلاثتهم ..

جيش الفئران ..

* * *

[انتهى الجزء الثالث ، ويليه الجزء الرابع والأخير]

[الجولة الأخيرة]

رقم الإيداع ٣٢١٥

ملف المستقبل
سلسلة روايات بوليسية للشباب من الخيال العلمي

المؤلف
د. نبيل فاروق

الصراع الجهنمى

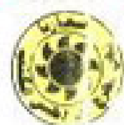
- كيف يواجه (نور) ابنته ، فى صراع قاتل ، يقوده (ابن الشيطان) ؟!
- تُرى هل يُنهِى مصرع الشيطان الصغير ذلك الصراع ؟
- لمن يكون النصر هذه المرَّة ، فى هذا (الصراع الجهنمى) ؟
- اقرأ التفاصيل المثيرة ، وواصل معركتك مع (نور) ورفاقه ، من أجل البشريَّة ..

٧٤

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

العدد القادم : الجولة الأخيرة

روايات مصرية للجيب



ملف المستقبل

الجولة الأخيرة



نور الدين



سلوى



رمزى



محمود

١ ــ أكثر من فَخّ ..

الرُّعب ..

ذلك هو الشعور ، الذى تشارَك فيه كل أفراد فريق (نور) ، فى تلك الليلة ، التى تبدأ بها الأحداث هذه المرَّة ..

الجميع حملوا نفس الشعور ..

وفى نفس اللحظة ..

كلهم حملوه فى مواجهة خطر مخيف ..

خطر يتجاوز كل قواعد العلم ، الذى نشأ فريقهم لحمايته ..

خطر أتى من أعمق أعماق الجحيم ..

خطر شيطانىّ ..

الجميع فى نفس اللَّحظة ، وفى ثلاثة أماكن متفرّقة ، كانوا يتطلَّعون إلى عيون ناريَّة ..

عيون يطلّ منها لهيب الجحيم ..

عيون شيطان ..

الجميع فى نفس اللحظة ، دارت فى رءوسهم فكرة واحدة ..

كيف بدأ الأمر ؟!..

كيف ؟!..

* * *

البداية كانت أسطورة ..

أسطورة قديمة قدم الدهر ..

عتيقة كالأزل ..

أسطورة أهملها تاريخ الأساطير ، حتى أنها انزوت فى النهاية ، وانكمشت فى ركن مُهْمل ، فى كتب الأساطير ..

أسطورة تقول إن الشيطان قد هبط إلى الأرض ، خلف (آدم) و (حواء) ونسلهما ، بعد أن نجح فى إغرائهما بتناول الثمرة المحرَّمة ، وتسبَّب فى طردهما من الجنة ..

هبط ليواصل معركته مع نسلهما ..

لينتصر ..

ليسُود ..

وحقَّق الشيطان انتصاره الأوَّل ، عندما أغرى (قابيل) بقتل شقيقه (هابيل) ..

وعرف نسل (آدم) القتل ..

وعرف الشرور ..

وَعَبْرَ الأجيال ، راح الشيطان يبثُّ شروره ، ويُوَسْوِس بالفساد ، لكل من وجد فى قلبه مَرَضًا ..

حتى حانت لحظة ، تمنَّى فيها الشيطان لو كان إنسيًّا ..

لحظة حسد فيها البشر ؛ لأنهم يملكون فرصة التَّوْبة ..

وفى تلك اللحظة ، قرَّر أن يكون له ولد من بينهم ..

وفى صورة بشريَّة ، هبط الشيطان إلى الأرض ، وتمثَّل لواحدة من بنات (حوَّاء) ، وأغراها بحبِّه ، فعشقته ، وتزوَّجته ..

وأنجبت ابنها وابنه ..

(ابن الشيطان) ..

نصف آدمى ونصف شيطان .

له ملامح بشر ، وصفات شيطان ..

خالد كأبيه ..

سافل كبنى جنسه ..

حقير كالشياطين ..

وعَبْرَ العصور والتاريخ ، راح (ابن الشيطان) ينتقم من بنى البشر ..

وحقق له الصراع عشرات الانتصارات ..

وكتب عليه مئات الهزائم ..

وفى آخر معاركه على سطح الأرض ، منذ ما يقرب من نصف القرن ، تصدّى له جدّ (نور) ، وكشف نقطة ضعفه ، وهزمه ..

وعاد (ابن الشيطان) إلى جحيم أبيه وقومه ، وترك خلفه قرصًا صغيرًا ، يحوى نقوشًا عجيبة ، هى اسم الشيطان ، بلغة أهل الجحيم ..

تلك اللغة المجهولة ، التى لا يعرفها قاموس أو مرجع ، والتى لا يقرؤها ، ولا ينجح فى قراءتها إلا التعساء والمجرمون ..

وهكذا بدأت معركته مع (نور) ..

* * *

المعركة الحقيقية بدأت منذ آلاف السنين ، عندما كان الشيطان الابن يحمل اسم (ست) ، وأكبر أجداد (نور) يحمل اسم (أوزيريس) ، فى تلك الملحمة الشهيرة ، التى نقلها إلينا تاريخ أجدادنا الفراعنة ..

وفى تلك المعركة اندحر (ست) ، إله الشر ، ونال هزيمة نكراء ، تردّد صداها طويلًا عبر الأجيال ..

وكالعنقاء ، ذلك الطائر الخرافى ، عاد الشيطان الصغير إلى الأرض ، بعد أن قرأ آدمىّ ملعون اسم أبيه ، المنقوش على قرص اللعنات ..

وظلّ طيلة عمره يقاتل نسل (أوزيريس) ، حتى هزمه جدُّ (نور) ، أحد أحفاد (أوزيريس) ..

وذات ليلة من ليل القرن الحادى والعشرين ، بعد نصف قرن من هزيمة (ابن الشيطان) ، قرأ مهندس جيولوجى اسم أبيه ، بلغة الجحيم ، بعد أن عثر رجاله على القرص الملعون ، فى إحدى حفريات البحث عن البترول ..

وعاد (ابن الشيطان) إلى الأرض ..

وفى تلك الليلة نفسها ، رأى (نور) روح جدّه فى حلمه ، ترشده إلى رسالة مخبأة فى منزل الجدّ الريفىّ ..

وذهب (نور) و (سلوى) إلى هناك ..

وعثرا على الرسالة ، التى تحوى رسمًا للقرص بنقوشه ، وعبارة تقول : « النار وحدها تغسل الشرور » ..

وبعدها بدأ الشيطان الابن انتقامه ، وبأبشع صورة ..

وفى منزل (نور) ، راحت صنابير المياه تلقى الدم ، بدلًا من الماء ..

الأثاثات انبعثت فيها حياة زائفة ..

والتفَّ الرُّعب حول كل شىء ..

وأصيبت (سلوى) ، وفقدت (نشوى) وعْيَها ..

ولجأ (نور) إلى الدكتور (محمد حجازى) ، يسأله المشُورة، كرجل شديد الاهتمام بعلوم ما وراء الطبيعيات ..

وفى منزل (نور) ، جرت جلسة لتحضير الأرواح ، بواسطة الوسيط الروحانىّ الأشهر ، الدكتور (عبد الجليل) ..

وفى تلك الجلسة ، رأى (نور) والدكتور (حجازى) والدكتور (عبد الجليل) الأهوال ..

لقد انشقت الأرض ، وبرزت منها أيدٍ ماردة بشعة ، راحت تعتصر الجميع ..

وهاجمهم كيان أسود رهيب ، التهم الدكتور (عبد الجليل) ..

ثم سقط (نور) والدكتور (حجازى) فى كهف شيطانىّ رهيب ، ليس له من مخرج

وفى نفس الوقت ، كان الشيطان الابن قد حقن بعضًا من دمائه ، فى عروق (نشوى) ، بواسطة معاون آدمى ، وهو

صحفىّ فاشل خائن ، يُدعَى (صفوت) ، حدَّد له الشيطان الابن مهمَّة واحدة لا غير ..

وهكذا انتهت الجولة الأولى لصالح الشيطان الصغير .. لصالحه تمامًا ..(*)

* * *

وفى الجولة الثانية ، نجح (نور) والدكتور (حجازى) فى الخروج من الكهف الشيطانىّ ، وعلم (نور) بما أصاب ابنته ، التى تحوَّلت إلى نصف شيطانة ، تمتلك قوَّة رهيبة ، لا قِبَلَ للبشر بمواجهتها ..

وكان على (نور) أن يبحث عن مساعدة أكثر قوَّة ، على الرغم من أن (عبد الجليل) قد عاد حيًّا ..

ولجأ (نور) ، بعد استشارة الدكتور (حجازى) ، إلى الدكتور (عزيز) ، أكبر علماء ما فوق الطبيعيات ، علمًا وسنًّا ..

وهنا فقط أدرك (نور) مَنْ يقاتل ..

(*) راجع قصة (ابن الشيطان) .. (الجزء الأوَّل) .. المغامرة رقم (٧٢)

لقد أخبره الدكتور (عزيز) باسم عدوه ، وأسطورته ، كما تعرَّف القرص الملعون ، وأخبر (نور) والدكتور (حجازى) بمعنى النقش الجهنميّ ، وأضاف إلى ذلك أنه كان صديقًا لجدّ (نور) ، الذى هزم الشيطان الابن قديمًا ..

ولكن الدكتور (عزيز) لم يكن يعرف نقطة ضعف (ابن الشيطان) ..

وعلى الرغم من ذلك ، فقد منح (نور) قنينة صغيرة ، تحوى ماءً مباركًا ، من بئر (زمزم) ، وطلب منه حقنها فى دماء ابنته ، فتتخلّص تمامًا من الدماء الشيطانية ، على أن يتم ذلك قبل الفجر ..

وفى هذه الأثناء ، كان الشيطان الابن قد اختطف (نشوى) ، وحملها إلى منزل الجدّ ، حيث لحق به (نور) ..

وهناك كان على (نور) أن يقاتل ابنته ، التى يسيطر عليها الشيطان تمامًا ..

وكان الصراع مريرًا حقًا ..(*)

* * *

(*) راجع الجزء الثانى (مبعوث الجحيم) .. المغامرة رقم (٧٣) .

وفى بداية الجولة الثالثة ، هزم (نور) (ابن الشيطان) ، واستعاد ابنته ..

لقد استنتج نقطة ضعف عدوّه ..

لقد كانت النار ..

صحيح أن الشيطان الابن من نار ، ولكن النار تهزمه وتدحره ..

تمامًا مثلنا ..

نحن من طين ، ولكن الطّين يلوّثنا ويؤلمنا ..

وانهزم الشيطان الابن ..

واحترق ..

وعندما كان يتلاشى ، هتف بعبارة واحدة ..

« سأعود » ..

وقبيل الفجر بلحظات ، حقن (نور) ابنته بماء زمزم ، وأنقذها من دماء الشيطان ..

وتلاشى الشيطان الصغير ، وترك خلفه ذلك القرص المنقوش الملعون ، الذى نقله (نور) إلى إدارة البحث العلمى ، التابعة للمخابرات العلمية المصرية ، ليبحثوا عن وسيلة لتدميره ..

ولكن القرص كان منيعًا حقًا ، وما من وسيلة أرضية لتدميره ..

وبينما كان (نور) يقيم حفلًا فى منزله ، احتفالًا بشفاء زميله (رمزى) و (محمود) ، من إصابتهما فى مغامرة سابقة(*) ، كان (صفوت) ، ذلك الصحفىّ الخائن العميل يقتحم إدارة البحث العلمىّ ، مزوّدًا برداء شيطانىّ منيع ، وسلاح مدمّر رهيب ..

واستعاد صنيعة الشيطان الابن ذلك القرص الملعون ، بعد أن ترك خلفه قدرًا مخيفًا من التخريب والدّمار ..

وفى منطقة نائية ، بدأ صفوت طقوس إعادة الشيطان الابن ..

وعاد ..

عاد الشيطان الصغير إلى الأرض ، ليواصل انتقامه وشروره ..

وكان أوّل ما فعله هو أن قتل (صفوت) ..

قتل الآدمى ، الذى أعاده إلى الحياة ..

(*) راجع قصّة (الستار الأسود) .. المغامرة رقم (٧٠) .

وبدأ الرُّعب مرّة أخرى ..

وتحوّل حفل (نور) إلى ملحمة رُعب رهيبة ..

مقاتل رومانىّ قديم ، عاد كهيكل عظمىّ لينتقم من (نور) ، الذى هزمه فى حياة سابقة ..

الجميع انتقلوا إلى جزيرة نائية ، فى قلب المحيط ..

سرطانات بحر بأعداد هائلة ، كادت تلتهمهم جميعًا ..

ثم انتهى كل شىء بغتة ..

وأدرك الجميع أن الشيطان الابن قد عاد ..

وأنها الجولة الأخيرة حتمًا هذه المرّة ..

وافترق الجميع ، بعد أن أخبرهم (ابن الشيطان) أنه سيقتلهم جميعًا ، قبل أن ينهى صراعه مع (نور) ..

وفى تلك الليلة ، التى نتحدّث عنها ، وبعد أقل من ساعة ، من انصراف الجميع من منزل (نور) ، بدأ الشيطان الابن انتقامه ..

كان الدكتور (حجازى) والدكتور (عزيز) فى طريقهما إلى منزل الأخير ، الذى يقع فى منطقة قديمة مهجورة ، لا يقطنها سواه ، على مشارف مدينة (القاهرة) القديمة ، عندما تعطّلت سيّارة الدكتور (حجازى) ..

وعندما هبط ليفحصها ، أحاطت بهما قطعان الذّئاب ، وكلها كانت تحمل عينى الشيطان الابن ..

تلك العينان الملتهبتان ..

وفى نفس اللحظة كان (رمزى) و (محمود) يواجهان تِنّينًا أُسطوريًا مخيفًا ، ينفث من بين فكّيه النيران ..

وكانت له نفس العينين ..

عينا الشيطان ..

أمّا (نور) و (سلوى) و (نشوى) ، فقد كانوا يواجهون قطعانًا لا حصر لها من الفئران ..

فئران بالمئات ، برزت من كل مكان ..

وكلها لها نفس العيون الشيطانيّة الرّهيبة ..

وكان من الواضح أن الشيطان الابن قد قرّر إنهاء المعركة كلها ..

سيضرب الجميع ضربة واحدة ..

نعم ..

كانت هذه هى خُطّته ..

أن تنتهى المعركة على نحو مبهر ، يعيد إليه كرامته وهيبته ، بين بنى جنسه من الشياطين ..

كانت هذه معركته الأخيرة ..

وجولته الأخيرة(*)

* * *

(*) راجع الجزء الثالث (الصراع الجهنمى) .. المغامرة رقم (٧٤)

٢ ـــ الهجوم ..

تجمّد الدكتور (حجازى) فى مكانه ، وهو يدير عينيه بين عشرات العيون النارية ، والأنياب البارزة ، لقطيع الذئاب ، الذى يحدّق فيه على نحو وحشى مخيف ، فى حين لم يلبث الدكتور (عزيز) أن طرد مخاوفه ورُعبه ، ونفضهما جانبًا ، مع ذلك الفُضول العلمىّ الشديد ، الذى سيطر على كل حواسّه ، وهو يراقب ذلك القطيع من الذئاب ، الذى سيطر عليه الشيطان الابن تمامًا ، وغمغم فى اهتمام ، وهو يفتح زجاج السيّارة المجاور له :

ـــ من المثير حقًّا أنه يستطيع السيطرة على كل هذا العدد .

ضغط الدكتور (حجازى) أسنانه ، وهو يقول فى خُفُوت وتوتُّر :

ـــ أغلق زجاج السيّارة يا دكتور (عزيز) ، وكُفّ عن تساؤلاتك العلمية هذه ، فنحن نتعرّض لخطر الموت .

أغلق الدكتور (عزيز) زجاج السيّارة فى بطء وحَذَر ، وهو يقول :

ـــ ألا تحمل سلاحًا ؟

تمتم الدكتور (حجازى) فى توتُّر :

ـــ إننى أحمل مسدَّسًا ليزريًّا ، ولكنه لن يفيد ، فمهما بلغت براعتى ، فلن أصيب سوى ثلاثة أو أربعة من تلك الذئاب ، وبعدها ستنهشنى مخالب الباقين وأنيابهم .

تمتم بهذا ، وهو يتحرَّك فى بطء نحو باب السيارة ، حتى يستطيع الاحتماء داخلها ، قبل أن تهاجمه الذئاب ..

ولكن جسمه انتفض فجأة فى رُعب ، عندما سمع الدكتور (عزيز) يهتف فى ذُعر :

ـــ احترس من خلفك .

استدار الدكتور (حجازى) فى حركة حادَّة عنيفة ، والتقت عيناه بتلك العينين الناريَّتيْن لذئب ضخم وحشىّ ، ينقضُّ عليه من الخلف ..

وإثر حركته الحادَّة ، بدأ الهجوم ..

وانقضَّت الذئاب كلها فى آن واحد ..

* * *

بدا الزمن ، بالنسبة لـ (رمزى) و (محمود) ، وكأنما قد توقَّف تمامًا ، أو لم يَعُد له وجود ، وهما يحدِّقان فى ذلك التنّين الأسطورىّ ، الذى يقف أمامهما متحفِّزًا إلى أن غمغم (محمود) فى رُعب :

ـــ أوَهْمٌ هو أم حقيقة يا (رمزى) ؟

أجابه (رمزى) فى توتُّر رهيب :

ـــ لو سألتنى رأيًا منطقيًّا ، فهو حتمًا نوع من الوَهْم ، إذ أن التنّين كائن أسطورىّ خرافىّ ، أمّا لو أنك تسألنى شعورى ، فهو حقيقة لا ريب .

تراجع عُنُق التنّين الطويل ، فى تلك اللحظة ، وصدر من خلفه فحيح مخيف ، أعقبه انطلاق لسان من اللهب ، لفحت حرارته وجهى : (رمزى) و (محمود) ، فهبَّ الأوَّل من مقعده ، وهو يهتف :

ـــ إنه حقيقة .

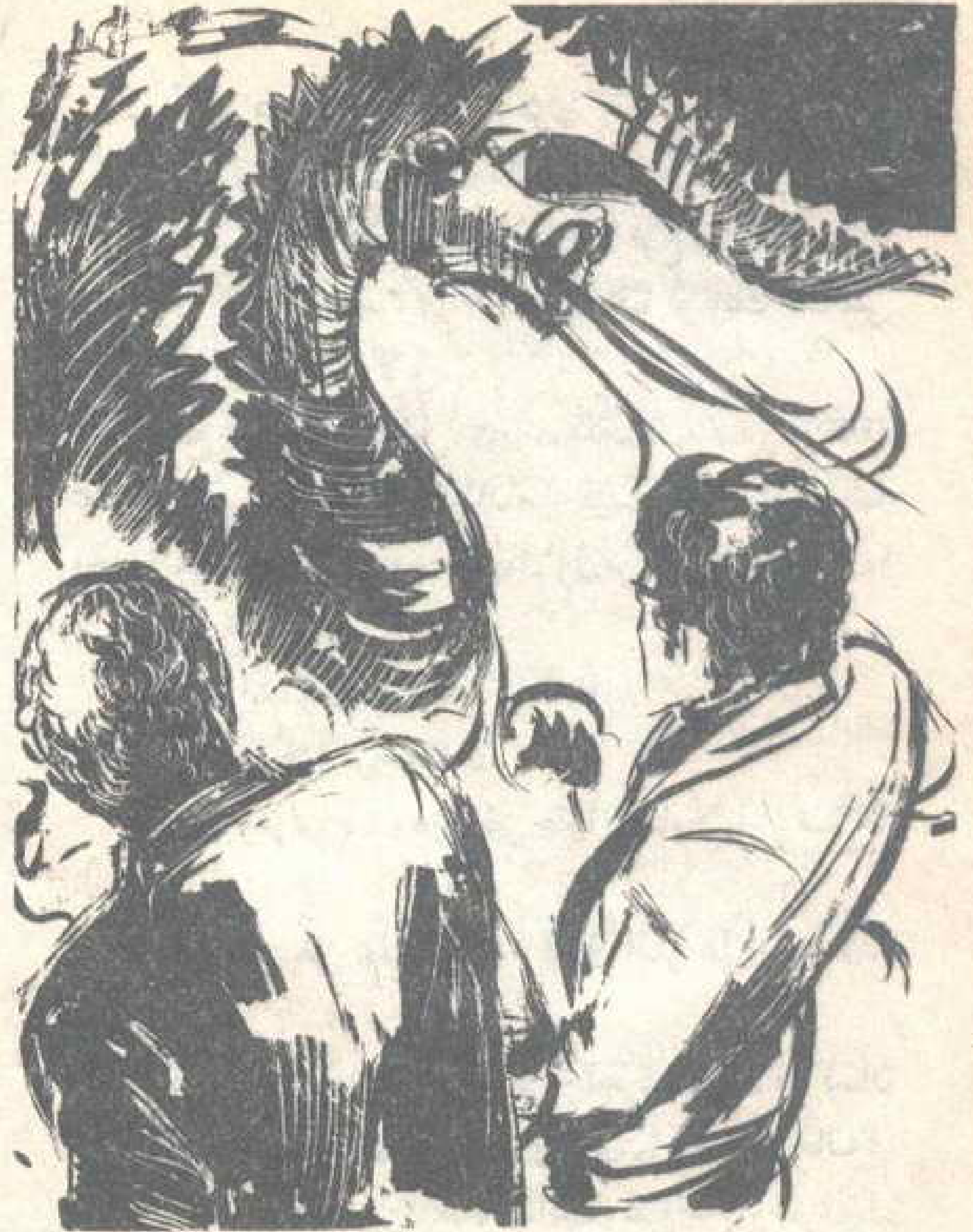
تراجع (محمود) فى رعب ، هاتفًا :

ـــ يا إلهى !!.. رُحْماك !!

صاح (رمزى) ، وهو يقفز جانبًا ، محاولاً بلوغ سلاحه الليزرىّ :

ـــ تُرى .. هل تفلح نظرية إطلاق النار على العين هذه المرَّة ؟

ولكن فحيحًا جديدًا انطلق من حنجرة التنّين ، مع لسان رفيع من اللهب ، أصاب مسدَّس (رمزى) فى دِقَّة ، وأحاله فى لحظة واحدة إلى كومة من المعدن الذائب ، فتراجع (رمزى) فى ذُعر ، وحدَّق فى عينَيِ التنّين الملتهبتين ، فى حين هتف (محمود) :


تراجع عُنق التنين الطويل ، فى تلك اللحظة ، وصدر من خلفه فحيح مخيف ..

ـــ ماذا نفعل الآن ؟

وقبل أن ينطق (رمزى) بحرف واحد ، كان التنين ينفث لسانًا حادًا من اللهب ، نحو هدف جديد ..

وفى هذه المرَّة كان الهدف هو (رمزى) ..

* * *

صرخت (سلوى) فى رُعب، وشهقت (نشوى) فى ارتياع، على حين انعقد حاجبا (نور) فى سخط وتوتُّر، والثلاثة يحدّقون فى عيون مئات الفئران، التى برزت فى كل ركن من أركان المنزل، وراحت تتطلّع إليهم بعيونها الملتهبة فى وحشية، وقد بدت أنيابها الحادّة الصغيرة كمئات الإبر السّامّة، التى تتحفّز للقفز فى الوجوه..

وفى رُعب هائل ، تشبَّثت (نشوى) بأبيها ، وهى تقول :

ـــ أبى .. إنهم سيلتهموننا .

امتدّت يد (نور) نحو مسدّسه اللّيزرىّ فى بطء وحَذر ، وهو يقول فى توتُّر بالغ :

ـــ أظنهم سيحاولون .

تشبَّثت به (سلوى) بدوْرها ، وهى تقول فى رُعْب :

ـــ وما الذى سيمنعهم من التهامنا لو حاولوا يا (نور) ؟ إنهم قطعان لا حصر لها ، وحتى لو أطلقت عليهم مسدّسك اللّيزرىّ ، فسينضب مخزن طاقته ، قبل أن تقتل عُشرهم ، بفرض وجود الوقت الكافى لتفعل .

التقط مسدّسه اللّيزرى ، وهو يقول فى حزم :

ـــ سأكون قد قاومت على الأقل .

بكتْ (نشوى) فى انهيار ، وهى تقول :

ـــ لا يمكننى تصوُّر ذلك .. لا يمكننى تخيُّل أن تنتهى حياتى فى معدة فأر حقير .

هتفت (سلوى) فى ألم ومرارة :

ـــ لا تقولى ذلك يا (نشوى) .. لا تذكريه .

عقد (نور) حاجبيه ، وهو يقول :

ـــ لن أسمح لتلك الحيوانات القذرة الصغيرة بافتراسنا ، حتى لو اقتضى الأمر أن أقتلكما ، قبل أن تمس أنيابها جسديكما .

وفجأة ، بدأ أحد الفئران يُطلق صوته الحاد الرفيع ، ثم تبعته عدة فئران أخرى ، وأخرى .. وأخرى ، حتى أصبح المنزل كله يموج بتلك الأصوات الحادَّة ، التى بدت هادرة مع اجتماعها ، مثيرة للأعصاب ، فصرخت (نشوى) ، وهى تحاول إغلاق أذنيها بكفَّيها فى قوة :

ـــ كَفَى .. كَفَى .. لم أعُد أحْتَمِل .

ولكن الصوت الرهيب كان يتسلَّل إلى عظامها ..

إلى خلاياها ..

إلى عقلها ..

وانهارت (سلوى) بدَوْرِهَا ، وهى تهتف فى مرارة :

ـــ إنها النهاية يا (نور) .. إنها النهاية .

صرخ (نور) :

ـــ كلَّا ..

ثم أطلق أشعة مسدَّسه اللّيزرية على أقرب الفئران إليه ..

وسقط الفأر صريعًا ..

وتعالى الصَّوْت الرهيب المخيف ..

وسقط فأر ثان ..

وثالث ..

ورابع ..

وخامس ..

وفى كل مرَّة كان الصوت الرهيب يرتفع ويرتفع ..

ثم فجأة توقَّف الصوت دفعة واحدة ، وساد سكون رهيب ، قطعه (نور) وهو يغمغم فى حَيْرَة :

ـــ ماذا حدث ؟

وكأنما كانت كلمته الحائرة هى إشارة البدء ، فلم يكد يتمّ حروفها ، حتى بدأت الفئران هجومها فى آن واحد ..

وزحف نهر الموت ..

* * *

٣ ـ القتال ..

كانت انقضاضة الذئاب مصحوبة بزئير قوىّ ، ارتجّت له المنطقة ، وانتفضت له جدران البيوت القديمة المتهالكة ، وتهاوى له قلبا الدكتور (حجازى) والدكتور (عزيز) رعبًا ، وصرخ الأخير ، وهو يشاهد ذلك الذئب الضخم ينقضُّ على الدكتور (حجازى) :

ـ يا إلهى !!.. هل ستسمح للشيطان الابن بهزيمتنا ؟

أما الدكتور (حجازى) ، فقد لعن تلك الكمية الزائدة من الشحوم تحت جلده ، وهو يقفز جانبًا ، وشعر بمخالب الذئب الحادّة تمزّق كم سترته ، ويبلغ بعضها لحم ذراعه ، قبل أن يتجاوزه الذئب ، ويرتطم بمقدّمة السيّارة ، فى نفس اللحظة التى قفز فِيها ذئب آخر ، نحو الدكتور (حجازى) ، الذى أسرع يحاول القفز داخل السيّارة ، وانحنى فى رُعب ، ليعبُر الذئب الثانى فوق رأسه ، قبل أن يلقِى جسده داخل السيّارة ..

وقبل أن يُغلق باب السيّارة ، انقضّ ذئب ثالث على ساقه ، وغرس أنيابه الحادّة فيها ..

وأطلق الدكتور (حجازى) صرخة ألم ورُعب رهيبة ، رَدَّدت المنطقة الخاوية صداها فى قوّة ، قبل أن يصرخ الدكتور (عزيز) :

ـ مسدّسك اللّيزرىّ .. استخدم مسدّسك .

وبسرعة ، التقط الدكتور (حجازى) مسدّسه اللّيزرىّ من جيب سترته ، وأطلق أشعته دون تفكير على رأس الذئب ، الذى أطلق عواءً رهيبًا ، قبل أن ينتزع أنيابه من ساق الدكتور (حجازى) ، ويدور حول نفسه ، ثم يسقط جثة هامدة ..

وأغلق الدكتور (حجازى) باب سيّارته فى إحكام ، ثم جلس يلهث ويتأوّه ، على حين بدا له وقع أرجل الذئاب كطلقات النيران ، وهى تتقافز فوق سطح السيارة ، وتخمش جسمها بمخالبها ، فى حين برزت وجوه ذئاب أخرى أمام الزجاج الأمامىّ للسيّارة ، وهى تكشّر عن أنيابها ، وتزمجر فى وحشية ، والزَّبَد يتساقط من بين شِدقَيْها ، واللّهب يَضْوِى فى شراسة من عيونها ..

وغمغم الدكتور (عزيز) فى ارتياع :

ـ. ماذا سنفعل ؟!. إنه يسيطر عليها سيطرة تامة .

زفر الدكتور (حجازى) فى قوة ، وهو يغمغم :

ـ هل تسألنى ؟!

ثم عاد يضغط أزرار إدارة المحرِّك فى عصبيَّة ، قبل أن يستطرد :

ـ لقد توقَّف ذلك المحرِّك اللعين تمامًا ، وهذه أوَّل مرَّة يحدث فيها هذا ، بالنسبة لتلك السيارات الصاروخية الحديثة ، التى تعمل بواسطة نظائر الراديوم المشعة(*) .

غمغم الدكتور (عزيز) :

ـ لا تنس أن الذى يدير المعركة مخلوق يتجاوز كل العلوم التى نعرفها .

لوَّح الدكتور (حجازى) بكفِّه ، وهو يقول فى توتُّر :

ـ دَعك منه الآن ، وانظر ما الذى تفعله هذه الذئاب .

(*) النظائر : أنواع لعنصر ما ، تتطابق معه فى النشاط الكيميائىّ ، وتختلف بعضها عن بعض فى الوزن الذرىّ ، ومن أكثر أنواعها شيوعًا الكلور ، حيث يتكوَّن من نظيرين ، وزن أحدهما الذرىّ (٣٥) ووزن الآخر (٣٧) .

عقد الدكتور (عزيز) حاجبيه الأشيبين الكثَّين ، وهو يتطلَّع إلى تلك الذئاب ، التى ابتعدت عن السيارة ، ووقفت على هيئة صفٍّ منتظم أمامها ، وغمغم بدَوْرِهِ فى مزيج من الحَيْرَة والتوتُّر :

ـ حقًّا !.. ما الذى تفعله تلك الذئاب ؟!

وفجأة ، أتاهما الجواب ..

لقد انفصلت الذئاب ، واحدًا بعد الآخر ، عن الصَّفِّ ، وراح كل منها يعدُو نحو السيَّارة ، ثم يقفز معتليًا مقدِّمتها ، ويلقى بجسده كله على زجاجها ، ثم يعود إلى الصَّفِّ ، حيث يلقى آخر جسده على الزجاج ..

وصاح الدكتور (عزيز) فى رُعب :

ـ ماذا يفعلون ؟

أجابه الدكتور (حجازى) ، وهو يلتصق بمقعده فى هلَع :

ـ إنهم يحاولون تحطيم الزجاج ، ليدلفوا إلى السيَّارة ، ويفترسونا .

امتقع وجه الدكتور (عزيز) ، وهو يسأله :

ـ وكم سيحتمل الزجاج ؟

هزَّ الدكتور (حجازى) رأسه ، وقال :



وراح كل منهما يعدو نحو السيارة ، ثم يقفز متعليًا مقدمتها ، ويلقى بجسده كله على زجاجها ..

ــ لست أدرى .. إنه من نوع مقاوم للكسر ، ولكنه لن يحتمل تلك الضربات المتتالية طويلًا .

انعقد حاجبا الدكتور (عزيز) فى شِدَّة ، وهو يقول :

ــ أتعْنى أن هذه الحيوانات تستطيع الانتصار ؟

غمغم الدكتور (حجازى) فى توتُّر بالغ :

ــ إننى أرتجف هلعًا ، كلما تصوَّرت ذلك .

هتف الدكتور (عزيز) فى صرامة :

ــ ولكننا لن نستسلم .

غمغم الدكتور (حجازى) فى عصبيَّة ، وهو يتابع انقضاضات الذئاب المتتالية على زجاج السيَّارة :

ــ وما الذى يمكننا أن نفعله ؟

قال الدكتور (عزيز) فى حزم :

ــ إنك تملك مسدسًا ليزريًّا .. أليس كذلك ؟

هتف الدكتور (حجازى) فى حَنَق :

ــ وفيمَ يفيدنا ذلك ؟

ابتسم العجوز فى خُبث ، وهو يقول :

ــ قد لا يفيدك ، عندما تكون خارج السيَّارة ، ولكنك الآن تحتمى داخلها ، ويمكنك أن تستغل أهم خواصّ اللّيزر ،

ألا وهى أنه عبارة عن شعاع ضوئى ، يسير فى خطوط مستقيمة(*) .

تطلّع إليه الدكتور (حجازى) فى دهشة ، وهو يغمغم :

— ماذا تعنى ؟

أشار الدكتور (عزيز) إلى المبانى المتهدّمة حولهما ، وقال :

— انظر .. ستجد حولك أطنانًا من الأخشاب القديمة الجافة ، التى شارفت البلى ، والتى لن يهتم أحد باحتراقها ، بالإضافة إلى أن أشعة اللّيزر يمكنها أن تمضى عَبْرَ الزجاج ، دون أن نغادر السيّارة ، وتصيب أهدافها فى إحكام .

(*) ليزر : كلمة (ليزر) (Laser) ، هى اختصار الحروف الأولى لمعنى الليزر بالإنجليزية ، وهو عبارة نصها :

« Light Amplification Using Stimvlated emmesion of Radiation ».

ومعنى هذه العبارة هو : « التكبير الضوئى ، باستخدام حزمة إشعاعية مستحثة » .. ولقد نشأت فكرة الليزر من نظرية تنبأت بها ميكانيكا الكم ، وتقول إنه من الممكن أن تتضاعف شدة الضوء (الامتصاص السالب) ، إذا ما عبر ياقوتًا ، أو خليطًا من غازى (الهليوم) و (النيون) ، فينطلق فى خطوط مستقيمة ، دون أن يتفرّق أو يتشتت .

تألّقت عينا الدكتور (حجازى) ، وهو يهتف :

— تقصد ان .....؟

قاطعه العجوز فى حزم :

— بالطبع .. هذا ما أقصده .. هيّا .. أطلق أشعتك يا رجل ، ودعنا نُحطْ تلك الحيوانات بدائرة من النيران .. هيّا .

تهلّلت أسارير الدكتور (حجازى) ، وهو يهتف :

— يا إلٰهى !!.. أنت على حقّ .

وصوّب مسدّسه نحو إطار خشبى قديم ، على بعد أمتار منه ، وأطلق الأشعة ..

* * *

يدين (رمزى) بفضل نجاته فى تلك الليلة المشئومة ، لرد فعل بدائى بسيط ، تبعثه فى النفوس غريزة البقاء ..

ذلك الذى دفعه إلى أن يلقِى جسده كله جانبًا ، متفاديًا لسان اللهب ، الذى كان يقصده مباشرة ، ثم يهتف فى ذُعر :

— لنبتعد يا (محمود) .. بسرعة .

انطلق الاثنان يَعْدُوَان إلى حجرة بعيدة ، فى نهاية المنزل ، وراح التنّين الأسطورىّ ينقل أقدامه الثقيلة خلفهما فى بطء ، وهو يصدر فحيحه المخيف ، ويطلق ألسنة اللهب ..

وقفز الإثنان داخل الحجرة ، وأغلقاها خلفهما فى إحكام ، وراح (محمود) يلهث فى قوّة ، وهو يهتف :

ـــ يا إلهى !!.. أيّة قوّة نواجه ؟

قال (رمزى) فى حَنق :

ـــ بل قُلْ أى عبث شيطانىّ ؟

لم يكد يتمُّ عبارته ، حتى راحت ألسنة اللهب تضرب باب الحجرة من الخارج ، وبدت حرارته وكأنها تخترق كل العوازل ، وتحيل جوّ الحجرة المغلقة إلى جحيم ، فتلفَّت (رمزى) حوله ، ثم هتف فى سُخط :

ـــ أى مهندس هذا ، الذى صمم هذه الحجرة بلا نوافذ ؟

أجابه (محمود) فى توتُّر :

ـــ كان المفروض أن يعزلها عن هذا المنزل تمامًا ، فهى الحجرة التى أجرى فيها تجاربى الإشعاعية ، وهى تعتمد على نظام تهوية خاصّ ، بدلًا من النوافذ التقليدية .

لوَّح (رمزى) بذراعيه ، وهو يقول فى حدَّة :

ـــ رائع .. لا تنسَ أن تكتب ذلك على قبرنا .

رَانَ عليهما صمت مخيف ، استغرق بضع لحظات ، قبل أن يمسك (محمود) كتف (رمزى) فى قوّة ، وهو يقول :

ـــ قُلْ لى يا (رمزى) ، أأنت واثق من أن إصابة أىّ من تلك المخلوقات فى عينه ، يُذهب أثره .

هزّ (رمزى) كتفيه ، وغمغم :

ـــ هذا ما حدث مع (نور) ، فى كل المرّات .

عقد (محمود) حاجبيه ، وهو يقول :

ـــ الأمر يستحق المحاولة إذن .

سأله (رمزى) فى اهتمام مَشُوب بالقلق :

ـــ ماذا تعنى ؟

اتجه (محمود) نحو أحد أدراج مكتبه ، وهو يقول :

ـــ أعنى أنه ربما كانت لدينا فرصة .

التفت (رمزى) إلى الباب ، الذى بدأ يذوب بفعل ألسنة اللهب ، وقال فى توتُّر ملحوظ :

ـــ كيف ؟

التقط (محمود) من درج مكتبه مسدَّسًا قديمًا ، من ذلك النوع الذى يُحشى بالرصاصات ، وقال :

ـــ إن لدينا هذا ، مع رصاصة واحدة .

تمتم (رمزى) مشدوهًا .

ـــ واحدة ؟!



أجابه (رمزى) فى يأس ، وهو يتطلّع إلى الباب ، الذى انهار تحت وطأة النيران ..

ثم لم يلبث أن استطرد فى عصبيّة :

ـ من أين حصلت على هذا الشىء ؟

أجابه (محمود) ، وهو يفحص المسدّس :

ـ إنه يخصُّ والدى .. كان يستخدمه قديمًا ، قبل انتشار مسدّسات اللّيزر .

هتف (رمزى) :

ـ وماذا ستفعل به ؟

هزَّ (محمود) كتفيه ، وقال :

ـ إنه السلاح الوحيد الذى نمتلكه ، وعلينا أن نحاول استغلاله .

أجابه (رمزى) فى يأس ، وهو يتطلّع إلى الباب ، الذى انهار تحت وطأة النيران ، وإلى رأس التنّين ، الذى برز داخل الحجرة :

ـ أظنُّك على حقّ .

وبسرعة ، أدار (محمود) فوّهة مسدّس والده نحو عين التنّين ..

وأطلق النار ..

* * *

أطلقت (نشوى) صرخة مدوّية ، مع هجوم جحافل الفئران ، وراحت تضرب المخلوقات الصغيرة بقدميها فى رُعب ، مثلما يفعل والدها ، إلّا أنه بدا لها وكأن كل فأر تركله ، يصطحب معه فى الهجمة التالية خمسة فئران ، وأن أعداد المهاجمين تتضاعف فى سرعة مُذْهلة ..

وصرخ (نور) :

ـ اصعدا فوق أية منطقة مرتفعة .. أسرعا .

قفزت (سلوى) فوق الموقد ، ومدّت يدها تجذب ابنتها فى هلَع ، وهى تهتف بزوجها ، الذى راح يركل جيوش الفئران ، ويطلق عليها أشعته القاتلة :

ـ اصعد يا (نور) .. اصعد معنا .

ولكنه بدا وكأنه لم يسمعها ، وهو يُطلق الأشعة فى عنف واستمرار ، وأنفاسه تتلاحق من فرط التعب والإجهاد والانفعال ..

وتشبّثت (نشوى) بأمّها ، وهى تهتف :

ـ أمّاه .. ينبغى أن نفعل شيئًا .. إننا لن نتركه هكذا .

صاحت (سلوى) فى ارتياع :

ـ ماذا نفعل ؟. ماذا ؟.. إن تلك الفئران اللّعينة تتسلّق

الموقد بالعشرات ، ولن يمضى وقت طويل ، حتى نجد نفسينا فى موقف أسوأ من (نور) .

صاحت (نشوى) :

ـ ولكن ينبغى أن نفعل شيئًا .

ومدّت يدها تلتقط سكّينًا ضخمًا ، وكأنما قرّرت أن تشترك فى المعركة بالسلاح الأبيض ..

ولكنها انزلقت فجأة ..

انزلقت وهَوَت وسط مئات الفئران ..

مئات المخالب الحادّة والأنياب الدقيقة ..

وصرخت (سلوى) فى ارتياع :

ـ (نشوى) .

وأدار (نور) عينيه نحو ابنته ، ورأى جيوش الفئران تهاجمها فى وحشية وشراسة .. وشر ..

وبدا أن الشيطان سينتصر حتمًا فى هذه الجولة ..

حتمًا ..

* * *

٤ ـــ كيف ؟! ..

أشعلت أشعة اللّيزر النيران ، فى البقايا الخشبية المتعدِّدة ، حول سيّارة الدكتور (حجازى) الصاروخية ، وتوقّف قطيع الذئاب عن الهجوم ، وراح يتطلّع إلى النيران فى خوف ، ثم لم يلبث قائد القطيع أن أطلق عواءً متصلًا ، ثم انطلق يعدو مبتعدًا ، وقد تلاشت من عينيه تلك النظرة النارية ، وتبعه القطيع كله بسرعة كبيرة ، فهتف الدكتور (حجازى) :

ـــ أنت عبقرىّ يا دكتور (عزيز) .. لقد نجونا .

تنهّد الدكتور (عزيز) فى ارتياح ، وقال :

ـــ النار يا ولدى .. النار وحدها تغسل الشرور .

ضغط الدكتور (حجازى) أزرار المحرّك ، فأضاءت كلها فى ليونة ، وهتف هو فى سعادة :

ـــ حتى المحرّك عاد للعمل .. يا للرّوعة !!

ثم انطلق بالسيّارة نحو منزل الدكتور (عزيز) ، وهو يستطرد :

ـــ يبدو أننا كنّا أوّل من سيطبق عليهم الشيطان الصغير انتقامه ، ولكننا نجونا .

غمغم الدكتور (عزيز) فى صوت مضطرب :

ـــ مؤقتًا .

عقد الدكتور (حجازى) حاجبيه ، وقال فى توتُّر :

ـــ لماذا تقول هذا يا دكتور (عزيز) ؟

رفع الدكتور (عزيز) سبّابته أمام وجهه ، وهو يقول :

ـــ لأن ذلك الوغد الصغير ما يزال هنا .. على أرضنا ، وما دام لم يَعُد مرغمًا إلى جحيم أجداده ، فالخطر لن ينزاح عنّا أبدًا .

تمتم الدكتور (حجازى) :

ـــ صدقت .

ثم أوقف السيارة أمام منزل الدكتور (عزيز) ، مستطردًا فى خُفوت :

ـــ ويبدو أنك ستضطر لاستضافتى حتى الصباح ، فلست أجد فى نفسى الشجاعة للعودة وحدى الآن .

ابتسم الدكتور (عزيز) ، وهو يقول :

ـــ شكرًا يا ولدى .. لقد كنت أبحث عن وسيلة ، أطلب

بها منك البقاء معى حتى الصباح ، ولكنك التقطت زمام المبادرة .

غادرا السيَّارة ، والدكتور (حجازى) يغمغم :

ــ أتعلم ؟. أظن أنه لن يغمض لى جفن حتى الصباح .

أجابه الدكتور (عزيز) فى هدوء :

ــ هذا حتمىّ ، فسنقضى الليل كله فى البحث .

سأله فى دهشة :

ــ أى بحث ؟

سَرَت الجدِّية والصرامة فى صوت الدكتور (عزيز) ، وهو يقول :

ــ سنبحث عن وسيلة جديدة ، لمواجهة الشيطان الابن ، أو لقتله دون مواجهته ، فنحن نخوض حربًا شعواء يا ولدى ، وويْل لمن يُغمِض جفنيه ، قبل أن تعلن الحرب نهايتها .. الوَيْل كلُّ الويل ..

* * *

من المؤكَّد أن (محمود) لم يستخدم تلك المسدَّسات ، التى تُطلق الرصاصات ، من قبل أبدًا ..

ومن المؤكَّد أيضًا أنه لم يجد الوقت الكافى للتصويب ..

ولكن الرصاصات أصابت هدفها ..

أصابته بدقة بالغة ، كما لو أنه رامٍ بارعٌ محترف ..

وفى تلك العين الشيطانية الملتهبة ، غاصت الرصاصة ..

وأطلق التنِّين الخرافىّ فحيحًا رَهيبًا ، ثم تراجع فى سرعة كبيرة نسبيًّا ، نظرًا لثقل جسمه ، وبطئه المعهود ..

وفجأة ، تحوَّل التنِّين إلى شعلة من اللهب ..

شعلة تأجَّجت لحظة واحدة ، ثم خبَت وتلاشت ..

ولدقيقة تلت ، لم ينبس (رمزى) أو (محمود) ببنتِ شَفَة ، أو تبدر من أيهما بادرة واحدة ..

كانا وكأنما قد تحوَّلا إلى تمثالين من الرخام البارد ..

ثم انتفض (محمود) ، وهتف :

ــ لقد أصبته .

حدَّق (رمزى) فى تلك البقعة ، التى كان يقف عندها التنِّين ، وهتف :

ــ أهو وَهْم ؟

أشار (محمود) إلى بقايا الباب المحترق ، وهو يقول فى حماس :

ــ بل حقيقة .

ثم أسرع يغادر الحجرة ، ويتجه نحو جهاز التليڤيديو ، الخاصّ به ، فسأله (رمزى) فى دهشة :

ـ ماذا ستفعل ؟

أجابه ، وهو يضغط أزرار التليڤيديو فى سرعة ولهفة :

ـ أريد أن أطمئن على (نور) ، فسرعة الهجوم توحى بأنه هجوم شامل ، إذ يبدو أن ذلك الشيطان قد قرَّر أن يضرب ضربته الأخيرة .. وبحزم .

* * *

سقطت (نشوى) وسط جحافل الفئران الشرسة ..

وصرخت (سلوى) فى لوعة ..

وعضَّ (نور) شفتيه فى مرارة ، وهو يركل الحيوانات الصغيرة ، صائحًا :

ـ ابتعدى أيتها الجرذان الحقيرة .. ابتعدى ..

وفجأة ، حدث ما أثار دهشته إلى أقصى حدّ ..

لقد تراجعت الفئران ، وابتعدت بالفعل ، كما لو أنها قد أطاعت أوامره ..

تراجعت كلها ، ووقفت تحدّق فى (نور) و (سلوى) و (نشوى) لحظات ، ثم اندفعت كلها إلى حيث جاءت ..

واختفت جيوش الفئران كلها فى لحظات ..

ولم يكد آخر فأر يختفى ، حتى هتفت (سلوى) ، وهى تقفز نحو ابنتها :

ـ أأنت بخير ؟.. أأنت بخير يا بنيّتى ؟!

أومأت (نشوى) برأسها إيجابًا ، وهى تنهض بمعاونة أمها ، دون أن تجرؤ على التفوّه بحرف واحد ، ، فى حين غمغم (نور) فى حَيْرة :

ـ ولكن لماذا ؟.. لماذا ؟

سألته (سلوى) فى دهشة :

ـ عمَّ تتساءل ؟

أشار حوله ، قائلًا :

ـ لماذا جعلهم يتراجعون ، على الرغم من أنه كانت أمامه فرصة نادرة لقتلنا جميعًا ؟!

غمغمت (سلوى) فى توتُّر :

ـ ربما قلت أنت شيئًا .. أو فعلت شيئًا .. أو .....

صمتت لحظة ، ثم هتفت فى حماس ، وكأنها قد أدركت الأمر :

ـ ألم تأمرهم بالابتعاد ؟!

لم تكد تنتهى من عبارتها ، حتى ردّدت الجدران صدى ضحكة شيطانية ساخرة ، انطلقت من نقطة ما ، خارج الزمان والمكان ، فعقد (نور) حاجبيه فى غضب ، وهو يهتف :

ـ أيُّها الحقير .. لقد أضعت من نفسك فرصة نادرة ، ستندم عليها أشد الندم فيما بعْد .

انطلقت الضحكة الساخرة مرّة أخرى ، وأعقبها صوت (ابن الشيطان) ، وهو يقول :

ـ أخطأت مرّة أخرى أيُّها الآدميّ ، فالندم ليس من سماتى ، كما أن فئرانى لم تترككم ، لأنك أمرتها بذلك ، بل لأننى أنا فعلت .

قال (نور) فى سخرية ، وهو يتلفت حوله ، بحثًا عن مصدر الصوت :

ـ لماذا أيها العطـوف ؟.. أراودتك تلك العاطفة العجيبة ، التى لم يألفها بنو جنسك من قبل ، والمعروفة باسم (الرحمة) ؟

أجابه صوت الشيطان الابن ، فى سُخرية مماثلة :

ـ لا وجود لتلك الكلمة فى قاموسنا يا حفيد

(أوزيريس) ، مثلها مثل عشرات الكلمات الحمقاء ، التى تعبّرون بها عن مشاعر أكثر حماقة ، يا بنى (آدم) .. إن قاموسنا لا يحوى سوى كلمات القوّة والظفر والشدّة والبأس .

قال (نور) فى برود :

ـ فهمت .

ثم أضاف فى حزم :

ـ لقد تركتنا إذن ، لتبرز قوّتك ، وتؤكّد لنا سيطرتك على حياتنا ومقاديرنا .

قال الصوت فى برود مماثل لبرود (نور) :

ـ ربما كان هذا أحد الأسباب ، ولكن السبب الرئيسى هو أن رفاقك قد نجوا ، ولست أحب أن أقضى عليك وعلى أسرتك ، إلّا بعد أن أرى الحزن والمرارة فى عيونكم ، عندما يلقى الجميع مصرعهم .

قلّب (نور) شفتيه فى ازدراء ، وهو يقول :

ـ يا للحقارة !!

ثم رفع قبضته ، ولوّح بها مهدّدًا ، وهاتفًا :

ـ ولكنك لا تجرؤ على مواجهتى أيها الجبان الحقير .. إننى أتحدّاك أن تفعل .. أتحدّاك أن تظهر أمامى وجهًا لوجه .



ثم رفع قبضته ، ولوّح بها مهدّدًا ، وهاتفًا :

— ولكنك لا تجرؤ على مواجهتى .

أجابه الشيطان الابن فى حِدَّة :

— سأفعل يا حفيد (أوزيريس) .

ثم استعاد هدوءه بسرعة ، وهو يستطرد :

— ولكن فى الوقت المناسب ، عندما أرى أنا أن الوقت قد حان .

قالها وأطلق ضحكته الساخرة المخيفة ، التى راحت تتلاشى فى بطء ، مع ارتفاع أزيز جهاز التليڤيديو ، فهتفت (سلوى) فى خوف :

— هل ذهب ؟

أجابها (نور) وهو يتجه نحو جهاز التليڤيديو :

— مؤقتًا .

ثم ضغط زِرَّ الجهاز ، فظهرت على شاشته صورة (محمود) ، وهو يهتف فى لهفة :

— (نور) .. أأنت بخير ؟.. أأنتم جميعًا بخير ؟

أجابه (نور) فى هدوء :

— اطمئن يا صديقى .. الجميع هنا بخير .. لقد نجونا مثلما فعلتم جميعًا .

هتف (محمود) فى دهشة :

- كيف علمت بأمر نجاتنا ؟

أجابه فى هدوء :

- لقد أخبرنى ذلك الجهنمىّ الحقير .

زفر (محمود) فى قوة ، قبل أن يهتف :

- يا إلهى !!.. إنها أبشع تجربة مررنا بها حقًا يا (نور) .. إن جسدى ما يزال يرتجف ، على الرغم من أننا قد نجونا بالفعل .

قال (نور) فى حزم :

- إنها تجربة رهيبة للجميع يا (محمود) ، ولكننا سنحاول الاستفادة منها إلى أقصى حدّ .

هتف به :

- كيف ؟!

أجابه بنفس الحزم :

- ستعلم كيف يا (محمود) ، سأخبرك مع الآخرين غدًا ، فى اجتماع خاص ، فى إدارة المخابرات .

غمغم (محمود) فى دهشة :

- اجتماع خاصّ ؟!

أومأ (نور) برأسه إيجابًا . وقال :

- نعم .. ويمكنك أن تطلق عليه اسم (مجلس الحرب) .

أمسكت (سلوى) كتف زوجها ، وهى تقول فى قلَق :

- (نور) .. هل ستعلن عليه الحرب حقًا ؟

أجابها فى صرامة :

- بل سأقاوم حربًا يشنُّها هو علينا .

والتفت مرّة أخرى إلى شاشة التليفيديو ، مستطردًا فى حزم وحسم :

- غدًا يا (محمود) .. غدًا تبدأ المعركة الحقيقية ..

* * *



٥ ـ الكلمة ..

كان الاجتماع فى مركز قيادة المخابرات العلمية ..

لم يكن فى ذلك المبنى ، المقام فوق سطح الأرض ، والذى يتصوَّر العامة أنه مركز القيادة ، وإنما كان فى المركز الفعلىّ ، على عمق نصف كيلومتر تحت سطح البحر ..

وكان الاجتماع يتمّ داخل حجرة مصمطة ، بلا نوافذ ، ولا تحوى سوى مائدة مستديـــرة ، جلس حولها (نور) وفريقه ، وابنته (نشوى) ، والدكتور (حجـــازى) والدكتور (عزيز) ..

ولقد زُوِّدت هذه الحجرة بنظام تهوية خاصّ ، شديد التعقيد ، يعتمد على التداخـــلات الذريّــة ، للـــذرَّات الإليكترونية ، وهناك جهاز خاصّ ، يمنع وجود أيّة أجهزة تصنُّت ، ويمنع تسرُّب حرف واحد خارج الحجرة ..

وجدران الحجرة نفسها من الرصاص السَّميك ، الذى يبلغ سمكه ما بين عشرين إلى ثلاثين سنتيمترًا ، وتحيط بها ذبذبة

كهرومغناطيسية دقيقة وقويَّة ، بحيث لا تسمح بمرور أيّة قوّة عَبْرَها ، مَهما بلغ صغر ذبذباتها ..

باختصار ، كانت حصنًا يستحيل اختراقه ..

وفى داخلها ، كان الدكتور (حجازى) يسأل (نور) :

ـ ما سِرُّ هذا الاجتماع يا (نور) ؟

أجابه (نور) فى هدوء :

ـ إننا هنا لِنُعِدَّ خُطَّة العمل ، للإيقاع بذلك الشيطان الابن يا سيِّدى .

هتفت (سلوى) فى قلق ، وهى تتلفَّت حولها :

ـ ولكنه قد يكون هنا يا (نور) .

أشار إلى الجدران ، قائلًا :

ـ لا تنسَوْا أنه ، على الرغم من قدراته المُذهِلَة ، نصف بشرىّ .. أى أنه لن يستطيع عبور تلك الجدران ، مع وسائل أمنها ، إلَّا بعد أن نعلم بوجوده .

غمغمت (سلوى) فى توتُّر :

ـ لست أظن شيئًا يقف فى سبيل شيطان مثله .

قال (نور) فى حزم :

ـ على أيّة حال ، ليس أمامنا سوى أن نخاطر .

التفت الدكتور (حجازى) إلى الدكتور (عزيز) ، وسأله فى قلق واهتمام :

ـ أتظن أن تلك الجدران تمنعه يا سيِّدى ؟

تردَّد العجوز لحظات ، ثم قال :

ـ إننى لم أدرس هذا الاحتمال أبدًا .

أشار إليه (نور) فى حزم ، وهو يقول :

ـ دَعْكَ الآن من الدراسات والاحتمالات يا سيِّدى ، وأخبرنى كخبير فى علوم ما فوق الطبيعيَّات ، أهناك وسيلة أخرى لهزيمة ذلك الشيطان الصغير ، دون مواجهته ؟

تنهَّد الرجل ، وهزَّ رأسه نفيًا ، وقال :

ـ لقد قضيت الليل كله ، أبحث مع الدكتور (حجازى) عن تلك الوسيلة ، ولكننا فشلنا ، وحتى الآن ، فالوسيلة الوحيدة للقضاء على ذلك الشيطان الابن ، والتى كشفتها أنت ، هى النار .. النار فقط ..

وتنهَّد مرَّة أخرى ، ثم أضاف فى أسف :

ـ ولكن هذا يتطلَّب مواجهته حتمًا .

التفت (نور) إلى (رمزى) ، وسأله :

ـ قُلْ لى ، كخبير نفسىّ ، كيف يمكن دفع ذلك الابن الشيطانىّ لمواجهتى على نحو مباشر ؟

عقد (رمزى) حاجبيه ، يحاول دراسة هذا الاحتمال ، ثم قال فى تردُّد :

ـ أظنه لن يواجهك وجهًا لوجه ، إلَّا فى حالة واحدة يا (نور) .

سأله (نور) فى اهتمام شديد :

ـ متى ؟

تردَّد (رمزى) لحظة أخرى ، ثم أجاب :

ـ عند هزيمتك .

عقد (نور) حاجبيه ، وهو يغمغم :

ـ عظيم .. أتظنه سيأتى على نحو واضح ، أم أنه سيتحصَّن ضد النار ؟

أجابه (رمزى) على الفور :

ـ أظنّ أن الاحتمال الثانى هو الأرجح .

أومأ (نور) برأسه متفهمًا ، ثم اعتدل ، وقال فى قوَّة :

ـ هذا يكفى .. الآن يمكننا أن نضع خطَّتنا أيها السادة .. لقد تركنا ذلك الشيطان الصغير يدير دفَّة المعركة منذ البداية ، أما الآن ، فقد حان الوقت لنقول كلمتنا .. وستتبدَّل الأدْوَار .. ستتبدَّل حتمًا ..

* * *

عاد (فهمى مروان) إلى منزله منهكًا ، بعد يوم طويل ، قضاه فى مراجعة نظم أمن مصنع ضخم ، بصفته خبيرًا فى شئون الأمن ، وأغلق باب المنزل خلفه ، وهو يهتف فى إعياء :

ـــ يا إلهى !!.. كم أتوق لقليل من الرَّاحة ، مع قدح من القهوة ، و .....

بتر عبارته بغتة ، وتراجع فى حركة حادَّة ، جعلته يرتطم بالباب ، الذى أغلقه خلفه على التوّ ، ويلتصق به ، وهو يحدّق فى وجهه ذلك الشخص الجالس أمامه ، فى ذُعر حقيقىّ ..

كان شابًا وسيمًا ، يرتدى حُلَّة سهرة سوداء ، ورباط عنق أحمر ناريًا ، ويجلس هادئًا ، على المقعد المقابل للباب ، بشعره الأشقر الذهبىّ ، وعينيه اللتين تومضان ببريق لهيب مستعر ، وابتسامته المخيفة ..

وفى صعوبة ، وبعد محاولة فاشلة لازدراد لُعَاب جاف ، هتف (فهمى) بصوت مختنق :

ـــ من أنت ؟ .. وكيف دخلت إلى هنا ؟

نهض الشابُّ من مقعده فى هدوء ، واتجه نحوه ، وهو يقول فى صوت بارد ، بدا ـــ على الرغم من برودته ـــ وكأنه يأتى من أعماق الجحيم :



وفى صعوبة ، وبعد محاولة فاشلة لازدراد لُعَاب جاف ، هتف (فهمى) بصوت مختنق : ـــ من أنت ؟.. وكيف دخلت إلى هنا ؟

ـ دَعْكَ من تلك الأسئلة الحمقاء ، وأجبنى أنت : ألديك حُلّة خاصّة ، يمكنها مواجهة النيران ، مهما بلغت قوتها ؟

ازداد (فهمى) التصاقًا بالباب ، وهو يجيب فى خوف ، وعيناه لا تفارقان عينى (ابن الشيطان) الناريتين :

ـ من الصعب وجود مثل هذه الحُلّة ، صحيح أنه توجد ثياب مقاومة لنيران الحرائق العاديّة ، ولكن .....

بتر عبارته فى رُعب هائل ، عندما رأى فى وضوح تلك النيران ، التى تستعر فى عينىْ الشيطان الابن ، الذى قال فى لهجة هادئة حازمة :

ـ أحقًّا ؟!..

شعر (فهمى) بدُوَار ، وبرغبة قوية فى أن يسقط فاقد الوعى ، وهو يغمغم فى ارتياع :

ـ بل توجد حُلّة واحدة فريدة ، مصنوعة بالكامل من مادّة خاصّة ، كانت معدّة لنقل رجل آلىّ ، إلى قلب الشمس ، ولكنها حُلّة نادرة ، لا يوجد منها فى العالم كله ، سوى واحدة ، و .....

قاطعه (ابن الشيطان) ، وهو يحدّق فى عينيه مباشرة ، قائلًا :

ـ وأين هى ؟!

قال (فهمى) ، وقد سَرَت البرودة فى أطرافه ، وتثلّجت حواسّه رُعبًا :

ـ إنها هناك ، فى مؤسسة أبحاث الفضاء ، ومن المستحيل أن يصل إليها أى مخلوق ، ما لم يحصل على تصريح أمنى خاصّ ..

ابتسم (ابن الشيطان) ابتسامة مخيفة ، وهو يقول :

ـ تقصد أى إنسىّ .

ثم وضع كفّيه على كتفى (فهمى) ، الذى احتبست فى حلقه صرْخة رُعب وألم هائلة ، وانتفض جسده انتفاضة عنيفة ، عندما سَرَت فيه تلك الصاعقة ..

صاعقة الشيطان ..

* * *

أصغَى الجميع إلى (نور) فى صمت تام ، وهو يشرح تفاصيل خُطّته ، وبعدها استمر الصمت بضع لحظات ، وخيّم على المكان ، وسيطر عليه سيطرة تامة ، قبل أن تغمغم (نشوى) فى خوف :

ـ أبى .. خُطّتك هذه ليست حربًا .. إنها انتحار .. انتحار كامل .

عقد (نور) حاجبيه ، وهو يقول فى صرامة :

ـــ هذه هى الوسيلة الوحيدة المتاحة .

هتف (رمزى) معترضًا :

ـــ ولكنها ليست وسيلة عادلة .. إنك تدفع نفسك وحياتك ثمنًا لنجاح خُطَّة ، تهدف إلى إنقاذنا جميعًا .

أشار (نور) إلى صدره بقبضته ، وهو يقول فى جِدَّة :

ـــ لأنها معركتى أنا .

هتفت (سلوى) :

ـــ بل هى معركتنا جميعًا .

لوَّح (نور) بكفِّه ، صائحًا :

ـــ أنسيتم أنه يقصدنى أنا فى النهاية ؟! .. أنسيتم أنه من أجلى أنا ، نشبت كل هذه الحرب ؟.. من الطبيعى إذن أن أكون أكثركم ميلًا للمخاطرة والمجازفة ، عَلَى أنْ أَضَعَ فى الاعتبار أن كلًا منكم لديه دَوْر يقوم به .. أليس كذلك ؟

غمغم الدكتور (عزيز) فى إشفاق :

ـــ هذا صحيح يا ولدى ، ولكن أدوارنا تبدو أشبه بـ (الكومبارس) ، إلى جوار دَوْرِك .

هتف (نور) :

ـــ هذا ما تظنُّونه .. إنَّ أدواركم أكثر أهميَّة من دَوْرِى .. صحيح أننى سأواجهه فى النهاية ، ولكننى سأفعل وأنا واثق من أن كلًّا منكم قد أدَّى دَوْرَهُ على نحو جيِّد ، وإلَّا فالفشل نصيبى حتمًا .

نهض (محمود) ، وهو يقول فى حزم :

ـــ أنت على حقٍّ يا (نور) .

هتفت (سلوى) مستنكرة :

ـــ ماذا تقول يا (محمود) ؟

التفت إليها ، وهو يقول فى حزم :

ـــ أقول إنه على حقٍّ يا (سلوى) .. إنها معركته ، شئنا أم أبينا .. وسأستعيد هنا عبارة الدكتور (عزيز) ، التى نسيها فى غمرة انفعاله ، تلك العبارة التى تقول « إنه من الضرورىّ أن نستعين فى قتالنا ، مع الشيطان الابن ، بالعقل والمنطق وحدهما ، وإلَّا فإنه سينتصر حتمًا » ، لا مجال هنا للعواطف والانفعالات .. الواقع وحده سينتصر .

ثم استدار إلى (نور) ، واستطرد فى قوَّة :

ـــ أنا أحد جنودك يا (نور) ، وسأنفِّذ كل ما تأمرنى به .

غمغم (نور) فى امتنان :

ـــ شكرًا لك يا صديقى .

نهض (رمزى) بدَوْرِهِ ، وقال :

ــ وأنا كذلك .

وهتفت (سلوى) ، وعيناها مغرورقتان بالدموع :

ــ لا أظننى سأتخلَّى عن زوجى .

ونهضت (نشوى) تعانق أباها ، هاتفة :

ــ ولا أنا عن أبى .

وابتسم الدكتور (حجازى) فى هدوء ، وهو يقول :

ــ متى تحب أن نبدأ يا (نور) ؟

أما الدكتور (عزيز) ، فقد نهض ، قائلًا فى حماس وانفعال :

ــ صدِّقنى يا ولدى .. على الرغم من أننى قد تجاوزت العقد التاسع من العمر ، إلَّا أن هذه أعظم لحظات حياتى ..

وكان على حق ..

إنها أعظم لحظات حياته ..

وأعظم لحظات حياة الجميع ..

لقد تحالف بنو آدم ، ليبدءوا حربهم ضد (ابن الشيطان) ..

وفى هذه المرَّة كانت الجولة عنيفة ..

وأخيرة ..

* * *

٦ ــ وبدأت النهاية ..

جلس رجل الأمن ، فى مؤسسة أبحاث الفضاء المصريَّة ، متأهِّبًا متحفِّزًا كعادته ، وهو يراقب شاشات الراصد المتعدِّدة ، التى تنقل إليه كل ما يدور بالخارج ، بعد أن لُقِّن طوال دَوْرة تدريبية طويلة ومكثَّفة ، كيف أن هذا المكان يحوى أدقَّ وأخطر أسرار الدولة الحربية ، والعلمية .

والواقع أن تحفُّز رجل الأمن وتأهُّبه ، لم يكن لهما ما يبرِّرهما ، على الرغم من أهمية المكان وخطورته ، فقد كان كل شىء هناك يدار آليًّا .. حتى وسائل الدفاع ، فما إن يقترب شخص ما من المبنى ، حتى يكون عليه أن يُبرز بطاقته الخاصَّة ، أمام قُبَّة من الترددات العنيفة ، تحيط بالمكان ، وتمنع أى كائن من اختراقها ، ما لم يحمل بطاقة مغناطيسية خاصَّة ..

ولو تجرَّأ أحد ، واجتاز تلك القبة غير المرئية ، متجاهلًا لافتات التحذير ، فإن مدافع الليزر ، التى تديرها أجهزة كمبيوتر بالغة الدِّقة ، ستطارده بلا رحمة ، حتى يعود أدراجه ، أو يسقط جثة هامدة ..

وحتى لو أفلت من هذا أو ذاك ، فستجابهه قوات آليَّة قويَّة ، يمكنها تمزيق حائط من الفولاذ البلاتينى فى ثوانٍ معدودة ..

وبعدها سيكون عليه أن يجتاز أسوار الأمن ، التى يسرى فيها تيار كهربى رهيب ، يبلغ مليونى فولت على الأقل ..

وإذا ما أفلح رجل فى ذلك ، فلن يكون أمامه سوى معرفة تسع شفرات سِرِّيَّة بالغة التعقيد ، ينجح الكمبيوتر الحديث ، المزوَّد بدوائر بحث إضافية فائقة السرعة ، فى حل رموز الشفرة الواحدة منها ، فى نصف الساعة على الأقل ..

وإذا ما حقَّق أى مخلوق هذه المعجزة .. بل إذا ما تجاوز كل هذه المعجزات ، يكون من حقِّه أن يحصل على ما يريد ..

لهذا لم يكن لتأهُّب رجل الأمن وتحفُّزه من مبرِّر ..

ولكن فجأة ، وعلى الرغم من ذلك ، تضاعف تحفُّز رجل الأمن ، وأضيف إليه شعور قوىّ بالتوتُّر ، وهو يميل إلى الأمام فى دهشة بالغة ، وكأنما يرغب فى اختراق شاشات الراصد برأسه ، والغوص فيها بعينيه ..

كل هذا لأنه شاهد شابًا وسيمًا ، يجتاز القبَّة غيْرَ المرئيَّة ، وهو يحمل على شفتيه ابتسامة ساخرة ، غير مبالية ..

وتحوَّلت دهشة رجل الأمن إلى ذُهُول جارف ، عندما بدأت مدافع اللّيزر تنطلق ، وتصبُّ أشعتها على المقتحم الوسيم ..

لقد اخترقت خيوط الأشعة جسده ، ونفذت منه ، وانكسرت أو انعكست ، دون أن يتوقَّف هو لحظة ..

وهنا انطلقت القوات الآلية تواجه المعتدى ..

وخُيِّل لرجل الأمن أنه يحيا كابوسًا بشعًا ، أو أنه يشاهد معجزة من معجزات الخلق ..

أو أنه قد جُنَّ ..

لقد رأى مخالب القوات الآليَّة تُطبق على ذراع المعتدى ، وتبترُها ، فتسقط الذراع أرضًا ، ثم تعود فتقفز إلى جسد صاحبها ..

الجسد كله يتمزَّق ، ثم تعدُو أجزاؤه لتلتقى ، وينهض الجسد من جديد ..

وعندما بلغ المقتحم أسوار الأمن ، ومزَّقها بيديه العاريتين ، اللتين تألقتا فى قوَّة ، لسريان مليونى فولت فيهما ، تراجع رجل الأمن فى رُعْب هائل ، وهو يردِّد :

— مستحيل !!.. هذا مستحيل !! مستحيل !!..

وكاد يسقط فاقد الوعى، عندما رأى ذلك المقتحم داخل المبنى، يتجاوز أبوابه ذات الشفرات المعقَّدة، كما لو كانت الأبواب نفسها تخشى اعتراض سبيله، فتستسلم له فى رُعب ..

وبلغ المقتحم المخيف قاعة التجارب الخاصَّة، وانتزع من هناك تلك الحُلَّة الذهبيَّة الجديدة، التى أطلق عليها العلماء اسم (رداء الشمس)، والتى قالوا لرجل الأمن إنها أخطر أسرار (مصر) ..

وهنا أجبر رجل الأمن كل مخاوفه على المضىِّ بعيدًا، وألقاها خلف ظهره فى حزم ..

لقد صار الأمر يتعلَّق بأمن وطنه ..

ولأوَّل مرَّة فى تاريخ مؤسسة أبحاث الفضاء المصريَّة، غادر رجل أمنها مقعده، وانتزع مسدَّسه اللّيزرىّ، وانطلق يتصدَّى لمعتدٍ ..

وبكل الحزم والصَّرامة، صاح رجل الأمن، وهو يصوِّب مسدَّسه إلى ذلك المقتحم، الذى أمسك (رداء الشمس) يفحصه فى اهتمام :

ـ قِف مكانك، واستدر فى بطء.

استدار إليه (ابن الشيطان) فى هدوء، ورسم على شفتيه ابتسامة ساخرة مخيفة، وهو يقول فى لهجة تجمَّدت لها دماء رجل الأمن فى عروقه، وهَوَى لها قلبه بين قدميه رُعبًا :

ـ أتأمرنى أيها البشرىّ الحقير ؟!.. أتأمر سيِّدك ؟

تجمَّد رجل الأمن فى مكانه، وتجمَّدت قبضته المُمْسِكة بالمسدَّس، وهو يحدِّق فى عينى الشيطان الابن الناريَّتين، وهذا الأخير يقترب منه فى بطء، ثم نفض الرجل خوفه بغتة، وصاح فى توتُّر رهيب :

ـ قلت لك قِفْ .. لا تقترب .. واترك الرِّداء.

ولكن (ابن الشيطان) تابع تقدُّمه، وهو يحمل على شفتيه نفس الابتسامة الساخرة ..

وهنا أطلق رجل الأمن أشعة مسدَّسه اللّيزرىّ ..

أطلقها بمزيج من الخوف والهَلَع والتّوتُّر ..

ورأى أشعته تخترق جسد (ابن الشيطان) ..

وتخترقه ..

وتخترقه ..

والشيطان الابن يواصل تقدُّمه، وابتسامته الساخرة تملأ وجهه، حتى بلغ رجل الأمن، الذى تجمَّد رُعبًا، وقال فى لهجة مخيفة :

ـ لقد حكمت على نفسك بالموت ، أيها الآدمىّ الأحمق .
وفى هدوء ، وضع كفَّيْه على كتفى رجل الأمن ، الذى اختنقت صرخته فى حلقه ، وسَرَت صاعقة الشيطان فى جسده حتى المَوْت ..

* * *

تنهَّد الدكتور (حجازى) فى عمق ، وهو يشير إلى ثلاث جثث ، تراصَّت أمامه فى قسم التشريح ، قائلًا فى حزن ومرارة :
ـ هذه هى حصيلة مساء أمس ، وصباح اليوم فحسب .. ثلاثة قتلى ، يحمل كل منهم ذلك النقش الملعون على صدره ، وثلاثتهم لَقُوا مصرعهم بالصعق الكهربىّ .. أوَّلهم صحفِىّ فاشل ، يُدْعَى (صفوت) ، ولقد تعرَّفه الناجون من حادث اقتحام إدارة البحث العلمىّ عندكم ، وقالوا إنه المقتحم ، والثانى (فهمى مندور) ، خبير الأمن المعروف ، والثالث رجل أمن ، لَقِىَ مصرعه فى مؤسسة أبحاث الفضاء ، مع اختفاء (رداء الشمس) .
عقد (نور) حاجبيه ، وهو يقول فى ألم :
ـ يا للحقارة !!



وفى هدوء ، وضع كفَّيه على كتفى رجل الأمن ، الذى اختنقت صرخته فى حلقه ..

ثم شرد ببصره لحظات ، وهو يغمغم ، وكأنما يحدّث نفسه :

ــ صحفيّ ، وخبير أمن ، ورجل حراسة ، ورداء شمسيّ .. ترى ما الذى يربط كل هذا بعضه ببعض ؟

صمت لحظات ، وقد انعقد حاجباه فى تفكير عميق ، ثم لم يلبثا أن اعتدلا فى هدوء مع ابتسامة كبيرة ، وهو يقول :

ــ لقد فهمت :

سأله الدكتور (حجازى) فى اهتمام :

ــ حسنًا .. ما الذى يعْنِيه كل هذا ؟

ابتسم (نور) ، وقال :

ــ يَعْنِى أن كل شىء يسير على ما يرام فحسب .

ثم ربَت على كتفه ، مستطردًا :

ــ والآن هيّا بنا ، فلقد شارفت الشمس المغيب ، والليل هو ساحة ذلك الوغد الأثيرة ، ولابُدّ لنا من أن نجتمع كلنا معًا ، فى منزل الدكتور (عزيز) كما اتفقنا .

غمغم الدكتور (حجازى) فى توتُّر ، وهو يخلع مِعْطَفَهُ وَقُفَّازَيْهِ :

ــ أمن الضرُورىّ أن نجتمع فى ذلك المنزل المقفر ؟.. إنه

يثير مخاوف ، من قبل حتى أن نسمع بأمر (ابن الشيطان) هذا .

اتسعت ابتسامة (نور) ، وهو يقول :

ــ حتى لو وقع اختيارنا على غيره ، لكان هو سيدفعنا إليه دفعًا ، فهو يمثّل كل ما يميل إليه عقله الشيطانىّ المريض .. البدائية ، والرَّهْبَة والغُمُوض .

غمغم الدكتور (حجازى) ، وهو يتبعه إلى الخارج :

ــ عجبًا يا (نور) !!.. إنك تُهَيّئ له كل ما يصبُو إليه .

ضحك (نور) ، وهو يقول :

ــ ألا يَعْنِى هذا أننى خصْم شريف ؟

ابتسم الدكتور (حجازى) ابتسامة باهتة ، وهو يغمغم :

ــ نعم .. أنت خصْم لمخلوق يجهل معنى كلمة (شرف) تمامًا .

ركب الاثنان سيّارة (نور) الصاروخية ، وانطلق بها هذا الأخير ، مجتازًا شوارع (القاهرة) الجديدة ، ومتّجهًا نحو مشارف (القاهرة) القديمة ، حيث يقيم الدكتور (عزيز) ، وغمغم الدكتور (حجازى) فى توتُّر :

ـ أتعشم ، عندما نصل ، أن نجدهم جميعًا على قيد الحياة .

أجابه (نور) فى هدوء :

ـ لا تقلق بشأنهم يا سيِّدى ، فلن يصيبهم ضرر ، ما دام الدكتور (عزيز) معهم ، فهو أكثر أهل الأرض خبرة ، بكيفية مواجهة نصف الشيطان هذا .

سأله الدكتور (حجازى) فى توتُّر :

ـ ولكن ابن الملعون هذا لن يقف ساكنًا ، فلو أنه لم يهاجمهم ، فهذا يعْنى أنه قد يهاجمنا نحن .

أجابه (نور) فى هدوء شديد ، تَعارَض تمامًا مع كلماته :

ـ أظن أن هذا ما سيفعله .

اتسعت عينا الدكتور (حجازى) فى ذُعر ، وهو يهتف :

ـ (نور) .. أتحاول إخافتى ؟

ابتسم (نور) ، قائلًا :

ـ بل أحاول تحذيرك .

هتف الدكتور (حجازى) فى عصبية :

ـ كيف تبتسم هكذا ؟

هزَّ (نور) كتفيه فى هدوء ، وقال :

ـ لقد قرَّرت ألا أبكى بعد اليوم .

رَانَ عليهما الصمت بضع لحظات ، بعد هذه العبارة ، ثم قال الدكتور (حجازى) فى خُفُوت :

ـ لقد اقتربنا يا (نور) .. أظن أنه لن يهاجمنا الآن ، بعد أن بلغنا هذا الحدّ .. أليس كذلك ؟

أجابه (نور) فى هدوء :

ـ مَنْ يدرى ؟.. إن القِطَّ يحبُّ دَوْمًا أن يمنح الفأر اعتقادًا قويًّا بأنه قد أفلت ، ثم ينقضُّ عليه فى اللحظة الأخيرة ..

ارتجف صوت الدكتور (حجازى) ، وهو يقول :

ـ أتعتقد ذلك حقًّا ؟ .

ثم تهللت أساريره ، وهتف فى حرارة ، وهو يشير إلى منزل الدكتور (عزيز) ، الذى لاح من بعيد ، وراح يقترب بسرعة كبيرة ، تساوى سرعة انطلاق السيَّارة الصاروخية نحوه :

ـ يبدو أنك قد أخطأت يا (نور) .. لقد وصلنا ، و .....

وفجأة بتر عبارته ، وارتجفت سبَّابته ، التى تشير إلى المنزل ، وانتفض جسده فى قوَّة ورُعْب ..

لقد اختفى المنزل ..

وبدلًا منه ، أحاطت سحب كثيفة بالسيَّارة ..

وفجأة ، انقشعت السحب ، ووقف شعر الدكتور (حجازى) رُعْبًا ..

لقد كانت سيَّارة (نور) تنطلق بسرعتها الصاروخية ، نحو حوض يفيض بالحُمَم البركانية الملتهبة ..

وقبل أن يصرخ الدكتور (حجازى) ، هَوَت السيَّارة فى الحُمَم ..

واشتعلت براكبيها ..

* * *



٧ ـــ الوَهْم ..

أطلق الدكتور (حجازى) صرخة رُعب مُدوِّيَة ، عندما غاص مع السيَّارة وسط الحُمَم ، وشعر بالنيران تلتهم جسده ، على حين ارتفع صوت (نور) ، وهو يهتف :

ـــ إنه وَهْمٌ يا دكتور (حجازى) ، مجرَّد وَهْم .. قَاوِمْ .. وركِّز أفكارك على نقطة أخرى ..

راح الدكتور (حجازى) يبذل أقصى جهده ، لمقاومة آلامه المبرِّحة ، وتركيز أفكاره فى نقطة أخرى بعيدة ..

وراح يتذكَّر طفولته ..

تذكَّر صباه وفُتُوَّته فى مدينة (طنطا) ..

تذكَّر عمله فى (بنها) ..

تذكَّر رحلة العمل ، التى خاضها فى شبابه ، فى مدينة (الهُفُوف) بالسُّعُودِيَّة ، ثم فى (الدَّمَّام) ..

وحصوله على درجة الدكتوراه ..

ونيله جائزة الدولة التشجيعيَّة ، على أبحاثه فى مجال الدَّم ..

وزواجه .. و .....

وفجأة ، تلاشى كل شىء ..

لم تعُد هُناك حُمم ..

لم يَعُد هناك ألم ..

عاد يرى منزل الدكتور (عزيز) ، الذى أوقف (نور) سيّارته أمامه ..

ورأى (نور) يبتسم فى هدوء ..

وبكل دهشته وحَيْرته ، وإعجَابه ، هَتف :

— كيف تفعل ذلك يا (نور) ؟!.. كيف تقاوم كل تلك المؤثّرات ؟!

ابتسم (نور) ، وهو يجيبه فى هدوء :

— كان يكفى أن يقتنع عقلى بأن كل هذا مجرَّد وَهْم ، ليفقد (ابن الشيطان) هذا كل تأثيراته الوهميّة علىَّ .

زفر الدكتور (حجازى) فى قوّة ، وهو يقول :

— (نور) .. أنت شابٌّ رائع .

غمغم (نور) فى هدوء ، وبلهجة تحمل قدرًا وفيرًا من الحياء :

— شكرًا لك يا سيّدى .

ثم قفز خارج السيّارة ، مستطردًا فى حزم :

— والآن هيّا .. فالجميع ينتظرون بدء المعركة .

* * *

تهلّلت أسارير (سلوى) ، وهى تلقى نفسها بين ذراعى زوجها (نور) ، هاتفةً :

— (نور) .. حمدًا لله أنك قد وصلت سالمًا .. لقد خشيت لحظات أن يعترض ذلك الشيطان طريقك ، ويُوقِعَ بك فى براثنه .

ربَّت (نور) على كتفها فى حرارة ، وقال فى حنان :

— اطمئنّى يا عزيزتى ، سيعود ذلك الشيطان الابن إلى جحيم قومه الليلة ، مهزومًا مدحُورًا ، يَجُرُّ أذيال الخيبة .

ارتجفت أجساد الجميع ، عندما دوّى صوت غاضب ، ردَّدته كل الجدران ، وهو يهتف :

— مُحَال .

وفجأة ، اشتعلت النيران فى المقعد المجاور لـ (نور) ، وشهقت (نشوى) فى ذُعْر ، وقفز (محمود) جانبًا ، وغمغم الدكتور (عزيز) فى هَلَع :

— يا إلٰهى !!..

أمّا (رمزى) و (سلوى) والدكتور (حجازى) ، فقد جَمَّدهم الرُّعب ، وسمعوا (نور) يقول فى هدوء ، وبلهجة تحمل قدرًا موفورًا من السُّخرية :

ـ يا للسخافة !!

وهنا اشتعل مقعد آخر إلى يساره ، وراحت كتب الدكتور (عزيز) ومخطوطاته النادرة تتقافز ، وترتطم بالحوائط والأرض فى عنف ، حتى أن هذا الأخير راح يهتف فى ارتياع :

ـ كتبى .. مخطوطاتى .. دَع نوادِرِى أيها الشيطان الطفل .. دَع خلاصة عمرى أيها الحقير .

ولكن شعرة واحدة فى جسد (نور) لم تهتز ، على الرغم من الرُّعبِ الهائل ، الذى سيطر على كل مَنْ حوله ، فى حين قال هو فى سُخرية :

ـ ألن تكُفَّ عن عبث الأطفال هذا ؟

توقف كل شىء بغتة ، وَخبَت نيران المقعدين ، واختفت أطنان الكتب الممزَّقة ، الملقاة أرضًا ، وَعادت تبدو فى مكتبتها الضخمة منظَّمة مرتَّبة ، جنبًا إلى جنب مع المخطوطات النادرة ، فهتف الدكتور (عزيز) مذهولًا :

ـ ما الذى يحدث هنا ؟

أجابه (نور) فى هدوء ، وهو يحمل على شفتيه ابتسامة ساخرة :

ـ مجرَّد وهم يا سيِّدى .. أوهام سخيفة ، لا يتفوَّق فيها إلا طفل تافه .

ارتجَّت الجدران بصيحة الغضب :

ـ ستموت يا حفيد (أوزيريس) .

ابتسم (نور) فى سُخرية ، وقال :

ـ أهذا أيضًا مجرَّد وهم ؟!.. لماذا لا تظهر أمامى ، ما دمت تملك كل هذه الشجاعة ؟

أتاه صوت من مدخل الحجرة ، يقول :

ـ هأنذا .

كان الصوت مألوفًا بشدَّة ، وعندما التفت الجميع إلى مصدره ، اشتركوا فى شهقة دهشة قوية ..

فلقد كان الصوت مألوفًا ؛ لأنه صوت (نور) ..

والواقف هناك كان (نور) ..

(نور) نفسه ..

* * *

كانت دهشة الجميع جارفة ، وهم يحدِّقون فى شبيه (نور) ، الذى وقف متحدِّيًا عند باب الحجرة ، يقول :

— هيّا أيها الرائد .. أطلق أشعة مسدسك علىّ ، لو أنك تجرؤ .. هيّا .. افعل .

هزّ (نور) رأسه نفيًا فى هدوء ، وقال :

— لست أهوَى عبث الأطفال .

استلّ الشبيه مسدّسه اللّيزرى ، وهو يقول فى غضب :

— أطلق أشعتك ، أو أقتلك أنا .

هزّ (نور) كتفيه فى برود ، وقال :

— اقتلنى أنت ، لو أن هذا يرضيك .

صوّب الشبيه مسدّسه إلى رأس (نور) ، وهتف :

— نعم .. سأقتلك .

أطلق (نور) ضحكة ساخرة عالية ، وقال :

— لن تفعل أيها التافه .. اعلم تمامًا أنك لن تفعل .. فلو أنك تسعى لقتلى فحسب ، لأمكنك تحقيق ذلك منذ البداية .. إنك تسعى للحصول على نصر أسطورى ضخم .. نصر يتيح لك حقّ إمارة شياطين الجحيم ، الذين يرفضون سيادتك هم ، على الرغم من أنك ابن كبيرهم ، بحجة أنك لست شيطانًا كاملًا .

بدا الغضب على وجه الشبيه ، و (نور) يستطرد بلهجته الساخرة :

— أنت بالنسبة إليهم نصف شيطان ، وبالنسبة إلينا نصف إنسان .. صدّقنى أيها التّعس .. لقد حكم عليك والدك بأن تحيا عمرك كله ضائعًا ، حائرًا ما بين البشر والشياطين .

صرخ الشّبيه فى غضب ثائر :

— خطأ .. إننى شيطان .. شيطان كامل .

أطلق (نور) ضحكة ساخرة أخرى ، وهو يقول :

— أتؤمن بذلك حقًّا !!

وهنا خفَض الشبيه مسدّسه ، وهتف فى مرارة :

— اقتلنى يا حفيد (أوزيريس) .. اقتلنى .

هزّ (نور) رأسه نفيًا ، وقال فى صرامة :

— لن أطلق أشعة مسدّسى على وَهْمٍ .. أنت مجرّد وَهْمٍ .. وَهْمٌ ..

صرخ الشّبيه :

— لست وهمًا .

هتف (نور) فى صرامة :

— بل أنت وَهْمٌ .. وَهْمٌ مَحْض .

وهنا تلاشَى الشّبيه فى بطء ، حتى اختفى تمامًا ، وهتف (رمزى) مشدوهًا :



وهنا خفَضَ الشبيه مسدَسه ، وهتف فى مرارة :

— اقتلنى يا حفيد (أوزيريس) .

— يا إلهى !!.. إنه وهْمٌ بالفعل .. لقد تصوَّرت أنه الشيطان الابن نفسه ، وقد تقمَّص شخصيتك .

ابتسم (نور) فى سُخرية ، وهو يقول :

— اطمئن .. إنه لن يفعل هذا أبدًا .

وفجأة ، تشبَّثت (سلوى) بذراع (نور) ، وهتفت فى ذُعر :

— (نور) .. يا إلهى .. انظر .

التفت الجميع إلى حيث تشير ، ثم شهقوا فى دهشة ، عندما ارتفع صوت (ابن الشيطان) ، يقول :

— أتَسخر مِنَ الوَهْم يا حفيد (أوزيريس) ؟

لم يكن مبعث دهشتهم ، وذُعر (سلوى) ، هو صوت (ابن الشيطان) أو عبارته ..

لقد كان ذلك الجسم ، الذى صدر عنه الصوت ..

لقد صدر عن جمجمة ، موضوعة فوق مكتب الدكتور (عزيز) ..

جمجمة اختفى تجويف عينيها ، وظهرت فيه عينا الشيطان ..

* * *

(نور) وَحْدَهُ لم يشعر بالدهشة أو الرُّعب ..

لقد فقد كل هذه المشاعر ، بعد كل ما واجهه فى تلك المغامرة ..

وفى هدوء ، التفت إلى الجمجمة ، وقال :

ـ نعم .. أسخر من الوَهْم ؛ لأنه لا يؤذى أحدًا .

تحرَّكت فكَّا الجُمْجُمَة ، وانبعث من بينهما صوت الشيطان الابن ، وهو يقول فى حِدَّة :

ـ حافظ على سُخريتك منه إذن ، فعندما تكشف خطورته ، ستكون قد أصبحت مجرَّد جُثَّة هامدة .

وارتفع الصوت ، وهو يستطرد :

ـ ستسقط ضحية وَهْم أيها الرائد .. وَهْم قاتل .

وفجأة ، تلاشى كل شىء مِنْ حَوْل (نور) ، ورأى نفسه يرتدى زيًّا فِرْعَوْنيًّا ، ويمتطى إحدى عربات الحرب المصريَّة القديمة ، وينطلق بها نحو رجل يرتدى زيًّا مماثلًا ، ويمتطى عربة مماثلة ، وارتفع فى أُذُنَيْهِ صوت (ابن الشيطان) ، وهو يقول :

ـ أنت الآن تعيش وهمًا من حياة سابقة أيها الرائد .. ولكنك إذا ما لقيت مصرعك فى الوَهْم ، فستكون هذه نهايتك فى عالم الحقيقة .. هيَّا .. قاتل .

ثم تلاشى صوت (ابن الشيطان) أيضًا ، وبقيت ساحة القتال الفرعونية ..

وفى هذه المرَّة كان الوَهْم قويًّا ، واضحًا .

بل كان حقيقة عجيبة ..

ورأى (نور) خصمه يندفع بعربته نحوه ، وهو يدس سهمًا فى وتر قوسه ، ويصوِّبه إليه ..

وبسرعة ، وبحركة غريزية ، سحب (نور) من كِنَانته(*) سهمًا ، ودسَّه فى وتر قوسه ، ثم أطلقه ..

كانت معركة حقيقية ، فى عالم الوَهْم ..

معركة سيبقى بعدها منتصر واحد ..

(نور) ..

أو (ابن الشيطان) ..

* * *

(*) الكِنَانة : هى الجَعْبَة التى توضع فيها السهام ، على ظهر المقاتل .

٨ ــ عَبْرَ التاريخ ..

لم يُصِبْ سَهْم (نور) خصمه ..

لقد تجاوزه ببضع سنتيمترات ، على حين أطلق الخصم سهمه فى إحكام ..

ورأى (نور) السهم يتجه إلى عنقه ، فانحنى فى سرعة ، وسمع أزيز السهم ، وهو يمُرق فوق رأسه ..

واعتدل (نور) مرّة أخرى ، والتقط رُمحه ، وأدار نَصْلَهُ الحادّ إلى الخلف ، والعربتان تندفعان نحو بعضهما البعض ..

وأصاب (نور) صدر خصمه ، بظهر رُمحه الخشبىّ ..

ودفعت الضربة الخصم خارج عربته الحربية ، وأسقطته أرضًا ..

وهنا جذب (نور) عِنان جَوادَىِ العربة ، فصهلا فى قوّة ، وهما يتوقّفان دفعة واحدة ، وسط عاصفة من الرمال ..

وقفز (نور) من عربته ، واندفع نحو خصمه ، الذى استلّ خِنجَره ، ووقف يواجهه فى شراسة ..

ودار (نور) حول نفسه ، ثم قفز فى الهواء ، ودارت قدمه كالمروحة ، لتركل خصمَه فى وجهه فى قوّة ..

وسقط الخَصْم أرضًا ..

وقبل أن ينهض ، ركل (نور) خِنجَره بعيدًا ، ثم هَوَى على فكّه بلكمة ألقته أرضًا ..

وارتفع صوت صارم آمر يقول :

ــ كَفَى .

توقّف (نور) واعتدل ..

كان لسبب ما ــ لا يدرى كُنهَهُ ــ يعلم أن عليه طاعة صاحب الصوت ..

ولسبب آخر يجهله ، اتجه نحو مصدر الصوت ، ورأى أمامه رجلًا مَهيبًا ، يجلس فوق عرش من الذهب الخالص ، حاملًا مفتاح الحياة الفرعونى ، ومرتديًا تاج الوجهين ، الذى تطلّ من منتصفه تلك الحية الذهبية (أرايوس) ، حامية الملوك ..

وبصوت هادر واثق قوىّ ، قال (نور) :

ــ سلام على فرعون العظيم .

ابتسم الفرعون ، وقال :

ـ سلام يا (أوزيريس) .. لقد ربحت معركتك .. وانتصرت على (ست) .

(ست) ؟!

إذن فخصمه هذا هو غريمه اللُّدود ..

هو (ابن الشيطان) .. نفسه ..

واستدار فى سرعة ليرى خَصْمَه ..

ولكن الأرض مادَت به ، وأحاط به ظلام مخيف ، و .....

فجأة ، وجد نفسه فى حفل فرعونى قديم ..

وأمامه كان يجلس (ست) ، تحيط به الجوارى الحسان ..

وفى منتصف القاعة كان هناك تابوت فرعونى قديم ..

ونهض (ست) من مكانه ، واقترب منه ، وهو يبتسم ، قائلًا :

ـ تُرى ، هل يناسبك هذا التابوت ، يا أخى (أوزيريس) ؟

قال (نور) فى صرامة :

ـ لست أظنه يناسبنى يا (ست) .

ابتسم (ست) فى خُبْث ، وقال :

ـ لم لا تجرِّبه ؟. تعالَ .. ستجده مناسبًا لك تمامًا ..

كانت الأسطورة تقول إن (أوزيريس) سيرقد فى التابوت ..

وكان (نور) يشعر برغبة جارفة فى أن يفعل ..

ولكن إرادته قاومت رغبته فى عنف ..

وهزمتها ..

وهتف (نور) فى صرامة :

ـ لا يا (ست) .. لن أرقد داخله .

هتف (ست) فى حَنَق :

ـ ماذا تقول ؟.. من المستحيل تغيير التاريخ .

قفز (نور) يلتقط مِشْعَلًا ، وهو يهتف :

ـ مَنْ قال هذا ؟

وبكل ما يملك من قوَّة ، دفع المِشْعَل ونيرانه فى وجه (ست) ، و .....

واختفت الصورة بغتة ..

اهتزَّت كما لو أنها على سطح مياه ..

ثم أظلمت الدنيا ..

وشعر (نور) أنه يَهْوِى فى بئر عميقة ..

فى بئر لا قرار لها ..

وفجأة ، توقَّف السقوط ..

وكان ذلك فى زمن آخر ، ومكان آخر ..

كان فى هذه المرَّة قائدًا رومانيًّا ، يَعْبُرُ رَدْهَةَ قصر مُنيف ، ليقف أمام عرش ضخم ، يجلس فوقه رجل بدين ، يضع فوق شعره الأشقر الذهبىّ إكليل الغار ، وسمع نفسه يقول فى صوت جَهْوَرِىّ قَوِىّ :

ـــ تحية لـ (نيرون) العظيم ..

إنه إذن أمام (نيرون) ..

(نيرون) الرومانىّ الوحشىّ ..

نيرون الذى أحرق (روما) (*) ..

إنه أحد قواده ..

(*) (كلاوديوس قيصر نيرون) : (٣٧ ـــ ٦٨ م) ، إمبراطور رومانى ، تبنّاه الإمبراطور (كلاوديوس) بعد أن أغرته زوجته (أجريبينا) ، على ذلك ، ولقد خلف (نيرون) أباه المتبنى ، على عرش (روما) ، واتسم عهده بالوحشية والقسوة ، ولقد قتل أمه وزوجته (أوكتافيا) ، تحت تأثير عشيقته (بوبايا سابينا) ، وبعدها حرق روما (٦٤ م) ، واتهم المسيحيين بحرقها ، وبدأ فى اضطهادهم ، وفى أواخر أيامه ، ثار حكّام ولاياته ضدّه ، ففرَّ إلى منزله الريفىّ ، وانتحر هناك .

كم ودَّ لو بصق فى وجهه ، ولكن مسار التاريخ كان يجبره على أن يقول :

ـــ ألف تحية لإمبراطورنا العظيم .

رفع (نيرون) كفَّه البضَّة ، لردّ تحية قائده ، فى تكاسُل وغطْرسَة ، وقال فى صرامة :

ـــ اسمع يا (ديوس) .. أبلغنى مستشارى المخلص (سابينا) ، أن المسيحيين يثيرون الكثير من الاضطرابات فى (روما) .

قال (نور) فى قوَّة :

ـــ مخطئٌ هو (سابينا) ، لو أنه يظن ذلك .. المسيحيون قوم مسالمون للغاية ، ودينهم يحضُّ على ذلك .

التفت (نيرون) إلى جواره ، وقال :

ـــ ما رأيك يا عزيزى (سابينا) ؟

برز من خلف العرش شابٌّ وسيم ، ذهبىَّ الشعر ، لم تكد عينا (نور) تلتقيان بعينيه الناريَّتين ، حتى اعتصرت قبضته مقبض سيفه فى قوة ، وكاد ينتزعه من غِمْدِهِ ..

لقد كان (سابينا) هذا هو (ابن الشيطان) ..

وفى لهجته الساخرة ، قال (سابينا) :



كم ودَّ لو بصق فى وجهه ، ولكن مسار التاريخ كان يجبره على أن يقول :

ــ ألف تحية لإمبراطورنا العظيم .

ــ قول قائدنا العظيم (ديوس) يخالف ما لدىَّ من معلومات أيها الإمبراطور العظيم ، ويخالف أيضًا ما جلبته لك ابنتى المحبوبة (پوپايا) ، من أن المسيحيين قوم أشرار .

وجد (نور) نفسه يهتف :

ــ لا تستمع إليه يا مولاى .. إنه كاذب .

ابتسم (سابينا) فى سُخرية ، على حين هتف (نيرون) فى غضب :

ــ كيف تتَّهم مستشارى الأوَّل بالكذب أيها القائد ؟

استلَّ (نور) سيفه ، وهو يهتف :

ــ لأنه كذلك بالفعل .

وفجأة ، اهتزَّ المشهد ، وتلاشت الصُّوَر ..

وفجأة أيضًا ، وجد (نور) نفسه فى مشهد آخر ..

كان يقف مع (نيرون) و (سابينا) ، فى شرفة قصر هذا الأخير ..

وكان (سابينا) يقول للإمبراطور ، وهو يشير إلى (روما) .

ــ احرقها يا مولاى .. احرقها واتَّهم المسيحيين بحرقها ، فتمتلك الحُجَّة لتُنَكِّلَ بهم شر تنكيل ..

صاح (نور) فى غضب :

ــ خسئت يا (سابينا) .. إنك تسعى لتدمير (روما) ، انتقامًا من فشلك فيها ، ومن سُخرية أهلها منك ، ومن ابنتك العاهرة .

حافظ (سابينا) على ابتسامته الساخرة ، على حين هتف (نيرون) فى غضب :

ــ صَهْ يا (ديوس) .. مَنْ سمح لك بإهانة مستشارى الأوَّل ، وسَبِّ أفضل نساء قصرى أمامى ؟

هتف (نور) :

ــ مولاى .. هذا الرجل شيطانِىّ .. إنه يسعى لدفعك إلى الجحيم ، حيث يتلقَّفك والده ظافرًا ..

هتف (نيرون) مُحنَقًا :

ــ أىّ هُرَاء هذا يا (ديوس) ؟.. هل عاودتك تلك الأوهام ؟..

راحت الكلمة الأخيرة تتكرَّر طويلًا ، كرجع الصَّدَى ، والمشهد يتبدَّل فى سرعة ، حتى تألق بنيران متأجِّجة ، يُطِلّ عليها (نيرون) من شرفة قصره ، وهو يعزف على قيثارته فى هدوء ، وإلى جواره (سابينا) يبتسم فى ظَفَر ..

لقد كانت (روما) تحترق ..

وفى غضب ، هتف (نور) :

ــ لقد فعلتَها يا (سابينا) .. فعلتَها .

وانقضَّ على (سابينا) ، وحمله عاليًا ، وهو يهتف :

ــ فلتشارك (روما) لهيبها إذن ..

ودوَّت صرخة مخيفة فى أذنى (نور) ، وعاد يَهْوِى فى تلك البئر السحيقة المظلمة ، التى لا قرار لها ..

ومرَّة أخرى ، توقَّف السقوط ..

وفى هذه المرَّة كان المشهد الجديد عبارة عن قاعة أنيقة ..

قاعة اختفت جدرانها خلف عدد من الخرائط المتعدِّدة ، باللُّغة الألمانية ..

وكان (نور) يقرأ تفاصيل الخرائط فى بساطة ..

فى كل مشهد كان يتحدَّث لغة أهل المشهد والعصر بسلاسة ، كما لو كان واحدًا منهم ..

وفى هذه المرَّة كان يرتدى زيًّا عسكريًا ألمانيًّا ، وإلى جواره وقف شاب أشقر ذهبىّ الشعر ، يطلُّ من عينيه لهيب مستعر ، وإلى جوارهما وقف رجل قصير ، له نظرات حادَّة مركَّزة ، وشارب قصير صغير ..

كان (أدولف هتلر) بنفسه (*) ..

وكان يشير إلى نقطة على الخريطة ، قائلًا فى صرامة :

ـ هل تعتقد أنه من الضرورىّ أن نهاجم (روسيا) ، يا عزيزى (جوبلز) ؟

كان يوجّه حديثه إلى الشاب الأشقر ، الذى لم يكن سوى (ابن الشيطان) نفسه ، والذى قال مبتسمًا :

ـ بالطبع أيها الفوهلر ، فالرُّوس يرفعون درجات استعدادهم فى الفترة الأخيرة ، وما داموا لا ينوون خوض الحرب فى أوروبا ، فهذا يَعْنِى أنهم يُعِدُّون العُدَّة لغزونا ، والأسلوب الأمثل ، الذى ابتدعته فخامتك ، هو أن الهجوم خير وسيلة للدفاع .

أومأ (هتلر) برأسه موافقًا ومستحسنًا ، فعقد (نور) حاجبيه ، وهو يقول :

(*) (أدولف هتلر) : (١٨٨٩ ــ ١٩٤٥ م) ، دِكتاتور ألمانىّ ، وزعيم الحزب النازىّ ، ومؤسس الرايخ الثالث .. اشترك فى الحرب العالميّة الأولى ، ثم نظم الحزب النازى (حزب العمال الألمانى الاشتراكى الوطنى) ، وأصبح رئيسًا للوزراء فى يناير (١٩٣٣) ، ثم رئيسًا للجمهورية (١٩٣٤) ، وانتهت سياسته إلى إشعال الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ ــ ١٩٤٥) ، التى انتهت بهزيمة (ألمانيا) وانتحاره .

ـ خطأ أيها الفوهلر .. الرُّوس لا يفكّرون قطُّ فى مهاجمتنا ؛ لأن قوّتهم ، على الرغم من استعداداتهم ، لم تبلغ بَعْدُ الحدَّ الكافِىَ لِذَلِك ، والأفضل أن نبادر بمهاجمة (بريطانيا) ، بعد أن خسرت معظم أسطولها البحرى ، بفضل غواصاتنا ، وأصبحت أضعف من أن تصد غزوًا مركّزًا منا .

لوّح (جوبلز) بذراعه ، هاتفًا :

ـ وماذا لو أن الرُّوس قد هاجمونا ، ونحن ندير ظهورنا هم ؟.. كلَّا .. الأسلوب الأمثل هو أن نباغت الرُّوس ، ونأمن جانبهم أوَّلًا .

هتف (نور) :

ـ ولماذا نُوقظ دُبًّا نائمًا ؟.. إننا نرتبط مع الرُّوس ، حتى الآن ، باتفاقية دفاع مشترك ، و .....

قاطعه (هتلر) فى حزم :

ـ كَفَى يا (هانز) .. إننى أميل إلى رأى (جوبلز) .. سنهاجم (روسيا) أوَّلًا ، وسنطلق على خطَّة غزوها اسم (باربا روسا) ، و ......

وتشوّشت الرؤية ، وتلاشت الأصوات تدريجيًا ..

ثم برز (نور) فى مكان آخر ..

كان يجلس حول مائدة خشبية مستديرة ، مع خمسة من الجنرالات ، داخل حجرة صغيرة ، سيئة التهوية ، وكان أحدهم يقول فى غضب :

ــ هذا المجنون سيودى بنا .. أرأيتم ما فعله فى (روسيا) ؟.. لقد أمر جيشنا هناك بإيقاف القتال ، بعد أن صاروا على مسافة ستة كيلومترات من (موسكو) ، ولقد منعهم من دخول العاصمة الروسية ، على الرغم من أن الشتاء على الأبواب ، ولو لم يدخل رجالنا (موسكو) الآن ، فسنخسر الحرب كلها .

غمغم (نور) :

ــ هذا صحيح .. سنخسر الحرب لهذا السبب .

التفت إليه أحد الجنرالات ، وقال مُحْنَقًا :

ــ أتعلم أن ذلك الملعون (جوبلز) هو السبب ؟.. يقولون إنه هو الذى يشير إلى الفوهلر بكل شىء ، وهذا المجنون يثق فى آرائه بشدَّة .

ضرب جنرال آخر المائدة بقبضته ، وهو يقول فى صرامة :

ــ لابدَّ من اغتيالهما معًا .

صاح ثالث فى مرارة :

ــ كيف ؟

قال الجنرال الأوَّل فى حماس :

ــ إنهما سيجتمعان معًا غدًا ، فى دار المستشارية ، ولو أننا دسسنا قنبلة زمنية هناك ، فقد يمكننا التخلُّص من كليهما بضربة واحدة .

حاول (نور) أن يخبرهم أن تلك الخُطَّة ستفشل ، كما ذكرت كتب التاريخ ، إلَّا أن دافعًا قويًّا جعله يصمت ، وقد أدرك أنه ما من فائدة من محاولات تغيير التاريخ ..

وفجأة ، سمع أحدهم يهتف :

ــ (هانز) سيحضر ذلك الاجتماع أيضًا .

التفتت العيون كلها إليه ، وقال أحد الجنرالات فى دهشة :

ــ أحقًّا ؟!

غمغم (نور) :

ــ نعم .. سأحضر الاجتماع ، وسأحمل القنبلة معى ، ولكن ......

هتف أحدهم فى غضب :

ــ ولكن ماذا ؟

تنهَّد (نور) ، وقال :

ــ لا شئ .. سأنفِّذ ما تتفقون عليه .

ومرَّة أخرى تلاشت الصُّوَر ، وخفتت الأصوات ..

ومرَّة أخرى أيضًا ، عادت صورة جديدة تتكوَّن ..

كان (نور) هذه المرَّة داخل زنزانة رطبة باردة ، يرتدى أسمالًا ، كانت ذات يوم زيًّا عسكريًّا أنيقًا ..

وَعَبْرَ قضبان زنزانته ، رأى (جوبلز) يقترب ، ويتطلَّع إليه ساخرًا ، بعينيه الشيطانيتين الناريَّتين ، ثم يشير إلى الحارس ، فيسرع هذا الأخير بفتح باب الزنزانة ، حيث يدلف (جوبلز) ، ويبتسم فى شماتة ، قائلًا :

ــ ها نحن أولاء نلتقِى مرَّة أخرى يا عزيزى (هانز) .

قال (نور) فى جِدَّة :

ــ وفى زمن جديد هذه المرَّة .

أطلق (جوبلز) ضحكة ساخرة ، وقال :

ــ ولكن فى هذه المرَّة انتصرت أنا يا عزيزى (هانز) .

ثم أخرج مسدَّسه ، وصوَّبه إليه ، مستطردًا فى سُخرية :

ــ لقد أمرنى الفوهلر بإعدامك فى زنزانتك .

قال (نور) فى غضب :

ــ إنك تقود فوهلرك هذا إلى حتفه ..

أطلق (جوبلز) ضحكة ساخرة أخرى ، وقال :

ــ بل إلى الجحيم .. إلى حيث ينتظره أبى .. إلى حيث ستذهب أنت وضغط زناد مسدَّسه ..

وأطلق النار على رأس (نور) ..

* * *



٩ ـ الهزيمة ..

قفز (نور) ليتفادى رصاصة (جوبلز) ، ولكنه وجد نفسه يَهْوِى فى تلك البئر العميقة ..

وَيَهْوِى ..

وَيَهْوِى ..

وبدا له أنه يسقط هذه المرَّة بلا نهاية ..

ثم أتت النهاية بغتة ..

أتت بسقوطه على أرض منزل الدكتور (عزيز) ..

لقد عاش أخطر رحلة وَهْم فى حياته ..

رحلة عَبَرَ فيها كلَّ الأجساد ، التى احتلَّتها روحه ، فى حيوات سابقة ..

وهتفت (سلوى) فى لوعة :

ـ (نور) .. أأنت بخير .

أشار إليها الدكتور (عزيز) فى صرامة ، قائلًا :

ـ اتركيه .

تراجعت مستسلمة ، وإن انفطر قلبها حزنًا ، وهى تتطلع إلى شُحُوب وجهه ، قبل أن يرتفع صوت ساخر ، من كل جدران المنزل ، يقول :

ـ ما رأيك الآن يا حفيد (أوزيريس) ؟

غمغم (نور) فى إعياء :

ـ حفيد (أوزيريس) ؟!.. إننى لم أعُدْ أدرى حتى مَنْ أنا .

ردَّدَت الجدران ضحكة (ابن الشيطان) الساخرة ، قبل أن يقول :

ـ هل تعترف الآن بتفوُّق ؟

غمغم (نور) فى تهالك :

ـ لم أعُدْ أملك سوى ذلك .

هتف الشيطان الابن فى ظفَر :

ـ إذن فأنت تعترف بانتصارى .

غمغم (نور) :

ـ نعم .. إننى أعترف .

وهنا ردَّدت الجدران صيحة هائلة ، انتزعت الجميع من أماكنهم ، وألقتهم أرضًا ، مع رياح ساخنة مخيفة ، وزوبعة من

الرمال الكثيفة ، دارت وسط الحجرة فى قوّة ، قبل أن تنقشع ، ويظهر هو ..

ظهر (ابن الشيطان) ..

تجسد أخيرًا أمام خصومه ..

وفى هذه المرّة ، كان يشعر بمزيد من القوّة ..

كان يرتدى رداء الشمس ، الذى يحجب عنه النّيران ، مهما بلغت قوتها ، ومهما استَعَرَ لهيبها ..

وفى شماتة ، عقد ساعديه أمام صدره ، قائلًا :

ـــ الآن فقط ستموت أيها الآدمى .. الآن فقط ستلحق بأجدادك ، بعد أن ذقت الهزيمة ، على يد (ابن الشيطان) .

أطلق (نور) ضحكة ساخرة عالية ، أدهشت الشيطان الابن ، فراح يصرخ فى غضب :

ـــ الآن ستموت .. ستموت .

ثم اتجهت يداه نحو كتفى (نور) ، الذى توقّف عن ضحكاته الساخرة بغتة ، يقول متهكّمًا :

ـــ ألا ترغب حتى معرفة سرّ ضَحِكَاتِى ؟

هتف الشيطان الصغير :

ـــ كلّا .. لم يَعُد ذلك يهمُّنى .

نهض (نور) فى هدوء ، وقال بابتسامة ساخرة :

ـــ عجبًا !! .. ولكن هذا يقلب كل موازينك رأسًا على عَقِب .

تردَّد (ابن الشيطان) لحظة ، وأعاد كفَّيه إلى جواره ، ثم عاد يرفعهما ، هاتفًا :

ـــ أنت تحاول أن تخدعنى .

أطلق (نور) ضحكة ساخرة قويّة ، وهو يقول :

ـــ ولكننى خدعتك بالفعل .

هتف (ابن الشيطان) فى غضب :

ـــ لا تحاول .. لقد هزمتك .

عقد (نور) حاجبيه بغتة ، وهو يقول فى صرامة :

ـــ أخطأت أيها الحقير .. بل أنا هزمتك .

هتف فى غضب :

ـــ أنت ؟!. أنت تهزمنى ، أيها الآدمىّ ؟!

قال (نور) فى حزم :

ـــ نعم أيُّها الجهنمىّ .. نعم يا مبعوث الجحيم .. أنا سأهزمك ، مثلما هزمك جَدّى ، ومثلما هزمك كل أجدادى .. لقد كنت أعلم أنك ستعود .. وأنك ستواجهنى حتمًا ، عندما تتصوَّر أنك قد هزمتنى .

صرخ (ابن الشيطان) :

— هذا ليس مجرَّد تصوُّر .. لقد هزمتك بالفعل .

قال (نور) فى صرامة :

— على العكس أيها الحقير .. أنا هزمتك ، عندما أجبرتك على الظهور أمامى .

أشار (ابن الشيطان) إلى ردائه الذهبىّ ، صائحًا :

— أأنت أعمى يا حفيد (أوزيريس) ، أم أن أمر هذا الرِّداء لم يبلغك بعد ؟.. إنه رداء نادر خاصّ يتيح لى السباحة فى قلب الشمس نفسها ، دون أن يمسّنى سوء .

ابتسم (نور) فى سُخرية ، وقال :

— وهذا ما أخطأت فيه أيها الوغد .

غمغم (ابن الشيطان) فى اضطراب :

— أخطأت ؟!

أجابه (نور) فى سُخرية :

— نعم .. أخطأت .

ثم اعتدل ، مستطردًا فى حزم :

— لقد كنت تهزمنا طِيلة الوقت؛ لأنك كنت تلعب بقواعدك التى تتحدَّى كل معلوماتنا ، وكل قواعدنا العلمية ، وكان هذا يمنحك نقطة تفوُّق بالغة القوَّة ، فأنت تفهم كل أسلحتنا ، على حين نجهل نحن كل أسلحتك .

وابتسم ابتسامة ساخرة ، مستطردًا :

— ولكنك فجأة ، وحتى تستطيع مواجهتى فى لحظة هزيمتى ، وحتى تمنعنى من إطلاق النيران عليك ، لجأت إلى اختراع أرضىّ قُحّ ، وفى هذه الحالة ، أعدت أنت إلينا زمام القوة ، وانتقلت لتكمل المباراة فى ملعبنا ، وبقواعدنا نحن ، وفى ظل هذه الظروف نصبح نحن الأقوى .

ومال نحوه ، مردفًا بمزيد من السُّخرية :

— صحيح أنك ترتدى زيًّا لا تخترقه النيران أبدًا ، ولكن فى عصرنا هذا ، ومع تقدُّمنا التكنولوجى ، لم تعد النيران هى الوسيلة الوحيدة للإحراق .

اتسعت عينا الشيطان الابن فى هَلَع ، وهو يقول :

— ماذا تعْنى ؟

رفع (نور) يده ، وهو يقول فى صرامة :

— أعْنِى هذا .

ثم هبط بيده فى حزم ، فضغطت (سلوى) زِرّ جهاز صغير ، وانطلقت فى الحجرة صرخة مدوِّية ..

صرخة شيطان يحتضر ..

* * *

١٠ ـ الختام ..

اندلعت ألسنة اللهب داخل رداء الشمس ، واتسعت عينا الشيطان الابن هلعًا وألمًا ، وراح يصرخ :

ـ كيف ؟.. كيف فعلتها ؟

أشار (نور) إلى الجهاز الصغير ، الذى ضغطت (سلوى) زِرّه ، وهو يقول فى هدوء :

ـ المَوْجات فوق الصوتية فائقة الترَدُّد أيها الوغد .. إنها تخترق كل شىء ، وترفع درجة اهتزازاته ، إلى درجة الاحتراق .. إنها تستخدم بكثرة فى عصرنا هذا ، فهم يستخدمونها لحفر الآبار والمناجم ، ولإشعال النيران ، وحتى لعلاج بعض أمراض المخ ..

كان اللهب يلتهم الشيطان الابن فى سرعة ، على حين صمت (نور) ، وصمت الجميع ، وهُمْ يتطلّعون إلى عينى الشيطان الصغير ، وقد خَبَا لهيبهما ، قبل أن يستطرد (نور) :

ـ أنت قتلت نفسك .. أعماك الله (سبحانه وتعالى)

عن رؤية الحقائق .. أنت تخلّيت عن قوتك ، ومنحتنا قوتنا .. لقد أدركت هدفك تمامًا ، بعد أن علمت بأمر مهاجمتك لمؤسسة الأبحاث الفضائية ، وسرقتك لِرداء الشمس ، ولقد استخدمت (سلوى) كل المعلومات عن (رداء الشمس) ؛ لتدفع جهازها إلى إطلاق ذبذبة خاصّة ، قادرة على حرق جسدك ، بعد اجتيازها الرِّداء ..

اتسعت عينا (ابن الشيطان) فى مرارة وألم هائلين ، و (نور) يستطرد :

ـ لقد خسرت أيها الشيطان الصغير .. خسرت كل معاركك ..

هتف الشيطان الابن فى ثورة :

ـ سأعود .. سأعود .

ثم خَبَا اللهيب ، وسقطت حُلّة الشمس ، وتكوّمت خالية على الأرض ، فاتجه إليها (نور) ، وانحنى يلتقطها ، ثم فتحها ، والتقط من داخلها ذلك القرص المعدنىّ الملعون ، ودسّه فى جيبه ، وهو يبتسم قائلًا :

ـ أخطأت هذه المرّة أيضًا أيها الملعون .

ثم اتسعت ابتسامته ، وهو يستطرد :

ـ فى هذه المرّة لن تعود .

وأدار عينيه فى عيون الجميع ، قبل أن يُردف فى حزم :

ــ لن تعود أبدًا ..

* * *

ابتسم الدكتور (عزيز) ، وهو يتناول قطعة كعك مزدانة بالحلوى ، من بين أصابع (نور) ، قائلًا :

ــ فكرة طريفة أن تعيد حفل الاحتفال بشفاء زميلك ، بعد القضاء على ذلك الملعون يا ولدى .

ابتسم (نور) ، وهو يقول :

ــ بل هو حفل التخلُّص منه فحسب .

قال الدكتور (حجازى) فى قلق ، وهو يتطلَّع إلى رفاق (نور) ، الذين انهمكوا فى حوار مرح :

ــ ولكن ألا يحتمل أن يعود مرَّة أخرى يا (نور) ؟

قال (نور) فى مَرَح :

ــ الاحتمال لن يتجاوز الواحد فى كل مائة مليار .

هتف الدكتور (حجازى) فى دهشة :

ــ كيف ؟ ؟.. إن وجود ذلك القرص الملعون ، فى أيَّة نقطة على سطح الأرض ، يجعل العثور عليه ممكنًا ، وبالتالى يجعل عَوْدة ذلك المخلوق البشع محتملًا .

ضحك (نور) ، وهو يقول :

ــ اطمئنّ يا سيِّدى .. لن يعود .

ثم التفت إلى رفاقه ، هاتفًا :

ــ استمعوا إلىَّ يا رفاق ، سنشاهد معًا الآن حدثًا جَلَلًا .

وفتح الشُّرفة على مصراعيها ، ثم أشار إلى السماء ، قائلًا :

ــ أترون تلك النقطة المضيئة ، التى تبتعد هناك ، وتنطلق نحو النجوم ؟

قال (رمزى) :

ــ نعم .. نراها يا (نور) ، وأنا شخصيًّا أعلم ما هى ، فهى عبارة عن قمر صناعىّ جديد ، يحمل آلة تصوير كونية نادرة ، ومهمَّته هى أن ينطلق نحو أقرب ثقب أسود لمجرَّتنا ، ويخترقه ، لينقل ما يحدث خلفه .

ابتسم (نور) ، قائلًا :

ــ هذا صحيح .. ولكن .. أتعلم كم تبلغ احتمالات عودته ؟

أجابه (محمود) هذه المرَّة ، قائلًا :

ــ أظنُّها واحدًا إلى كل مائة مليار يا (نور) .

لم يكد الدكتور (حجازى) يسمع الرقم ، حتى هتف :

ــ يا إلٰهى !!.. (نور) .. أكنت تقصد هذا ؟

هتف (نور) فى مَرَح :

ــ نعم أيها السادة .. لقد أصبح القمر الصناعىُّ يحمل آلة التصوير الكونية ، بالإضافة إلى ذلك القرص الملْعون ، الذى سينتقل مع شروره إلى ما وراء الثقب الأسود ..

وتهلَّلت أساريره ، وهو يستطرد فى سعادة :

ــ وبهذا تنتهى تلك الجَوْلَة .. جولة الشيطان الأخيرة ..

* * *

فى تلك الليلة ، استغرق (نور) فى نوم عميق ..

نوم لم ينعم به منذ بدأ ذلك الصِّراع الرّهيب ..

وفى تلك الليلة رأى نفسه يسير فى منزل جَدِّه الريفىِّ ..

ورأى نفسه يدلف إلى حجرة المكتب ..

وفى هذه المرَّة لم تكن الحجرة خالية ..

كانت مرتَّبة أنيقة ..

وكان هناك مكتب ضخم ، من طراز أثرىّ عتيق ..

وخلفه كان يجلس جَدُّه ..

وبابتسامة مشرقة ، نهض الجَدُّ يصافحه ، وهو يقول فى صوت عميق :

ــ مبارك يا ولدى .. لقد انتصرت عليه .

غمغم هو فى حُلْمه :

ــ أنت صاحب الفضل فى ذلك يا جَدِّى .. أنت قُدْتنى إلى الحلّ ..

ابتسم الجدّ ، وهو يقول :

ــ بل أنت المنتصر يا ولدى .. لقد منحتك أنا السلاح فحسب ، ولكنك أنت استخدمته فى براعة قادتك إلى النصر .

سأله فى قلق :

ــ ولكن قُلْ لى يا جَدّى .. أتظُنّ أنّه سيعود ؟

هزَّ الجَدّ رأسه نفيًا ، وهو يقول :

ــ كلَّا يا حفيدى .. ليس فى حضارة الأرض الحالية .

هتف فى دهشة :

ــ حضارتها الحاليـــة ؟!.. أكانت هنـــاك حضارات سابقة ؟!

ابتسم الجَدّ ابتسامة واسعة ، وقال :

ـ لا تبحث عن كل أسرار الكون دفعة واحدة يا ولدى .. هيًا .. عُدْ إلى فراشك ، وانعم بنومك ، فأنت اليوم منتصر .

نعم .. لقد انتصر (نور) ..

انتصر للبشرية كلها ..

وفاز ..

فاز فى حربه مع (ابن الشيطان) ..

فاز فى (الجولة الأخيرة)

* * *

[تمت بحمد الله]

رقم الإيداع ٣٢١٥

ملف المستقبل

سلسلة روايات بوليسية للشباب من الخيال العلمي

المؤلف



د. نبيل فاروق

الجولة الأخيرة

- ماذا يفعل (نور) ورفاقه ، فى مواجهة كل الأخطار ، التى يحاربهم بها (ابن الشيطان) ؟
- كيف يواجه فريق علمىّ ، عدوًّا ، يتجاوز كل حدود العلم ؟..
- تُرى .. من ينتصر فى الجولة الأخيرة ، (نور) وفريقه ، أم (مبعوث الجحيم) ؟
- اقرأ التفاصيل المثيرة ؛ لترى كيف تكون النهاية فى (الجولة الأخيرة) .

٧٥

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

العدد القادم : الاحتلال